



وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة بابل / كلية العلوم الإسلامية

قسم علوم القرآن / الدراسات العليا

معالم الانجذاب ووسائله في القرآن الكريم دراسة تأصيلية

رسالة قدمت إلى مجلس كلية العلوم الإسلامية / جامعة بابل ، وهي جزء من متطلبات نيل
درجة الماجستير في علوم القرآن

من الطالبة

غفران نعمه سلمان

بإشراف الأستاذ الدكتور

سكينة عزيز الفنتلي

قال تعالى :

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ۚ
وَجَادِلْهُمْ بَالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ
عَنْ سَبِيلِهِ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾^(١)

صدق الله العلي العظيم

(١) النحل / ١٢٥.

الإهداء

إلى الموعود المنتظر الذي سيملى الأرض عدلاً وقسطاً
بعدما ملئت ظلماً وجوراً

إلى المرتقب الذي ينتظر على يديه تبدل مظاهر الظلم
والجور

الامام المهدي (عجل الله فرجه الشريف)

أهدي هذا الجهد

الشكر والعرفان

قال الله تعالى في محكم كتابه الكريم : ﴿ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ ﴾ (النمل: ٤٠)، وانطلاقاً من الآية الكريمة احمد الله تعالى حمداً كثيراً مباركاً واشكره شكراً جزيلاً يليق بوجهه الكريم على أن وفقني أن اسلك هذا الطريق المبارك ومنّ عليّ اتمامه وأرجو منه تعالى أن اكون قد فعلته على الوجه الذي يرتضيه وأن يكون نافعا .

وانتقدم بجزيل الشكر لكل من له فضل عليّ في انجاز هذا الرسالة وخصوصاً مشرفتي الاستاذة الدكتورة (سكينة عزيز الفتلي) المحترمة التي أشارت عليّ بهذا الموضوع ولم تدخر جهداً في توجيهي ونصحي والتي أسهمت في اكمال الرسالة والتخطي على كل ما يعترض لي من إشكال فلها مني جزيل الشكر واسأل الله تعالى أن يوفقها ويرفع درجتها في الدنيا والآخرة . وشكري موصول إلى أساتذتي كلهم في كليتي الموقرة .

وأتوجه بالشكر الجزيل إلى أساتذتي الكرام أعضاء لجنة المناقشة الذين تفضلوا بقبول مناقشة الرسالة ، وعلى ما سيقدمونه من التوجيهات والنصائح والتي سيكون لها عظيم الأثر في إتمامها فجزاهم الله خير الجزاء .

وأتوجه بالشكر الجزيل إلى والديّ اللذين كان لهما الفضل الكبير في تربيتي وتشجيعي على الدراسة وتخطي الصعاب فلهما مني كل الشكر والامتنان .

وأتوجه بالشكر الجزيل لزوجي العزيز الذي كان له الفضل الكبير في تشجيعي على الدراسة والبحث وكان معي في كل خطواتي فله مني كل الشكر والامتنان .

وكذلك اتقدم بالشكر إلى جامعتي وكل القائمين فيها واشكر جهودهم العظيمة على المحافظة على هذا الصرح العلمي وخصوصاً كلية العلوم الإسلامية قسم علوم القرآن خاصة على ما يبذلونه من جهد وعطاء فجزاهم الله خير الجزاء ، وكذلك أتوجه بالشكر إلى كلّ العاملين في المكتبات فجزاهم الله خير الجزاء .

فأسأل الله تعالى التوفيق لي ولجميع المؤمنين والمؤمنات والثبات على الدين الحق .

محتوى الرسالة

الموضوع	رقم الصفحة
الآية	أ
الإهداء	ب
الشكر والعرفان	ت
المقدمة	١-٤
التمهيد (التعريف بمفردات العنوان)	٥-٩
الفصل الأول : معالم الانجذاب في القرآن الكريم	١٠
مدخل	١١
المبحث الأول : المعالم الظاهرة ، المفاهيم والتطبيقات	١٢
الفرع الأول : الرجاء وتطبيقاته	١٣-١٨
الفرع الثاني : المنفعة وتطبيقاتها	١٩-٢١
الفرع الثالث : البشرى وتطبيقاتها	٢٢-٢٨
الفرع الرابع : الوعد وتطبيقاته	٢٨-٤٢
الفرع الخامس : القصص وتطبيقاته	٤٢-٥٠
المبحث الثاني : المعالم غير الظاهرة ، المفاهيم والتطبيقات	٥١
الفرع الأول : الخوف وتطبيقاته	٥٢-٦٥
الفرع الثاني : المضرة وتطبيقاتها	٦٦-٧٤
الفرع الثالث : الانذار وتطبيقاته	٧٥-٨٢
الفرع الرابع : الوعيد وتطبيقاته	٨٣-٩٠
الفرع الخامس : القصص وتطبيقاته	٩١-٩٧
الفصل الثاني : وسائل الانجذاب في القرآن الكريم	٩٨
المبحث الأول : الوسائل الموافقة للغريزة الإنسانية	٩٨
مدخل	٩٩
المطلب الأول : الانجذاب بوسيلة التسامح	١٠٠-١٠٧
المطلب الثاني : الانجذاب بوسيلة الرحمة	١٠٨-١١٣
المطلب الثالث : الانجذاب بوسيلة الليونة	١١٣-١١٧
المطلب الرابع : الانجذاب بوسيلة الحكمة	١١٨-١٢٢
المطلب الخامس : الانجذاب بوسيلة الموعظة	١٢٣-١٢٧
المطلب السادس : الانجذاب بوسيلة التألف	١٢٧-١٣٠
المطلب السابع : الانجذاب بوسيلة التكافل الاجتماعي	١٣١-١٣٥
المطلب الثامن : الانجذاب بوسيلة الزكاة	١٣٥-١٣٨
المبحث الثاني : الوسائل المحددة للغريزة الإنسانية	١٣٩

محتوى الرسالة

١٤٤-١٤٠	المطلب الأول : الانجذاب بوسائل الحدود
١٤٨-١٤٥	المطلب الثاني : الانجذاب بوسائل التعزيرات
١٥٣-١٤٩	المطلب الثالث : الانجذاب بوسائل الكفارات
١٥٤	الفصل الثالث : سمات معالم ووسائل الانجذاب
١٥٥	المبحث الأول : سمات معالم الانجذاب
١٥٥	المطلب الأول : سمات المعالم الظاهرة
١٦١-١٥٥	١- تتسم بعنصر قيمي ، فهي معالم قيمية
١٦٤-١٦١	٢- تتسم بعنصر التحفيز ، فهي معالم محفزة
١٦٦-١٦٥	٣- تتسم بطابع ذاتي ، فهي مطلوبة بذاتها
١٦٩-١٦٦	٤- تتسم بطابع التّرعيب ، فهي مرغوب بها
١٧١-١٦٩	٥- تتسم بعنصر المنفعة ، فهي تجلب نفعا
١٧٢	المطلب الثاني : سمات المعالم غير الظاهرة
١٧٣-١٧٢	تتسم بكون الانجذاب فيها باطنياً
١٧٧-١٧٤	١- تتسم بعنصر التنفير ، فهي معالم منفرة
١٨٣-١٧٧	٢- تتسم بطابع التّرهيب ، فهي مرهبة للنفس
١٨٤-١٨٣	٣- تتسم بعنصر المضرة ، فهي تجلب الضّرر
١٨٥	المبحث الثاني : سمات وسائل الانجذاب
١٨٦-١٨٥	المطلب الأول : سمات الوسائل الموافقة للغريزة
١٨٨-١٨٦	تتسم بطابع ذاتي ، فهي ذاتية
١٨٩	المطلب الثاني : سمات الوسائل المحددة
١٩٥-١٨٩	تتسم بطابع الجعل ، فهي مجعولة
١٩٨-١٩٦	الخاتمة والنتائج
٢١٤-١٩٩	ثبتُ المصّادر والمراجع
٢١٧-٢١٥	Abstract

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد الأمين وآله الطيبين الطاهرين وصحبه المنتجبين وعلى من سار على نهجهم الى يوم الدين .

وبعدُ ...

القرآن الكريم هو أعظم ما عمرت به الأوقات واشتغلت به الهمم العوالي والمهج الغوالي فكتاب الله هو المنهاج للأمة ومصدر تشريعاتها الأول ، وأنه كتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ، فهو كتاب الهداية والصلاح والتوفيق والنجاح ، ولا فلاح للأمة إلا بالسير على نهجه فهو كتاب يدعو إلى الإيمان وإلى العدل والإحسان والتعاون والوئام ويمقت الشرك والبغي والظلم والعنوان وتسلط القوي على الضعيف ويحذر من مسالك العنف والغلو في الدين .

ففي القرآن الكريم أفضل المناهج لخدمة الناس بما يضمن ويحقق لهم الاستمرار الصحيح في الدنيا والفوز والراحة الأبدية في الآخرة ، لذلك تعددت معالم الانجذاب فيه وكانت مختلفة باختلاف مستويات الناس ، فالناس أجمع يبحثون وينشدون الحياة الأفضل سواء في الحياة الدنيا أو الآخرة ، فكل فرد يريد أن يصل إلى الفوز والفلاح فيحاول الوصول سلك الكثير من الطرق ، لذلك استعمل الله تعالى في القرآن الكريم أفضل الوسائل لتحقيق هذه الغاية والوصول نحو هدفهم سواء في الدنيا أو الآخرة ، فالقرآن الكريم هو الكتاب المنقذ والمهدي والمرشد للبشرية أجمع فهو يدلهم على الطريق الحق المستقيم والذي من خلاله يصلون إلى أعلى درجات الرقي والكمال في الدارين .

أهمية اختيار الموضوع : تظهر أهمية الموضوع ودراسته كونه يتعلق بالقرآن الكريم فهو كتاب إلهي المصدر ورتب بين دفتيه جميع جوانب الحياة الإنسانية ، فالفرد إذا ما تمعن أكثر وتدبر فيه يكتشف أنه استخدم أفضل المعالم والوسائل ليعلم الناس ويوصلهم إلى الفوز بمروضة الله تعالى فمن هنا يتبين أهمية الموضوع .

اسباب اختيار الموضوع : تسعى الباحثة أن تسلط الضوء على المعالم والوسائل التي استخدمها تعالى في كتابه الكريم لجذب البشرية نحو الدين الإسلامي ، والكشف عن أسباب العذاب الذي يصيب الناس في الدنيا والآخرة ، لكي تكون لنا الصورة الواضحة لتجنبها وحتى لا ينالنا ما نال الأقوام السابقة من العذاب الأليم ، وكذلك السير على الطريق الحق المستقيم الذي يمكننا من الفوز برحمة الله تعالى وتغير حالنا نحو الأحسن سواء في الحياة الدنيا أو في الآخرة ، وكذلك الرد على الذين يتهمون القرآن بصورة خاصة والدين الإسلامي عامة بأنه يستخدم العنف فقط ويحرض على القتال وأنه كتاب لا يصلح حديثاً مع تطور الحياة ، فنبين لهم أنه كتاب إلهي يحث الناس اجمع على الرحمة والتسامح وأنه استخدم أفضل الطرق وأحسنها في جذب الناس إليه فهو كتاب إلهي نزل رحمة بهم .

منهجية الرسالة : اعتمدت الرسالة على المنهج الموضوعي القائم على ملاحظة المفردة في القرآن الكريم ومتابعتها في كتب تفاسير القرآن ، والكتب الدينية الأخرى محاولاً الوصول إلى معالم الانجذاب والوسائل التي استخدمها تعالى في جذب الناس نحو الدين الإسلامي .

الدراسات السابقة : لم أجد في الدراسات السابقة بحدود معرفتي عن موضوع معالم الانجذاب ووسائله في القرآن الكريم بوصفه عنواناً مستقلاً ، لكنني وجدت كتاباً باسم تحدّيات ومواجهات محاضرات الأستاذ محمد تقي المصباح اليزدي تعريب السيد علي عبد المنعم مرتضى فقد تكلم عن الجاذبة والدافعة ، أما مفردات الموضوع فقد كان هنالك الكثير من البحوث عنها .

خطة الرسالة : لقد جاءت الرسالة في تمهيد وثلاثة فصول تليها خاتمة وقائمة بالمصادر والمراجع .

جاء التمهيد ببيان مفهوم معالم الانجذاب في القرآن الكريم في اللغة والاصطلاح وبيان العلاقة بينهما . وتناول الفصل الأول : معالم الانجذاب وتضمن مبحثين : المبحث الأول : المعالم الظاهرة (المفاهيم والتطبيقات) وفيه خمسة فروع وهي الرجاء ، المنفعة ، البشرى ، الوعد بالجنة ، و القصص واخترنا قصة نجاة بني اسرائيل من قوم فرعون ، مع التطبيقات وفيه تم عرض بعض الشواهد القرآنية لكل مفهوم مع بيان المَعْلَم الظاهر فيه. المبحث الثاني :

تناول المعالم غير ظاهرة (المفاهيم والتطبيقات) وفيه استعرض الخوف ، المضرّة ، الانذار ، الوعيد بالنار ، والقصص واخترنا قصة غرق آل فرعون ، وتم عرض شاهد قرآني لكل مفهوم مع بيان المَعْلَم غير ظاهر فيه .

وعرض الفصل الثاني : وسائل الانجذاب ، وقد قسمت الوسائل على أساس الغريزة الإنسانية ، وتضمن مطلبين : المطلب الأول : جاء في بيان الوسائل التي تتوافق مع الغريزة الإنسانية وهي (التسامح ، الرّحمة ، اللّيوّنة ، الحكمة ، الموعدة ، التآلف ، التكافل ، الزّكاة) .
المطلب الثاني : جاء ببيان الوسائل التي تحد الغريزة الإنسانية وهي (الحدود ، التعزيرات ، الكفارات) ،

أما الفصل الثالث : فقد عرض سمات معالم الانجذاب ووسائله ، وتضمن مطلبين ، المطلب الأول : سمات معالم الانجذاب وجاء في مبحثين ، المبحث الأول : سمات المعالم الظاهرة وهو خمس سمات : الأولى : تتسم بعنصر قيمي ، فهي معالم قيمية ، الثانية : تتسم بعنصر التحفيز ، فهي معالم محفزة ، الثالثة : تتسم بطابع ذاتي ، فهي مطلوبة بذاتها ، الرابعة : تتسم بطابع الترغيب ، فهي مرغوب فيها ، والخامسة : تتسم بعنصر المنفعة ، فهي تجلب نفعا .

المبحث الثاني : سمات المعالم غير ظاهرة ، وهي أربع سمات : الأولى : تتسم بكون الانجذاب فيها باطنياً ، الثانية : تتسم بعنصر التنفير ، فهي معالم منفرة ، الثالثة : تتسم بطابع الترهيب ، فهي مرهبة للنفس ، الرابعة : تتسم بعنصر المضرة ، فهي تجلب الضرر .

أما المطلب الثاني : فهي سمات الانجذاب ووسائله ، وتضمن مطلبين ، المبحث الأول : سمات الوسائل التي تتوافق مع الغريزة الإنسانية ، وهي تتسم بطابع ذاتي . المبحث الثاني : سمات الوسائل التي تحد الغريزة الإنسانية وهي تتسم بطابع الجعل ، فهي مجعولة .

واردفت هذه الفصول بخاتمة تحتوي على النتائج التي توصلت إليها الرسالة .

أمّا الصعوبات التي واجهت الباحثة : لا يكاد يخلو أي عملٍ من بعض الصعوبات ، لكن فضل الله تعالى ومنته عليّ ساعدتني في تذليل هذه الصعوبات ، فمن هذه الصعوبات توظيف

الآيات الكريمة بما يخدم موضوع البحث على أن لا أخرج إلى التأويلات الفردية التي لا صحة لها ، وكذلك كثرة الدراسات السابقة لمفردات الموضوع والتي كانت مستقلة ، فكان على البحث أن يتحاشى تكرار ما تم دراسته من جهة وجعل المفردات موضوعاً واحداً مستقلاً له محدداته الخاصة .

ولا ادعي اني بلغت الغاية في هذه الرسالة من بيان كافة معالم الانجذاب ووسائله في القرآن الكريم بصورة كاملة أو قد احطت بموضوعي تمام الاحاطة ، لذا عسى أن تكون المناقشة طريقاً لإتمام ما نقص من البحث ، واني افرغت جهدي وطاقتي فجمعت ما حصلت عليه من مصادر ومراجع تخدم موضوع البحث ، وبذلت قصارى جهدي في ترتيبها مع المطالب ، فأنا كنت قد وفقت بذلك على الوجه الصحيح فالفضل في ذلك يعود إلى الله تعالى ومن ثم لأستاذتي المشرفة على البحث ، وأن كنت قد أخفقت في ذلك فبتقصيري وجهل مني .

التمهيد (التعريف بمفردات العنوان)

في الحديث عن معالم الانجذاب ووسائله في القرآن الكريم لأبَد من الإطلالة على معاني الكلمات اللغوية ومدلولاتها الاصطلاحية

المعالم

لغة : مأخوذة من الجذر اللغوي (علم) مفرد معالم ، والعَلَمُ هو الجبل الطَّوِيل والراية التي يكون إليها مجمع الجند ، وما ينصبُّ في الطريق حتى يكون علامة يهتدى بها ، فالعَلَم والمَعْلَم والعلامة ما جعل علامة يهتدى بها ، والمَعْلَم هو موضع العلامة^(١) .

قال ابن فارس (ت٣٩٥هـ) : ((العين واللام والميم أصل صحيح واحد ، يدلُّ على أثر بالشئ يتميز به عن غيره ، والعلم الجبل وكل شيء يكون مَعْلَمًا خلاف المَجْهَل))^(٢) .

قال ابن منظور (ت٧١١هـ) : ((مَعْلَمُ الطريق دلالتُه وكذلك مَعْلَمُ الدِّين على المثل ، ومُعْلَمُ كل شيء : مَظَنَّتُه ، وفلان مَعْلَمٌ للخير ، وكله راجع إلى الوسم والعلم ، وأُعلِمْتُ على موضع كذا من الكتاب والعِلْمُ ، وأُعلِمْتُ على موضع كذا من الكتاب علامة . والمَعْلَمُ الأثر يستدلُّ به على الطريق))^(٣) . ((ومعالم المكان : ما يستدلُّ بها عليه من آثارٍ ونحوها ، ومعالمُ الطريق : العلامات التي تدلُّ عليها ، ومعالم تاريخية : أحداثٌ تُمثِّلُ نقطة تحولٍ في التاريخ))^(٤) .

يظهر من ذلك أن المعالم تدل على العلامات التي يعرف بها الشيء سواء كان ماديًا أو معنويًا .

اصطلاحًا : ((معالم أعلام الصفات هو الأعضاء كالعين والأذن واليد فإنها المحال التي يظهر بها معاني الصفات وأصولها ، والمعلم محل الظهور كمعالم الدين ومعالم الطريق))^(٥) ((المعلم قيل المراد بها الأصول التي يوقف بها على الأحكام من نحو الجواز والفساد والحل

(١) ظ : الفراهيدي / العين (مادة علم) ، ١٥٢/٢ - ١٥٣ .

(٢) مقاييس اللغة (مادة علم) ، ١٠٩/٤ .

(٣) لسان العرب (مادة علم) / ٣٠٨٥ .

(٤) أحمد مختار عمر / معجم اللغة العربية المعاصرة / ١٥٤٤

(٥) عبد الرزاق الكاشاني / معجم اصطلاحات الصوفية / ١٠٧ .

والحرمة وهي الكتاب والسنة والإجماع والقياس ^(١) ((المَعْلَم المكان المميز في الجغرافية عند المستكشفين وغيرهم ليجدوا طريقهم مرة أخرى أو من خلال المنطقة قد يكون طبيعياً أو صناعياً)) ^(٢) .

الانجذاب

لغة : مأخوذ من الجذر اللغوي (جذب) والفعل (أنجذب) فالجذبُ هو مدَّك الشيء ، ويقال جذب الفرد حبلَ وصاله ، وجذمه إذا قطعه ، ويقال للفرد إذا كرع في الإناء نفساً أو نفسين ، فهو جَذَبَ منه نفساً أو نفسين ^(٣) . فالجذب هو الشد والتحويل ، ويقال جذب الفريق إلى الشاطئ ويقال جذب الانتباه بمعنى أثاره واسترعاه وأيضاً جذب القلوب بمعنى كان موضع حُبٍّ ، فالجذبُ هو نزوع داخلي يكون مادياً أو معنوياً ^(٤) . يظهر أن الجذب هو أثارة الانتباه و التحويل من شيء إلى شيء .

اصطلاحاً : ((الجذبة هو تقريب العبد بمقتضى العناية الإلهية المهيئة له كل ما يحتاج إليه في طي المنازل إلى الحق بلا كلفة وسعي منه)) ^(٥) ، ((والمجذوب من اصطنعه الحق تعالى لنفسه واصطفاه لحضرة أنسه وطهره بماء قدسه فحاز من المنح والمواهب ما فاز به بجميع المقامات والمراتب بلا كلفة المكاسب والمتاعب)) ^(٦) ، ((الجذب هو عبارة عن جذب الله تعالى تعالى عبداً إلى حضرته)) ^(٧) ، ((الجذب هو ملاحظة العناية الإلهية للعبد باجتماعه إلى حضرة القرب ، وذلك بأن يهيئ الله للمجذوب كل ما يحتاجه في طريقه لاجتياز المنازل والمقامات دون كلفة ولا مشقة. والجاذبية هي الحالة التي يجذب بها صاحبها غيره)) ^(٨)

يظهر أن الجذب في اللغة يطابق الاصطلاح هو أثارة الانتباه و التحويل من وضع إلى آخر مادياً أو معنوياً .

(١) محمود عبد الرحمن / معجم المصطلحات والالفاظ الفقهية ، ٣/ ٣٢٠ .
(٢) معلومات عن معلم (جغرافيا) / موقع jstor.org / ٢٩ مايو ٢٠١٩ .
(٣) ظ : ابن منظور / لسان العرب (مادة جذب) / ٥٧٤ .
(٤) ظ : أحمد مختار عمر / معجم اللغة العربية المعاصرة / ٣٥٣-٣٥٤ .
(٥) عبد الرزاق الكاشاني / معجم اصطلاحات الصوفية / ٦٥ .
(٦) المصدر السابق / ٩٦ .
(٧) التهانوي / كشف اصطلاحات الفنون والعلوم ، ١/ ٥٥٤ .
(٨) المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية / موسوعة المفاهيم الإسلامية العامة ، ١/ ١٧٦ .

فمعالم الانجذاب : هي الدلائل التي تكون موضع أثارة انتباه الناس وتحويلهم من وضع إلى آخر مادياً أو معنوياً .

الوسائل

لغة : مأخوذ من الجذر اللغوي (وصل) ، قال ابن فارس (ت٣٩٥هـ) : ((الواو والسين واللام ، كلمتان متباينتان جداً الأولى الرغبة والطلب وعليها يقاس الوسيلة))^(١) . فالوسيلة في الأصل هي ما يتوصل بها إلى الشيء ويتقرب بها^(٢) .

اصطلاحاً : هي ((ما يتقرب به إلى الغير))^(٣) وقيل ((التوصل إلى الشيء برغبة ، وحقيقة الوسيلة إلى الله تعالى : مراعاة سبيله بالعلم والعبادة وتحري مكارم الشريعة ، وهي كالقربة ، ووصل إلى الله وسيلة عمل عملاً تقرب به إليه))^(٤) وقيل ((هي التحقق بحقيقة العبودية وتوجيه وجه المسكنة والفقر إلى جنبه تعالى ، فهذه الوسيلة الرابطة وأما العلم والعمل فإنهما من لوازمهما وأدواتهما))^(٥) ، وقيل ((في الأصل نشدان التقرب أو طلب الشيء الذي يؤدي إلى التقرب للغير عن ميل ورغبة))^(٦) .

يظهر أن الوسيلة بمعنى ما يتوصل به الغير ويتقرب وهي تطابق الاصطلاح .

القرآن

لغة : هناك عدة اقوال في القرآن ، وهي :

١- مأخوذ من الجذر اللغوي (قرأ) ويدل على الجمع ، يقال قرأت الشيء قرأناً بمعنى جمعت بعضه إلى بعض ، ومنه سمي القرآن لأنه يضم السور ويجمعها ، وأيضاً يدل على القراءة^(٧) .

(١) مقاييس اللغة (مادة وصل) ، ١١٠/٦ .
(٢) ظ : أحمد مختار عمر / معجم اللغة العربية المعاصرة / ٢٤٤١ .
(٣) الشريف الجرجاني / التعريفات / ٢١١ .
(٤) الفيروزآبادي / بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ، ٢١٧/٥ .
(٥) الطباطبائي / الميزان في تفسير القرآن ، ٣٣٥/٥ .
(٦) الشيرازي / الأمل في تفسير كتاب الله المنزل ، ٤٢١/٣ .
(٧) ظ : الجوهري / تاج اللغة وصحاح العربية (مادة قرأ) / ٩٢٤-٩٢٥ .

٢- قيل القرآن اسم ، وهو ليس بمهموز وأيضاً لم يؤخذ من قرأت ، وهو اسم لكتاب الله تعالى مثل الإنجيل والتوراة .

٣- قيل هو مصدر كالكفران والغفران ^(١) .

اصطلاحاً : هو ((وحي الله المنزل على النبي (صلى الله عليه وآله) لفظاً ومعنى وأسلوباً ، المكتوب في المصاحف ، المنقول عنه بالتواتر))^(٢) وقيل ((هو كلام الله المعجز المنزل وحياً على النبي (صلى الله عليه وآله) المكتوب في المصاحف ، المنقول عنه بالتواتر المتعبد بتلاوته))^(٣) .

الجنور التاريخية لمصطلح الجذب

الجذب هو مصطلح صوفي ، وقد ظهر هذا المصطلح مبكراً في مراجع التصوف الإسلامي حيث تحدث أبو نصر السراج الطوسي (ت ٣٧٨هـ) عن جذب الأرواح وما يتعلق به من أوصاف ترجع كلها إلى معنى التوفيق والعناية في اجتذاب المريد ^(٤) ، ((ويقول شيخ التصوف : إن صاحب الجذبة يرى في بدايته ما يكون له في نهايته وإن جذبة من جذبات الحق تُربي على أعمال الثقلين ، وللمجذوب بعد جذبته إلى مقام القرب إحدى الحالتين : فقد يستقر في هذا المقام ولا يرجع إلى ما كان عليه ، أولاً فسمى عاشقاً وقد يعود إلى حالته الأولى ويواصل سلوكه فيسمى (المجذوب السالك) و(السالك المجذوب) وقد تحصل الجذبة للسالك في نهاية سلوكه فيسمى حينئذ (السالك المجذوب) و(المجذوب السالك) وكلاهما مؤهل لرتبة المشيخة وتربية المريدين ، بخلاف المجذوب المجرد أو السالك المجرد فإن أيّاً منهما لا يصلح لهذه الرتبة))^(٥) .

وقد يتبادر إلى الذهن أيضاً عند سماع لفظة الجذب أنه المراد به هو الجذب في الطبيعيات والفيزياء ولكن دخول هذا المفهوم في الأبحاث العلوم الإنسانية والاجتماعية سيحصل له تغييرات ولم يعد يقصد به الجذب المادي بل يكون القصد هو الجذب النفسي

(١) ظ : ابن منظور / لسان العرب (مادة قرأ) / ٣٥٦٣ .

(٢) داؤد العطار / موجز في علوم القرآن / ١٧ .

(٣) السيد محمد باقر الحكيم / علوم القرآن / ١٧ .

(٤) اللمع / ٤٤٥ .

(٥) المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية / موسوعة المفاهيم الإسلامية العامة ، ١/ ١٨١ .

والمعنوي ومعنى ذلك أنه عندما يشعر الشخص بوجود عامل يشد إليه وسيميل صوبه ولو أمكن له لأتحد معه أو على العكس من ذلك فإنه يوجد بعض الأشياء لا يحب الفرد أن يقترب منها بل يحب الابتعاد عنها قدر الإمكان لما فيها من المنفرات ^(١).

((وعليه يكون عامل الجذب نفسي وروحي هذا أمرًا ماديًا أو شخصًا معينًا أو فكرة أو عقيدة فمثلاً نرى منظرًا طبيعيًا جميلًا جدًا فهو قد يجذبنا نحوه بأجسادنا المادية إلى أنه سلب منا جميع حواسنا وانتباهنا فنتيه في النظر إليه ، وعليه فإن الإسلام بنظرنا عبارة عن مجموعة من التصديقات والقيم والأحكام فيشمل المسائل الاعتقادية والمسائل القيمية والقوانين الفردية والاجتماعية فهي تكون جاذبة للدين))^٢ وعليه نقصد في هذه الرسالة المعالم الموجودة في القرآن الكريم التي تجذب الناس إلى الله تعالى .

وعليه فالرسالة قد اختصت بدراسة العلامات التي وضعها الله تعالى في كتابه الكريم والتي كانت موضع إثارة انتباه الناس ، والتي تمثلت في الفصل الأول ، وكذلك الوسائل التي تستخدم في التقرب نحوه تعالى ، والتي تمثلت في الفصل الثاني .

(١) ظ : محمد تقي المصباح اليزدي / تحدّيات ومواجهات / ١٣٧-١٣٨ .

(٢) المصدر السابق / ١٣٨-١٣٩ .

الفصل الأول : معالم الانجذاب في القرآن الكريم

المبحث الأول : المعالم الظاهرة ، المفاهيم والتطبيقات

المبحث الثاني : المعالم غير الظاهرة ، المفاهيم والتطبيقات

مَدْخَلٌ

أن معالم الانجذاب في القرآن الكريم متنوعة ، فهي تتنوع بحسب ما تتكلم عنه فنجد فيه أسلوب الترغيب الذي يشوق المدعويين إلى الاستجابة إلى تعاليم الدين الإسلامي وقبول الحق والثبات على ما دعا إليه ، وأسلوب الترهيب الذي يحذر ويخيف المدعويين من عدم الاستجابة إلى التعاليم وعدم قبول الحق والثبات عليه^(١) .

فكتاب الله تعالى المنزل على رسوله الكريم (صلى الله عليه وآله) مملوء بمعالم الانجذاب التي ترغب الناس في قبول الدين الإسلامي وتحذر من رفضها ، فنجد في معالمه استعمال الرجاء ، والمنفعة ، والبشرى للمؤمنين ، وما أعدّه تعالى من جنات ونعيم والفوز برضاه ورحمته ، واستعمال الأسلوب القصصي من أجل الاتعاض والمنفعة منه في حياتنا ، ونجد فيه معالم الانجذاب المتصفة بالمضرة التي ينظر إليها الإنسان السوي على أنها من دعائم الدين الأساسية نحو : أسلوب التخويف من العذاب الآخروي الذي أعدّه تعالى لمن خالفه ، والمضرة ، والانذار ، والوعيد ، وحوادث الأمم السابقة والاتعاض بما حدث لها ، فتكون معالم الانجذاب للمؤمنين زيادة لإيمانهم والثبات لهم ، ولغير المؤمنين إظهار محاسن الدين الإسلامي وما يدعو إليه ، وأثره في حماية حقوقهم وعلى أمور حياتهم النفسية والاجتماعية وقضاياهم السياسية ، وغيره من معالم الانجذاب التي تبين قبوله تعالى توبة من تاب ، والصفح عنه ورفع منزلته يوم القيامة وما أعدّه تعالى له من نعيم مقيم ورحمة ورضوان ، فتعالى رحمته سبقت سخطه ، قال تعالى : ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ (الرعد: ٦)، وقال : ﴿نَبِيُّ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ * وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ﴾ (الحجر: ٤٩-٥٠) .

وبناءً على ذلك يجب على المؤمنين التمسك بالدين الإسلامي والاستقامة عليه حتى ينالوا ما وعدهم تعالى من مغفرة وجنة عرضها السماوات والأرض ، قال تعالى : ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (آل عمران: ١٣٣) .

(١) ظ : عبد الكريم زيدان / أصول الدعوة / ٤٢١ .

المبحث الأول : المعالم الظاهرة، المفاهيم والتطبيقات

(الرجاء ، المنفعة ، البشرى ، الوعد ، القصص)

الفرع الأول : الرجاء

الرجاء لغةً : الرجاء في اللغة مأخوذ من (رجا - يرجو) ، والإسم الرجاء بالمدّ ويستعمل بمعنى الأمل، تقول رجوت الأمر أرجوه رجاءً، ويرد الرجاء بمعنى الخوف، قال تعالى: ﴿ مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴾ (نوح: ١٣) بمعنى لا تخافون الله عظمة ، وقول ما أرجو بمعنى ما أبالى وفسرت الآية على هذا القول أيضاً . أما الرّجاء المقصور فيرد بمعنى الناحية كقوله تعالى : ﴿ وَالْمَلَكُ عَلَىٰ أَرْجَائِهَا ﴾ (الحاقة: ١٧) أما المهموز فيرد بمعنى التأخير، كقوله تعالى : ﴿ تُرْجَىٰ مَنْ تَشَاءُ مِنْهُمْ ﴾ (الاحزاب: ٥١) ومنه سميت المرجئة^(١)، وتأتي بمعنى لا يريدون كقوله تعالى: ﴿ لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا ﴾ (النور: ٦٠)^(٢) .

الخلاصة: الرجاء بمعنى الأمل .

اصطلاحاً : ذكر للرجاء تعريفات عدة كلها تدور حول الانتظار المحبوب نذكر منها ((ظنّ يقتضي حصول ما فيه مسرة))^(٣) قيل: ((هو ارتياح القلب لانتظار ما هو محبوب عنده ولكن ذلك المحبوب المتوقع يجب أن يكون له سبب فإن كان انتظاره لأجل حصول أكثر أسبابه فاسم الرجاء عليه صادق))^(٤).

كذلك قيل: ((هو كل من يتوقع حصول مطلوب له في المستقبل وحصل له ظنّ وجود أسبابه حصل له في باطنه فرجّ مقارن لتصور حصوله ، ويسمى ذلك الفرّج رجاء))^(٥) قال الشّريف الجرجاني (ت ٨١٦هـ) : الرجاء ((تعلق القلب بحصول محبوب في المستقبل))^(٦). وقال الفيروزآبادي (ت ٨١٧هـ) : الرجاء ((هو الاستبشار بوجود فضل الرب تعالى والارتياح لمطالعة كرمه))^(٧) وذكر المناوي (ت ١٠٣١هـ) : ((هو ترقب الانتفاع بما تقدم له سبب ما))^(٨)

(١) ظ: ابن فارس / مقاييس اللغة (مادة رجي) ، ٤٩٤/٢ - ٤٩٥ .

(٢) ظ: الفيومي / المصباح المنير (مادة رجو) / ٢٢١ .

(٣) الراغب الأصفهاني / المفردات في غريب القرآن / ٢٥٣ .

(٤) الغزالي / إحياء علوم الدين ، ١٣٩/٤ .

(٥) الطوسي / أوصاف الأشراف / ٥٧ .

(٦) التعريفات / ٩٥ .

(٧) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ، ٤٦/٣ .

(٨) التوقيف على مهمات التعاريف / ١٧٤ .

وقيل: ((ترقب الخير مع تغليب ظنّ حصوله))^(١) .

نخلص من الأقوال السابقة أنّ الرجاء هو ارتياح قلبي من العبد لانتظار شيء محبوب ، وهو ثقة من العبد لانتظار فضل الرب تعالى بعد العمل على توفير أسبابه .

حقيقة الرجاء

للرجاء منزلة كريمة وفضيلة عالية ومن الأخلاق التي أمرنا بالتخلق بها ، فهو يورث المواظبة على الطاعات والمجاهدة بالأعمال ، ويعد من دعائم الإيمان ، فهو لا يليق إلا بالمؤمنين وهو كما لو ألقى بذراً في أرض توفرت جميع أسبابها من حيث أنها صالحة للزراعة ويمكن أوصول الماء إليها ، فالدنيا هي مزرعة الآخرة ويكون القلب الأرض والبذور الإيمان وتجري الطاعات مجرى تطهير الأرض وتقليبها ، فكل من بث البذر في أرض طيبة وقام بتنقيتها وساق الماء إليها جلس منتظراً من فضل الله تعالى أن يدفع عنها الآفات حتى يتم الزرع اطلق على انتظاره رجاءً .

فالرجاء يصدق على انتظار محبوب تهيأت جميع أسبابه الداخلة تحت سيطرة العبد ولم يبق له إلا أن ينتظر فضل الله تعالى بدفع المفسد عنه^(٢) . فيجب على العبد أن يبيت في قلبه بذر الإيمان وبماء الطاعات يسقيه ويطهره من رذائل الأخلاق وينتظر من فضل الله تعالى عليه المداومة على ذلك إلى الموت فذلك الانتظار يعد رجاءً محموداً ، أما إذا ترك قلبه مشحوناً بالأخلاق السيئة وينتظر المغفرة من الله تعالى فانتظاره غرور وحمق لا رجاء^(٣) .

قيل لأبي عبدالله (عليه السلام) : إن قوماً من مواليك يلمون بالمعاصي ويقولون نرجو ، فقال: ((كذبوا ليسوا لنا بموال ، أولئك قومٌ ترجحت بهم الأماني ، من رجا شيئاً عمل له ومن خاف من شيء هرب منه))^(٤) عن أبي عبدالله (عليه السلام) يقول : ((لا يكون المؤمن مؤمناً حتى يكون خائفاً راجياً ولا يكون خائفاً راجياً حتى يكون عاملاً لما يخاف ويرجو))^(٥) .

(١) ابن عاشور / التحرير والتنوير ، ٣٣٨/٢ .

(٢) ظ : الفيض الكاشاني / الحقايق في محاسن الأخلاق / ١٥٨ .

(٣) ظ : شبر / الأخلاق / ٢٤٣ .

(٤) الكليني / الكافي : كتاب الإيمان والكفر ، باب الخوف والرجاء ، ٦٧/٢ .

(٥) المصدر السابق : كتاب الإيمان والكفر ، باب الخوف والرجاء ، ٧١/٢ .

فالرجاء تعلق بالله تعالى وعبودية له من حيث اسمه البرّ المحسن فالتعلق بأسمه الكريم والمعرفة به هو الذي يوجب للعبد الرجاء من حيث لا يدري أو يدري ، ففوة الرجاء تعتمد على قوة المعرفة بالله تعالى ، ولولا الرجاء لعطل خشوع القلب وعبودية الجوارح ، وعلى حسب محبة العبد وقوة المعرفة بالله تعالى يكون الرجاء وعليه فكل محب يكون خائفاً راجياً بالضرورة ، فهو يخاف من إبعاده وطرده وسقوطه من عينه فخوفه يكون أشد خوفاً ، فعليه المحبة تكون مصحوبة بالرجاء والخوف ، فخوف المحب يختلف عن خوف المسيء لأنه لا يصحبه خشية ورجاؤه لا غاية به . فالرجاء يعد من الضروريات لكل مسلم ، ولو تركه لحظة لتلف فالعبد دائر بين ذنوب يرجو غفرانها ، وعيوب يرجو إصلاحها ، واستقامة يرجو دوامها وأعمال صالحة يرجو قبولها ومنزلة وقرب من الله يرجو وصوله إليها ، وعليه لا ينفك من هذه الأمور أحد من السالكين^(١) .

الاسباب الجالبة للرجاء إلى الله

أن حال الرجاء يغلب بشيئين الأول الاعتبار والثاني استقراء الآيات والأخبار

الاعتبار : هو أن يتأمل الفرد بجميع النعم التي أنعمها الله تعالى عباده وعجائب حكمه التي راعاها في فطرة الإنسان ، مما أعدّ له في الدنيا كل ما هو ضروري له في دوام الوجود كالغذاء وما هو محتاج إليه كالأصابع والأظفار وما هو زينة له كاختلاف ألوان العينين وتقوس الحاجبين وحمرة الشفتين وغير ذلك ، فالعناية الإلهية إذا لم تقصر عن عباده في أمثال هذه الدقائق من الحاجة والزينة فكيف يرضى بسياقهم إلى الهلاك فإذا تأمل الإنسان في هذه الدقائق علم أنّ أكثر الخلق قد هيئ له أسباب السعادة في الدنيا إلى الحد الذي يكره بعده الانتقال من هذه الدنيا بالموت لكثرة النعم وغلبتها ، وحتى يغدو من يتمنى الموت من الفرد النادر ولا يتمناه أيضاً إلا في حالة نادرة وحادثة غريبة ، فإذا تأمل حق التأمل قوي به أسباب الرجاء . ومن الاعتبار أيضاً النظر في حكمة الشريعة الإسلامية وسنتها في مصالح الدنيا ووجه الرحمة للعباد بها^(٢) .

(١) ظ: الفيروز آبادي / بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ، ٤٧/٣-٤٨ .
(٢) ظ: الغزالي / إحياء علوم الدين ، ١٤٩٣/٤ ، الفيض الكاشاني / أحوال السالكين / ١٥٨ ، شبر / الأخلاق / ٢٤٦ .

الآيات والأخبار : فما ورد في الرجاء خارج عن الحصر ومنها قوله تعالى : ﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ (الزمر: ٥٣) ، وقوله تعالى : ﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ ﴾ (الضحى: ٥) .

الرجاء في القرآن الكريم

ورد الرجاء في القرآن الكريم على نوعين هما الم محمود والمذموم فالأول مدار البحث ، أي : الذي يكون العبد فيه يعمل بأوامر الله تعالى وعلى نور من الله تعالى فيكون راجياً لثوابه ، وعبدًا أذنب ثم تاب من ذنبه فهو راجٍ لمغفرته ، فالرجاء لا ينفك عن العمل ، وهذا النوع القرآن أكد عليه ، قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (البقرة: ٢١٨) ، فهؤلاء الذين يستحقون الرجاء ويليق بهم ، قوله تعالى : ﴿ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾ (الكهف: ١١٠)^(١). وهذا انجذاب لما فيه من رجاء لمن يرجو الثواب ، أو يرجو غفران الذنب.

فيكون الرجاء الطمع ، لقوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (البقرة: ٢١٨) ، يرجون هنا بمعنى يطمعون ، لقوله تعالى : ﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴾ (الاسراء: ٥٧)^(٢) . وتوقع الثواب ، لقوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّنْ تَبُورَ ﴾ (فاطر: ٢٩) اخبر (عزَّ وجلَّ) عن عباده الذين يؤمنون بكتابه ويتلونه ويعملون به من إقامة الصلاة والإنفاق سرًّا وعلانية ليلاً ونهارًا ، يرجون ثوابًا من فضل الله لا بد من حصوله^(٣).

(١) ظ: الفيروز آبادي / بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ، ٤٨/٣ .

(٢) ظ: الثعالبي / جواهر الحسان في تفسير القرآن ، ٤٣٩/١ .

(٣) ظ: ابن كثير / تفسير القرآن العظيم ، ٥٤٥/٦ .

ثمرات الرجاء

- ١- إن الرجاء يبعث المؤمن على سرعة الوصول في الطريق المطلوب وعلى الترقى نحو الكمال ،لقوله تعالى : ﴿ يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّنْ تَبُورَ * لِيُوفِّيَهُمْ أَجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴾ (فاطر: ٢٩-٣٠) .
 - ٢- يقضي الرجاء على حسن الظن بعفو الباري ومغفرته والثقة برحمته ، قوله تعالى : ﴿ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ ﴾ (البقرة: ٢١٨)، وروي عن الإمام الرضا (عليه السلام) أنه قال: ((أحسن الظن بالله فإن الله عزّ وجلّ يقول : أنا عند ظن عبدي المؤمن بي ، إن خيراً فخييراً وإن شراً فشرّاً))^(١) (٢) .
 - ٣- يبعث الرجاء في المؤمن على إظهار الفاقة والعبودية لله تعالى ، ولا يستغني عن إحسانه وفضله طرفة عين .
 - ٤- إن الله (عزّ وجلّ) يحب من عباده المؤمنين أن يرجوه ويؤملوه ، ويسألونه من فضله ، لأنه تعالى هو الملك الحق ، فهو أوسع من أعطى ، وأجود من سئل .
 - ٥- يطرح الرجاء المؤمن على عتبة المحبة ، فكلما اشتد رجاء المؤمن وحصل ما يرجوه منه تعالى ازداد حبّاً وشكراً لله تعالى .
 - ٦- فهو يقضي بالمؤمنين على حصول مقام الشكر وهو أعلى المقامات فهو خلاصة العبودية ، فإن حصل للمؤمن رجوه كان أدعى لشكره^(٣) .
- فالجذب القرآني يكون في الرقي ، والكمال ، والعفو ، والمغفرة ، والحب ، والشكر ، فهي جميعها تجذب نحو الله تعالى .

(١) ظ: الكليني / الكافي : كتاب الإيمان والكفر ، باب الخوف والرجاء ، ٧٢/٢ .

(٢) ظ: الطوسي / أوصاف الأشراف / ٥٧ .

(٣) ظ: ابن قيم الجوزية / مدارج السالكين ، ٥٢/٢ .

التطبيق

فالرجاء مثلاً يبعث المؤمن على حسن الظن بالله تعالى ويبعث على الطمع بمغفرته وعفوه تعالى ويعطيه أحسن الجزاء على ما يقدمه في هذه الدنيا من خير ويبعد عن نفسه روح اليأس من مغفرته تعالى وعفوه ، لقوله تعالى : ﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ (الزمر : ٥٣)، فهو يدفع المؤمنين إلى العمل الصالح ، لقوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّنْ تَبُورَ * لِيُوفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴾ (فاطر : ٢٩-٣٠)، فيبعثهم على تلاوة القرآن وأداء الصلاة في وقتها ويؤدون الزكاة الواجبة ويتطوعون بالصدقة وكل ذلك من أجل الرجاء والطمع بالتجارة التي لا تهلك ولا تكسد ، فتعالى سيعطيهم ثواب اعمالهم ويوفيهم أجورهم ويزيدهم على ذلك^(١) .

وأيضاً يقومون بالهجرة والجهاد في سبيل الله ، لقوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (البقرة: ٢١٨)، فهم يهاجرون ديارهم ويحاربون في سبيل دين الله تعالى طمعاً في دخول جنته ولأجل أن يرحمهم الله تعالى بفضل رحمته^(٢) .

وما ورد أيضاً عندما أخبر يعقوب (عليه السلام) بنيه أن يتحسسوا من يوسف وأخيه (عليهما السلام) فهو قد توقع وقوع الخير وحثهم على عدم اليأس^(٣)، لقوله تعالى : ﴿ يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَيْأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ ﴾ (يوسف : ٨٧) .

(١) ظ : الطبري / جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، ٣٦٥/١٩ .

(٢) ظ : المصدر السابق ، ٦٦٧/٣ .

(٣) ظ : الطوسي / التبيان في تفسير القرآن ، ١٨٥/٦ .

الفرع الثاني : المنفعة

المنفعة لغة : ذكر ابن فارس (ت ٣٩٥هـ) : النون والفاء والعين كلمة مضادة لكلمة الضر ، يقال نفعة ينفعه نفعاً^(١). الاسم المنفعة ، والنافع اسم من أسماء الله تعالى فهو ، يوصل النفع إلى خلقه ، (فعرّ وجلّ) خالق الضرّ والنفع والشرّ والخير^(٢). فالنفع هو الخير فالإنسان ما يتوصل به إلى مطلوبه^(٣) .

المنفعة اصطلاحاً : قال الراغب الاصفهاني (٥٠٢هـ) : ((النفع ما يستعان به في الوصول إلى الخير وما يتوصل به إلى الخير فهو خيرٌ، فالنفع خيرٌ وضده الضر))^(٤). فالنفع الخير ((وهو ما يتوصل به الإنسان إلى مصلحته الدينية أو الدنيوية))^(٥).

الاستعمال القرآني للفظه النفع

لقد أستعمل القرآن الكريم هذه اللفظة في المنافع الدنيوية و الآخروية ونبينها كالاتي :

المنافع الدنيوية : ذكر لفظ النفع في الأمور التي لها اتصال بالإنسان وتعود عليه بالنفع الكثير فذكر تعالى لفظ النفع ومشتقاته بما يدل على منافع اجتماعية وسياحية وصناعية وزراعية^(٦) ، من ذلك قوله تعالى : ﴿ وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴾ (المؤمنون: ٢١)، فمن عظيم قدرته تعالى علينا رزقنا بالأنعام وذكر لنا فوائدها من اللبن ولحمها وصوفها ووبرها وغيرها من المنافع الأخرى والاستفادة منها في النقل في البر وهذا أيضاً مفسر في سورة النحل قوله تعالى : ﴿ وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴾ (النحل: ٥)^(٧) .

(١) ظ: مقاييس اللغة (مادة نفع) ، ١٥٨/٢ .

(٢) ظ: ابن منظور / لسان العرب (مادة نفع) / ٤٥٠٧ .

(٣) ظ: الفيومي / المصباح المنير (مادة النفع) / ٦١٨ .

(٤) المفردات في غريب القرآن / ٦٥٠ .

(٥) الشنقيطي / الترجمان والدليل لآيات التنزيل / ٨٢٠ .

(٦) ظ: راند نصري أبو مؤنس / المنفعة وخصائصها الذاتية في التشريع الإسلامي / ١١١ .

(٧) ظ: الطبرسي / مجمع البيان في تفسير القرآن ، ١٣٥/٧ .

ومن المنافع الصناعية إنزال الحديد لقوله تعالى : ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ (الحديد: ٢٥) .

فمن نعمه تعالى علينا إنزال الحديد من السماء فيه منافع كثيرة فما من صناعة إلا والحديد جزءاً منها (١) .

فهي تجذبنا نحو خالقها الذي أنعم علينا بها وجعل لنا الحرية الكاملة في التصرف والتمتع بها ، وهي من باب شكر المنعم على نعمه وأحسانه علينا والقبح عقلاً عدم شكر المنعم عليها .

المنافع الآخروية : هي التي تتصل بتنظيم علاقة العبد مع ربه وأتباعه طرق الهداية التي توصله إلى السعادة في الآخرة بعد بيان طريق الحق لذلك وردت آيات كثيرة في استعمال لفظ النفع ومشتقاته في سياق البعد الديني ، من ذلك قوله تعالى : ﴿ قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ (المائدة: ١١٩) فيقول الله تعالى هذا يوم الصدق النافع الذي ينفع الصادقين على صدقهم ، فصدقهم في الدنيا ينفعهم في الآخرة ويرزقهم جنات تجري من تحتها الأنهار ثواباً لهم على صدقهم بالله تعالى فوفى الله تعالى لهم (٢) .

وأيضاً قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذَا مِنْ الظَّالِمِينَ ﴾ (يونس: ١٠٦) ، فقد جاء في سياق الآية الكريمة خطاب من الله تعالى موجه إلى رسوله الكريم أن يخبر الناس أنه يتبرأ مما يذهبون إليه وأنه يعبد الله تعالى ولا يشرك به أحداً وأن يقيم وجهه للدين ويتوجه نحو الحق وأن لا يدعو غير الله تعالى من آلهة التي لا تنفع ولا تضر من عبادتها شيء وهذا الخطاب وأن توجه إلى الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) لكن المراد به الأمة فعبادة غير الله تعالى ظلماً للنفس وأبعادها عن الحق (٣) .

فالله تعالى استعمل لفظ النفع بعد بيان طريق الحق وإقامة الحجة على الخلق فالمنفعة هي التوجه نحو عبادة الخالق من أجل الفوز برضا الرحمن وسلوك طريق الجنان .

(١) ظ: القمي/ تفسير كنز الدقائق وبحر الغرائب ، ١١٦/١٣-١١٧ .

(٢) ظ: الطبري / جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، ١٤٢/٩ .

(٣) ظ: الطوسي / التبيان في تفسير القرآن ، ٤٤١/٥ .

التطبيق

المنفعة فتتجلى لنا بعبادة الله تعالى وترك عبادة غيره ، لقوله تعالى : ﴿وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ (يونس: ١٠٦)، فالمنفعة تظهر لنا بعبادة الله تعالى وقبح عبادة غيره من الآلهة وأن كانت تنفع وتضر والأقبح من ذلك عبادة الآلهة التي لا تنفع ولا تضر ، فعبادة الله تعالى تجلب لنا بعد الظلم عن أنفسنا ودفع الضر عنها . والمنفعة تظهر لنا بالتذكير بالوعظ التي يستفيد منها المؤمنون الذين يتعظون بالمواعظ الإلهية ويستدلون بآيات الله تعالى ^(١)، لقوله تعالى : ﴿وَذَكَرْ فَإِنَّ الذِّكْرَ يُتَنَفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (الذاريات: ٥٥) .

والمنفعة التي تكون ظاهرة للإنسان مما خلق تعالى الأنعام التي يستفاد منها في الأكل والشرب من أجل أحياء النفوس واستعمالها في النقل ، لقوله تعالى : ﴿وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ (النحل: ٥)، ﴿وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَمَشَارِبُ أَفَلَا يَشْكُرُونَ﴾ (يس: ٧٣)، فجعل تعالى منها ما ينتفع منها في لحمها في الأكل وشرب لبنها والاستفادة من اصوافها وركوب ظهرها إلى غير من المنافع الكثيرة التي توجد فيها ^(٢) .

والاستفادة من البحر في النقل بالسفن ^(٣) ، لقوله تعالى : ﴿وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ﴾ (غافر: ٨٠)، فما خلق تعالى من شيء الا وظهرت لنا منافعه واستفدنا منها بشكل وآخر

(١) ط : الطوسي / التبيان في تفسير القرآن ، ٣٩٧/٩ .

(٢) ط : المصدر السابق ، ٤٧٥/٨ .

(٣) ط : الشيرازي / الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل ، ٤٥٦/٥ .

الفرع الثالث : البشرى

البشرى لغة : البشر هو أظهار الشيء مع جمال وحسن ، فالبشارة الجمال ، والتبشير بالخير ، وأيضاً يأتي للشر ، فالبشارة مع الأطلاق للخير^(١) . التبشير الذي يبشر القوم شراً أو خيراً^(٢) .

البشرى اصطلاحاً : قال الشيخ الطوسي (ت ٤٦٠هـ) : البشارة ((هو الأخبار بما يسر المخبر به إذا كان سابقاً لكل خبر سواه ، والأخبار بما يغم أيضاً يسمى بشارة))^(٣) . والبشارة أيضاً ((الأخبار بما يظهر سرور المخبر به))^(٤) ، وقيل : ((هي أول خبر يرد على الإنسان من خير كان أو من شر واكثر استعماله في الخير))^(٥) ، وأيضاً ((هي الأخبار بما يوجب ظهور آثار السرور في بشرة المخبر وقد تستعمل في الأخبار بالشر أيضاً توبيخاً وتعييراً))^(٦) .

البشارة في القرآن الكريم

أن البشارة تدل على الخير وتدخل في النفس الفرح والسرور^(٧) ، فالنفوس قد جبلت على على حب ما يشعرها بالفرح والسرور، ومن الآيات الكريمة التي جاءت في هذا الصدد ، قوله تعالى : ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَا تُسَلِّ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ ﴾ (البقرة: ١١٩) ، فانه تعالى أرسل رسوله الكريم مبشراً بالإسلام ديناً وبمحمد نبياً فمن أتبعه بشر بالنصر في الدنيا والثواب النعيم في الآخرة^(٨) ، و قوله تعالى : ﴿ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ ﴾ (البقرة: ٢١٣) . فجميع الآيات الكريمة التي ورد فيها الثواب والترغيب والفلاح في الدنيا والآخرة والوعد بالجنة فهي من البشارة للمؤمنين^(٩) .

(١) ظ: ابن فارس / مقاييس اللغة (مادة بشر) ، ٢٥١/١ .

(٢) ظ: ابن منظور / لسان العرب (مادة بشر) / ٢٨٨ .

(٣) التبيان في تفسير القرآن ، ١٠٧/١ .

(٤) الزمخشري / الكشاف عن حقائق التنزيل ، ٦٢/١ .

(٥) أبو حيان الأندلسي / تفسير البحر المحيط ، ٢٥١/١ .

(٦) السبزواري / مواهب الرحمن في تفسير القرآن ، ١٧٤/١ .

(٧) ظ: الراغب الأصفهاني / المفردات في غريب القرآن / ٦٣٠ .

(٨) ظ: الطبري / جامع البيان عن تأويل أي القرآن ، ٤٨٠/٢ .

(٩) ظ: صالح بن عبد العزيز آل الشيخ / البشارة في القرآن الكريم ومضامينها التربوية / ١٣ .

لقد وردت البشارة في القرآن الكريم على نوعين هما : البشارة بالخير والأخرى بالسوء والأول مدار البحث .

البشارة بالخير : لقد جرت سنته سبحانه وتعالى مع عباده في كتابه الكريم أن يدعوهم إليه ويقربهم منه ، وأن يتلطف بهم وهو اللطيف الرحيم ، فقد وردت بشارات متعددة منها لأوليائه والمختبين والمحسنين والصابرين والمؤمنين والبشارة بالأولاد لأوليائه الصالحين والبشارة بالرياح التي تحمل الغيث ، سنتناول كل واحدة من هذه البشارات بالشرح الموجز عنها :

١-بشارة أولياء الله ، قوله تعالى : ﴿ أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ * لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ (يونس: ٦٢-٦٤)، الولي هو القائم بأمر معين ، وولي عهد المسلمين يقال لمن عهد إليه أمور المسلمين^(١) . فبشر تعالى أوليائه ببشارتين في الدنيا والآخرة ، فأما بشارة الدنيا فهي الرؤيا الصالحة التي يراها المسلم ، ومنها بشارة الملائكة لهم عند خروج أرواحهم برحمة الله تعالى لهم ، والبشارة في الآخرة هي الجنة لقوله تعالى : ﴿ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ﴾ (البقرة: ٢٥)، فالله تعالى لا يخلف وعده لعباده بل ينجزها لهم ، فهذا هو الفوز العظيم^(٢) .

٢-بشارة المختبين ، لقوله تعالى : ﴿ وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ * الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَىٰ مَا أَصَابَهُمُ وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ (الحج: ٣٤-٣٥)، فالمختب هو المتواضع وقيل المطمئن إلى ذكر الله تعالى ، فبشارته تعالى للمختبين الذين وصفهم تعالى إذا ذكر ثوابه على طاعته خشعوا من ترك الطاعة ، وإذا ذكر عقابه على معاصيه خافوا منه تعالى، والصابرين على ما يبتليهم الله تعالى في هذه الدنيا من مصائب وأوجاع وأمراض ، والذين يقيمون الصلاة ويحافظون عليها ويؤدوها بحقوقها ، وينفقون مما ملكهم الله تعالى بما يرضيه فهؤلاء لهم البشارة من الله تعالى^(٣) .

(١) ظ: الطبري / جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، ٤٠٨/٢ .

(٢) ظ: المصدر السابق ، ٢٢٥/١٢ .

(٣) ظ : الطوسي / التبيان في تفسير القرآن ، ٣١٥/٧ .

٣-بشارة الصابرين ، قوله تعالى : ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ * الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾ (البقرة: ١٥٥-١٥٦)، فبشارة من الله تعالى لرسوله (صلى الله عليه وآله) ولكل مؤمن من صبر على أنواع المصائب من الخوف والجوع ونقص الأموال وموت الأحباب ونقص الثمرات فعند مصيبتهم قال إنا لله وإنا إليه راجعون لهم البشرى من الله تعالى والفوز برضاه (١) .

٤-بشارة المحسنين ، لقوله تعالى : ﴿ لَن يَنَالَ اللَّهُ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَىٰ مِنْكُمْ كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (الحج: ٣٧)، المحسن هو الموحد ، وقيل الذي يعمل أعمالاً حسنة ولا يسيئون إلى غيرهم ، عند النظر إلى سياق الآيات الكريمة فقد جاءت في بيان مناسك الحج ، وبعدها في بيان المجاهدين والمهاجرين ، فبشر الله تعالى لهم بالنصر وغلبتهم على المشركين (٢) .

٥-بشارة المؤمنين ، فالإيمان الصادق هو الإيمان بالله تعالى والعمل الصالح الأساس للإنسان المسلم وبهما تتحقق السعادة الحقيقية في الدنيا والأبدية في الآخرة ، ومن الآيات الكريمة التي وردت فيها البشارة للمؤمنين ، قوله تعالى : ﴿ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رَزَقُوا قَالُوا هَٰذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأَنُوتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ (البقرة: ٢٥)، فالإيمان دون العمل لا يقضي الطاعات فالله تعالى يبشر كل من آمن به وعمل صالحاً يبشره ببساتين الشجر والنخيل والأنهار تجري من تحتها والثمار والأزواج الطاهرة من كل الأقدار والخلود فيها فهذه بشارات من الله تعالى لهم ، جزاءً على أيمانهم الصادق وعملهم الصالح (٣) .

ومن بشاراته تعالى بالرحمة والرضوان ، قوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَكْظَمَ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ * يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴾ (التوبة: ٢٠-٢١)، فكل من آمن بالله تعالى رباً

(١) ظ: الزمخشري / الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل ، ١٠٤/٢ .

(٢) ظ: الطبرسي / مجمع البيان في تفسير القرآن ، ١١٤/٧ .

(٣) ظ: الخازن / لباب التأويل في معاني التنزيل ، ٣٢/١ .

وهاجر وجاهد بماله ونفسه أعظم درجة عند الله تعالى من جميع الخلق فيشارته تعالى لهم بالرحمة والرضوان عليهم ، فهذا وعدًا من الله تعالى لهم ^(١) .

وأيضًا من بشارات المؤمنين المنزلة الرفيعة ، لقوله تعالى : ﴿ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ ﴾ (يونس: ٢)، فجزاء تصديقهم بالله تعالى يبشرهم ويرزقهم هذه المنزلة ^(٢) .

٦- بشارة العاصين بالرحمة ، ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ نَبِيُّ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ * وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ * قَالَ وَمَنْ يَقْنُطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ ﴾ (الحجر: ٤٩-٥٠-٥٦)، فهذه البشارة من باب الوعد والوعيد ، فتوصيف تعالى ذاته بالرحمة والغفران فهو من ترجيح الوعد وتأكيده ، فلا يقنط من رحمته تعالى إلا المخطئون الذين لا يعرفون سعة رحمته تعالى ^(٣) .

٧- البشارة بالأولاد ، أن للأسرة المسلمة أهمية كبيرة ولها دور فعال في اصلاح المجتمع ورقيه ، وللاولاد منزلة كبيرة عند آبائهم ، لقوله تعالى : ﴿ الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴾ (الكهف: ٤٦)، فقد ورد في القرآن الكريم آيات عديدة تضمنت البشارة بالأولاد وهي نعمة كبيرة من الله تعالى ولا يعرف قدرها إلا من ذاق طعم حرمانها وعند النظر إلى كرامات أولياء الله وما رزقهم من كرامات يدفعنا إلى الطمع برحمته تعالى، ومن تلك الكرامات تبشير نبينا إبراهيم (عليه السلام) وزوجته بالولد ، قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ﴾ (٦٩ هود:)، ﴿ وَأَمْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ * قَالَتْ يَا وَيْلَتَى أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ ﴾ (هود: ٧١-٧٢)، فقد وقع التبشير هنا لزوجته هنا ، ووقع لإبراهيم (عليه السلام) في قوله تعالى : ﴿ فَبَشِّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ ﴾ (الصافات: ١٠١)، ﴿ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ ﴾ (الذاريات: ٢٨) ^(٤) .

وأيضًا من البشارات استجابة دعاء زكريا (عليه السلام) عندما دعا الله تعالى أن يرزقه ذرية صالحة ، فبشره تعالى بيحيى (عليه السلام) لقوله تعالى : ﴿ فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي

(١) ظ: الثعالبي / الجواهر الحسان في تفسير القرآن ، ١٧٠/٣ .

(٢) ظ: أبو سعود / إرشاد العقل السليم ، ٦٢٤/٢ .

(٣) ظ: القمي / كنز الدقائق و بحر الغرائب ، ١٣٢/٧-١٣٤ .

(٤) ظ: الشوكاني / فتح القدير ، ٧١٠/٢-٧١١ .

في المِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٣٩﴾ (ال عمران: ٣٩) ﴿يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا * قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا﴾ (مريم: ٧-٨)، فيبين الله تعالى صفات مولوده أنه سيّد على قومه وسيفوقهم في محامد الخصال ويقوم بإصلاح قومه في دنياهم وآخرتهم ونبيًّا وحضورًا^(١).

فمن البشارة له أيضًا جعل اسمه يحيى وهو اسم مبتكر ، وميزة هذا الاسم إقتداء الناس به فأنهم سيسمون أبنائهم بهذا الاسم ، فالله تعالى قد جعل ليحيى ما لم يجعل لقبله من الأنبياء فقد أعطاه النبوة وهو صبي ، قوله تعالى : ﴿وَأَنبِئْهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا﴾ (مريم: ١٢)، وجعله حضورًا وأنه قد ولد لأبيه بعد الكبر ، وأنه بشر برسالة عيسى (عليه السلام) ، فهذه كلها من بشارات الله تعالى لنبيه زكريا (عليه السلام)^(٢).

نستفيد من ذلك أن البشارة بالأولاد من النعم العظيمة التي يبشر بها الانسان ، والأعظم من ذلك صلاحهم واستقامتهم في الحياة الدنيا ، فعلى المبشر أن يشكر الله تعالى على ما بشر به من الأولاد والذرية الصالحة .

٨- البشارة بالرياح^(٣)، فهي من السنن الإلهية التي تسير على نظام واحد مدى ملايين السنين لا تتبدل ولا تتغير ، فهي من النعم العظيمة التي نبشر بها وتقودنا إلى عبادة الله الواحد القادر على كل شيء، ومن تلك الآيات قوله تعالى : ﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّىٰ إِذَا أَقْلَتْ سَحَابًا ثِقَالًا سَقْنَاهُ لِبَدًا مِّمَّيْنِ فَانزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ (الاعراف: ٥٧)، (فعزّ وجلّ) ينشر الرياح امام المطر تبشر به ، ومن ذلك قوله تعالى : ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيَّاحَ مُبَشِّرَاتٍ وَلِيَذِيقَكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَلِتَجْرِيَ الْفُلُكُ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (الروم: ٤٦)، فأراد الله تعالى برحمته المطر فهذا المعنى توضحه الآية ﴿وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ﴾ (الشورى: ٢٨)، فالرياح تحمل السحاب وتسوقه إلى حيث يشاء الله تعالى

(١) ظ: ابن عاشور / التحرير والتنوير ، ٢٤٠/٣-٢٤١ .

(٢) ظ: المصدر السابق ، ٦٩/١٦-٧٠ .

(٣) الرياح تكون للبشارة عادةً والرياح تكون للعذاب الأليم لقوله تعالى : ﴿بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (الاحقاف: ٢٤) .

من بقاع الأرض وهذا المعنى توضحه الآية ، قوله تعالى : ﴿ وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَّاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۗ ﴾ (فاطر: ٩) (١). وقوله تعالى : ﴿ وَاللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسْفًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ۗ ﴾ (الروم: ٤٨)، فالرياح التي تنتشر السحاب تبشر الناس ، لأن الماء مادة حياتهم وحياة النبات والحيوان، فالرياح نعمة من الله تعالى تبشر بهطول الأمطار .

التطبيق

البشرى فمعالمها كثيرة في آيات القرآن الكريم فتظهر بالبشارة بالثواب الجزيل والجنات التي أعدها تعالى لمن آمن به بالإضافة إلى الفلاح في الدنيا والاستخلاف في الأرض للمؤمنين ، لقوله تعالى : ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا ۗ ﴾ (النور: ٥٥)، فجعل تعالى استخلاف أرضه لكل من آمن به وصدق رسوله وعمل العبادات خالصًا لوجه الكريم ، كما استخلف الذين من قبلهم ، وأيضًا يستبدل خوفهم أمانًا معززين بفضل قوة الإسلام وانتشاره (٢) .

وأيضًا تظهر لنا البشارة بالرزق بالذرية الصالحة ، كما ذكر تعالى لنا عندما بشر نبينا ابراهيم (عليه السلام) بولديه اسحاق واسماعيل (عليهما السلام) ونبينا زكريا (عليه السلام) عندما بشرته الملائكة بيحيى (عليه السلام) لقوله تعالى : ﴿ فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ ۗ ﴾

(ال عمران: ٣٩)، فهذه من البشارات العظيمة التي يمن الله تعالى بها على عباده وخصوصًا أن يكونوا صالحين مؤمنين بالله تعالى فالرزق بهذه الذرية يدخل السرور والفرح على القلب بأن ذريته تكون صالحة مستقيمة في الحياة نافعة للمجتمع (٣).

(١) ظ: الشنقيطي / اضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ، ٣٨٠/٢ .

(٢) ظ : الطبرسي / مجمع البيان في تفسير القرآن ، ١٩٤/٧ .

(٣) ظ : ابن عاشور / التحرير والتنوير ، ٢٤٠/٣-٢٤١ .

وأيضاً من البشارات التي تظهر لنا وبشكل جلي الرياح التي تحمل السحاب وتدفع به إلى الأرض الميتة فتحياها وتبعث فيها الحياة ^(١)، لقوله تعالى : ﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّىٰ إِذَا أَقْلَتِ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ﴾ (الاعراف: ٥٧)، فهذه تطبيقات ظاهرة لنا في الحياة الدنيا ونشاهدها بأعيننا في أغلب الأوقات .

الفرع الرابع : الوعد

الوعد لغة : يستخدم في الشر والخير ، ومطلقاً في الخير ^(٢). ذكر الراغب الأصفهاني (ت ٥٠٢هـ) الوعد يستخدم في الشر والخير حسب سياق الآية الكريمة فمن استعمالها في الخير قوله تعالى : ﴿وَعَدَكُمُ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً﴾ (الفتح: ٢٠)، وفي الشر قوله تعالى : ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ﴾ (الحج: ٤٧)، ومما يتضمنهما معاً قوله تعالى : ﴿أَلَا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾ (يونس: ٥٥)، فالوعد بالقيامة وجزاء من فعل خيراً فخيئاً ومن فعل شراً فشراً ^(٣) .

اصطلاحاً : قال الشيخ الطوسي (ت ٤٦٠هـ) : ((الوعد هو الخبر بفعل الخير في المطلق، فهو بالتقييد للخير والشر معاً غير أنه إذا أطلق لم يكن إلا في الخير ، وكذلك إذا أبهم التقييد ، لأنه بمنزلة المطلق)) ^(٤) ، وسوف أفصل به في عدة محاور :

الجنة

الجنة فأصلها من (جن) ومعناه التستر ، فالبلستان جنة لأن أرضه تنستر بأوراق أشجاره، وعند العرب تطلق الجنة إذا كان في الأرض نخل طوال ، والجنة ما أعده الله تعالى للمسلمين في الآخرة ^(٥) .

(١) ظ : ابن عاشور / التحرير والتنوير ، ١٨٠/٨ .

(٢) ظ : الجوهري / تاج اللغة وصحاح العربية (مادة وعد) / ١٢٥٥ .

(٣) ظ : المفردات في غريب القرآن / ٦٨٢ .

(٤) التبيان في تفسير القرآن ، ٣٤٧/٢ .

(٥) ظ : ابن فارس / مقاييس اللغة (مادة جن)، ٤٢١/١ .

وعرفت أنها ((البستان من النخل والشجر المتكاثر المظلل بالتفاف أعضائه))^(١)، وهذا التعريف مستند إلى معناه اللغوي ، وعرفت أيضاً ((هي مركز لأنواع المواهب والنعم الإلهية المعنوية والمادية))^(٢)

الوعد بالمحفظات الموجودة في الجنة

لقد تحدث القرآن الكريم عن الجنة واسمائها وأوصافها وكل ما يتعلق بها لعظمتها ، والشيء إذا علا شأنه يكثر اسماءه وتتعدد صفاته فهي دار الخلود التي رغب الله تعالى بها العباد ، لذلك تحدث القرآن الكريم كثيراً عن نعيمها ترغيباً بها .

وافقت المذاهب على أن المحفظات الموجودة في الجنة للجسد والروح ، قال الشيخ المفيد (٤١٣هـ) : ((وثواب أهل الجنة الالتذاذ بالمآكل والمشارب والمناظر والمناجح وما تدركه حواسهم مما يطبعون على الميل إليه ، ويدركون مرادهم بالظفر به وليس في الجنة من البشر من يلتذ بغير مأكّل ومشرب وما تدركه الحواس من الملذذات ، وقول من يزعم : أن في الجنة بشراً يلتذ بالتسبيح والتّقدس من دون الأكل والشّرب ، قول شاذ عن دين الإسلام ، وهو مأخوذ من مذهب النّصارى الذين زعموا أن المطيعين في الدنيا يصيرون في الجنة ملائكة لا يطعمون ولا يشربون ولا ينكحون ، وقد أكذب الله سبحانه هذا القول في كتابه بما رغب العاملين فيه من الأكل والشرب والنّكاح))^(٣).

النعم المادية : لقد تحدث القرآن الكريم كثيراً عن النعم المادية الموجودة في الجنة بما يجذب انتباه الناس ويدعوهم إلى فعل الطاعات والفضائل التي توجب استحقاق هذه المواهب الإلهية ، فالنعم الموجودة في الجنة واسعة ومتنوعة وجاذبة للنفس الإنسانية ، ومن هذه المواهب المادية الموجودة في الجنة هي :

١- مساكن أهل الجنة ، السكن يعد من العوامل المهمة لراحة الإنسان ، لذا أشار القرآن الكريم بتعابير مختلفة إلى مساكن أهل الجنة ، ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ ﴾ (التوبة: ٧٢) ، (فعرّ وجلّ) وعد عباده المؤمنين بقصور مبنية من الزبرجد الأخضر

(١) الزمخشري / الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل ، ٦٢/١ .

(٢) الشيرازي / نفحات القرآن ، ١٣٥/٦ .

(٣) تصحيح اعتقادات الامامية / ١١٧ .

واللؤلؤ والياقوت الأحمر خالدين فيها^(١). (فَعَزَّ وَجَلَّ) وعد عباده بالمنازل الرفيعة وأيضاً فوق هذه المنازل منازل أرفع منها فغرف المؤمنين تجري الأنهار من تحت أشجارها ثواباً من الله تعالى لهم استناداً لقوله تعالى : ﴿ لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِنْ فَوْقِهَا غُرَفٌ مَبْنِيَّةٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَعَدَ اللَّهُ لِمَنِ يُخْلِफُ اللَّهَ الْمِيعَادَ ﴾ (الزمر: ٢٠)، (فَعَزَّ وَجَلَّ) لا يخلف وعده (٢) .

ومن نعمه تعالى الفرش التي باطنها من الاستبرق الغليظ الذي يكون في منتهى الجمال ، كما جاء قوله تعالى : ﴿ مُتَكَبِّرِينَ عَلَىٰ فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ ﴾ (الرحمن: ٥٤)، أما ظاهرها كما قيل فهو من الديباج الرفيع^(٣). بالإضافة إلى وسائدهم المريحة ﴿ وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ﴾ (الغاشية: ١٥) لرفع منزلتهم ، وذكر تعالى أيضاً سرائرهم : ﴿ فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ ﴾ (الغاشية: ١٣) فيجلس المؤمن عليها ويرى كل ما خوله ربه من الملك^(٤) . فهم لا يرون حرّاً ولا سموماً لقوله تعالى : ﴿ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا ﴾ (النساء: ٥٧)، والظليل الذي لا يدخله السموم والحر ، فلذلك عزَّ وجلَّ وصفه بالظليل^(٥) . فهم لا يتأذون من شمس لقوله تعالى ﴿ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمَهْرِيرًا ﴾ (الانسان: ١٣)، ولا من البرد الشديد^(٦) .

٢-أطعمة وأشربة أهل الجنة ، لقد بين القرآن الكريم إنَّ أغذية أهل الجنة متنوعة للغاية ، وأنَّ الغذاء الرئيس لهم كما يستفاد من الآيات الكريمة هو الفواكه حيث قدمت الفواكه في كثير من الآيات الكريمة ، فهي في تناول الجميع^(٧)، لقوله تعالى : ﴿ وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ * لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴾ (الواقعة: ٣٢-٣٣)، فهي على كثرتها متنوعة فهي لا توجد في اوقات معينة ولا تمنع بسبب بعدها أو شوكها كما في الدنيا^(٨) . فهي على ضربين ، لقوله تعالى : ﴿ فِيهِمَا مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ ﴾ (الرحمن: ٥٢)، ضرب معروف شكله في الدنيا والآخر غريب ، وقيل أن في الجنة كل ثمرة نوعين كاليابس والرطب من التين واليابس والرطب من العنب ، فبعض

(١) ظ : الطوسي / التبيان في تفسير القرآن ، ٢٥٨/٥ .

(٢) ظ : المصدر السابق ، ١٨/٩ .

(٣) ظ : الشريف الكاشاني / زبدة التفسير ، ٥٥٧/٦ .

(٤) ظ : المصدر السابق ، ٤١٣/٧ .

(٥) ظ : القرطبي / الجامع لأحكام القرآن ، ٤٢٢/٦ .

(٦) ظ : الشيرازي / الأمل في تفسير كتاب الله المنزل ، ٥١٤/١٤ .

(٧) ظ : الشيرازي / نفحات القرآن ، ١٦٩/٦ .

(٨) ظ : الطبرسي / مجمع البيان ، ٢٨٠/٩ .

الآيات الكريمة أكدت على فواكه معينة لقوله تعالى : ﴿ فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَانٌ ﴾ (الرحمن: ٦٨)، جرياً على سنة العرب فيذكرون الأشياء جملة ثم يخصصون شيئاً معيناً تنبيهاً على أفضليته ، فقد قيل أنهما من أفضل الفواكه^(١) .

ومن غذائهم أيضاً اللحوم ، لقوله تعالى : ﴿ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴾ (الواقعة: ٢١)، فإذا اشتهى أحدٌ من أهل الجنة لحم طيرٍ خلق الله تعالى له طيراً نضيجاً^(٢) .

أما أشربة أهل الجنة فهي متنوعة كتتنوع الفواكه ومنعشة ، وأن هذه الأشربة الكثير منها يكون على شكل أنهار ، لقوله تعالى : ﴿ مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى ﴾ (محمد: ١٥)، فمياه الجنة غير متغيرة وألوانها لا تعتربها أي عوارض من الحامض أو القارص كما يحدث في الدنيا ، وخمارها لذیذة لا يتأذى شاربها عكس خمار أهل الدنيا التي تسبب الصداع والسكر والأذى لشاربها ، أما العسل فهو خالٍ من جميع عيوب عسل الدنيا وخالص من الرغوة والشمع^(٣) .

أما الأواني والأكواب التي يتناولون فيها فلقد رسم القرآن الكريم صورة جمالية لما لها من جاذبية وتأثير عميق في عرض الأطعمة والأشربة فهما من الذهب والفضة، لقوله تعالى : ﴿ يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ ﴾ (الزخرف: ٧١)، ((فتدور عليهم خدامهم من الولدان المخلدين بطعامهم بأحسن الأواني وأفخرها وهي صحاف الذهب ، وشرابهم بألطف الأواني وهي الأكواب التي لا عرى لها وهي من أصفى الأواني من الفضة))^(٤) .

وقوله تعالى : ﴿ وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بِآنِيَةٍ مِنْ فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرًا * قَوَارِيرًا مِنْ فِضَّةٍ قَدَرُوهَا تَقْدِيرًا ﴾ (الإنسان: ١٥-١٦)، ((فمعدن الأكواب من فضة ولكنها رقيقة شفافة كالزجاج ينفذ فيها البصر كما ينفذ فيه))^(٥) .

(١) ظ : الطبرسي / مجمع البيان ، ٢٦٥/٩-٢٦٩ .

(٢) ظ : المصدر السابق ، ٢٧٨/٩ .

(٣) ظ : المصدر السابق ، ١٢٨/٩ .

(٤) السعدي / تيسير الكريم الرحمن / ٧٦٩ .

(٥) مغنية / الكاشف ، ٤٨٤/٧ .

٣- ألبسة وحلي أهل الجنة ، يعتبر اللباس من الأمور المهمة لدى الإنسان لما له من دفع العوارض والأمراض عنه أما في الآخرة فهو عكس ذلك ، فلا توجد عوارض وأمراض فلذلك اللباس من مظاهر الزينة ، لذا جاء ذكر اللباس بتعابير مختلفة لأبراز زينته لما له من جاذبية وتأثير في النفس ^(١)، ومن تلك الآيات قوله تعالى : ﴿ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ ﴾ (الكهف: ٣١) ، فالسندس الرقيق ، والاستبرق هو الديباج الذي ينسج بالذهب ، وأيضاً ورد مثل هذه الآية في سورة الدخان قوله تعالى : ﴿ يَلْبَسُونَ مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَقَابِلِينَ ﴾ (الدخان: ٥٣) .

أما الحلي لها أثر كبير في نفس الإنسان وتبعث فيه البهجة والارتياح ، فلقد ورد في القرآن الكريم أن أهل الجنة يتزينون بأرقى أنواع الحلي فهي مصنوعة من الذهب واللؤلؤ والفضة ، قوله تعالى : ﴿ يُحَلِّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا ﴾ (الحج: ٢٣) ﴿ وَخَلُّوا أَسَاوِرَ مِنْ فِضَّةٍ ﴾ (الأنسان: ٢١)، فقد قيل لما كان الملوك يلبسون التيجان والأساور في الدنيا لذلك جعله عز وجل لأهل الجنة ^(٢) .

٤- حور العين في الجنة ، من النعم التي ذكرها تعالى الزوجة الصالحة وجاء بهذا السياق آيات عديدة لما للزوجة من أثر على حياة الإنسان ، فالزوجة الصالحة تحول الحياة إلى بهجة وسعادة أما عكسها فتحول الحياة إلى جحيم لا يطاق حتى وأن توفرت كل أسباب الراحة ^(٣)، ومن الآيات التي جاءت في هذا السياق قوله تعالى : ﴿ وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ ﴾ (البقرة: ٢٥) ، فهن مطهرات من جميع العيوب فهن مطهرات بالخلق الحسن من حيث الأدب الفعلي والقلوب فهن مطهرات اللسان عن كل كلام قبيح ومطهرات بخلقهن من البول والغائط والحيض والرائحة الكريهة وجميع العيوب التي تصيب الادميات ^(٤) .

بالإضافة إلى جمالهن الذي ينبهر العقل فيهن ، لقوله تعالى : ﴿ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ ﴾ (الدخان: ٥٤)، فحور العين النساء الجميلات الذي ينبهر عقل الإنسان بجمالهن ويختار الطرف

(١) ط : الشيرازي / نفحات القرآن ، ١٧٩/٦ .

(٢) ط : القرطبي / الجامع لأحكام القرآن ، ٢٦٥-٢٦٦ .

(٣) ط : الشيرازي / نفحات القرآن ، ١٨٣/٦-١٨٤ .

(٤) ط : السعدي / تيسير الكريم الرحمن / ٢٠٥ .

لحسنهن فهن ضخام العين^(١) . فقد وصفهن تعالى : ﴿كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ﴾ (الرحمن: ٥٨) ، لبهائهن وصفائهن وجمالهن وصفهن بالياقوت والمرجان .

(فِعْزٌ وَجَلٌّ) جمع بهن الجمال وكمال الأخلاق ، قوله تعالى ﴿ خَيْرٌ حَسَانٌ ﴾ (الرحمن: ٧٠) ، فقد تهيأن بخيام مصنوعة من اللؤلؤ لأزواجهن^(٢) . قوله تعالى : ﴿ حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ ﴾ (الرحمن: ٧٢) .

٥-مضيفو أهل الجنة ، من النعم الإلهية لعباده المؤمنين في الجنة المضيفون الذين اتصفوا بجمال ظاهريهم وحسن أخلاقهم بما يجذب أهل الجنة إليهم ، فقد ورد في القرآن الكريم آيات عديدة تتحدث عن الولدان المخلدين والغلمان ، فهما من نعم الله تعالى التي تفضل بها على أهل الجنة ، قوله تعالى : ﴿ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثورًا ﴾ (الانسان: ١٩) الولدان هم الذين أعدهم الله تعالى لخدمة أهل الجنة ، وأختار تعالى الولدان لأنهم أخف حركة فيطوفون عليهم باستمرار وكذلك المخدم لا يتخرج من نهيمهم وأمرهم ، وكذلك أنهم لا يشيبون ولا يتكهلون فصفاتهم ثابتة لا تتغير ومن شدة جمالهم شبههم تعالى باللؤلؤ المنثور^(٣) . قوله تعالى : ﴿ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ ﴾ (الطور: ٢٤) ، الغلمان هم الذين يخدمون في الجنة أيضاً واعمارهم ما يقارب سن البلوغ أو يبلغه ، فيمشون تكراراً حول أهل الجنة وأيضاً شبههم تعالى باللؤلؤ المخزون النفيس الذي لا يتحلى به إلا في المحال لكي يبقى على بياضه ولمعانه^(٤) .

٦-النعم غير معلومة ، لقد ذكر تعالى في القرآن الكريم الكثير من النعم التي أعدها لعباده المؤمنين ولكن ليس هذا كل شيء فقد أعد نعم التي لا يمكن تصورها استناداً إلى قوله تعالى : ﴿ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ (الزخرف: ٧١) فهذا التعبير قد شمل جميع النعم والمواهب التي أعدها الله تعالى في الجنة ، فنعم الجنة لا تستطيع الخلائق عدّها ولا يمكنها تصورها ، فنجد في الآية الكريمة تقديم لذة الأنفس على لذة الأعين فهذا التقديم من باب الخاص والعام فلذة الأنفس إشارة إلى جميع ما تدركه الحواس (اللمس والذوق

(١) ظ : السعدي / تيسير الكريم الرحمن / ٧٧٥ .

(٢) ظ : المصدر السابق / ٨٣١-٨٣٢ . .

(٣) ظ : ابن عاشور / التحرير والتنوير ، ٣٩٧/٢٩ .

(٤) ظ : المصدر السابق ، ٥٦-٥٥/٢٧ .

والسمع والشم) أما العام هي لذة البصر لأنها تعادل كل اللذات وأكثرها ، وكذلك إشارة لذة الأنفس إلى اللذات المادية ولذة الأعين إشارة إلى اللذة الروحية ، وما ورد من الآيات في هذا الشأن قوله تعالى : ﴿ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴾ (فصلت: ٣١) ، ﴿ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ ﴾ (النحل: ٣١) ، فالعطاء الرباني في الجنة لا يمكن تصويره ولا يمكن حده بأي حد من حيث الزمان والمكان والمقدار والنوع والكيفية فهو عطاء فوق تصورنا ، فما هو ألا مظهر من مظاهر القدرة الإلهية واللفظ الرباني^(١) .

النعم الروحية

تعد الروح اشرف واسمى بكثير من الجسم ، فالنعم الروحية في الجنة أعظم بكثير من النعم المادية ، فلذة إدراك صفاته تعالى ومعرفته ومعرفته أطافه تفوق جميع النعم المادية الموجودة في العالم ، من هذه النعم الروحية الموجودة في الجنة هي :

١- رضا الله تعالى ، تعد هذه النعمة من أفضل كل النعم التي أعدها تعالى ، فشعور العبد برضا الرب عليه نعمة ممزوجة بقيمة الوجود والشعور بالشخصية إذ لولاهما لم يكن موضع قبول محبوبه له ، فمن الآيات الكريمة التي أشارت إلى رضا الله تعالى عن أهل الجنة ، قوله تعالى : ﴿ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ ﴾ (ال عمران: ١٥) ، فالعبد إذا نهى نفسه عن هواها وخاف مقام ربه وبذلك يرضى تعالى عنه ، وهذه النعمة اعظم واكبر من جميع النعم الدنيوية والآخروية مجتمعين^(٢) .

ومن ذلك أيضاً قوله تعالى : ﴿ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ (التوبة: ٧٢) ، العبد يفوز فوزاً عظيماً اذا أَرْضَى ربه في أقواله ومقاصده وأفعاله^(٣) .

فالرضا متبادل بين الله (عزّ وجلّ) وعباده ، كما جاء في قوله تعالى : ﴿ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ﴾ (التوبة: ١٠٠) ، (فرضا الله سبحانه عن المؤمنين هو نتيجة لإيمانهم وأعمالهم الصالحة التي عملوها ، ورضاهم عن الله لما أعد لهم من الجزاء والعطايا المختلفة التي لا

(١) ظ : الشيرازي / نفحات القرآن ، ١٩٣/٦ - ١٩٥ .

(٢) ظ : مغنية / الكاشف ، ٢٣/٢ .

(٣) ظ : المصدر السابق ، ٦٩/٤ .

تتركها عقول البشر ، فإنّ هؤلاء قد نفذوا كل ما أَرَادَهُ اللهُ مِنْهُمْ وفي المقابل أعطاهم الله كل ما أَرَادُوا وعلى هذا فكما الله سبحانه راض عنهم ، فإنهم راضون عن الله تعالى))^(١) .

٢-الأمان والسلام في الجنة ، من النعم الروحية الموجودة في الجنة هو الشعور بالأمان فلا يوجد خوفٌ ولا حَقْدٌ بل يملأها الحب و السعادة ، كما جاء في قوله تعالى : ﴿لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَهُمْ وَلِيُّهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (الأنعام:١٢٧)، ذكر السيد الطباطبائي (ت ١٤٠٢هـ) أن المراد بالسلام هنا هو التعري عن الآفات الظاهرة والباطنة فالجنة هي دار الأمان ، فلا يوجد ما يهدد العبد من مرض أو فقر أو حزن أو موت ، فهذه الجنة التي وعد الله تعالى بها أوليائه فهي دار سلام لهم^(٢) . فالأنسان المؤمن لا يعتريه الخوف فهو مطمئن البال .

ومن الآيات أيضاً قوله تعالى : ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ﴾ (الدخان:٥١) ، فالمتقون لا يصيبهم اي مكروه مطلقاً يوم القيامة^(٣) ، فالشعور بالأمان فيها من النعم الروحية.

٣-الأصدقاء والعلاقات الطيبة في الجنة ، فمن النعم الروحية الموجودة في الجنة هي مرافقة الأصدقاء الصالحين الذين يمتلكون الأخلاق الحميدة والسجايا الرفيعة ، فالجلوس مع هؤلاء يبعث في النفس البهجة والسرور ، من ذلك ما ذكرته الآية الشريفة قوله تعالى : ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾ (النساء:٦٩) ، إذ لا رفيق أفضل وأحسن من الذين ذكرتهم الآية ، فرفقة هؤلاء لا يعني التساوي معهم في المقام بل هي إمكانية الارتباط والاتصال بالآخر .

فأجواء الجنة مملوءة بالمحبة والبهجة والسعادة والناس يتبادلون فيما بينهم الأحاديث الطيبة فيتعاملون فيما بينهم بالمودة والاحترام ، كما جاء في قوله تعالى : ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا * إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا﴾ (الواقعة:٢٥-٢٦) ، فأهل الجنة يلقون التحية بينهم والملائكة تحييهم أيضاً ، وأنهم منشغلون بالمجالس التي تدخل عليهم السرور : ﴿إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغْلٍ فَاكِهُونَ﴾ (يس:٥٥)^(٤) .

(١) الشيرازي / الأمل في تفسير كتاب الله المنزل ، ٢٩١/٥ .

(٢) ظ : الميزان في تفسير القرآن ، ٣٤٥/٧ .

(٣) ظ : المصدر السابق ، ١٤٩/١٨ .

(٤) ظ : الشيرازي / نفحات القرآن ، ٢٠٤-٢٠٧ .

٤-النعم غير معلومة ، يوجد في القرآن الكريم تعابير تخرج عن إطار العقل الإنساني ولا يمكنه تصورهما وتخليها ، وهذا يدل على عظمة العطاء الإلهي ، كقوله تعالى : ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (السجدة:١٧) ، فجاءت الآية الكريمة بعد بيان صفات المؤمنين الذين ينجون ربهم ليلاً ، وينفقون مما رزقهم ، وهذا يدل على أنهما من أفضل الطاعات^(١) ، وهناك نقطة جميلة عندما قال تعالى ((قرة أعين)) وهذا التعبير يكون عند الفرح الشديد فتخرج الدموع باردة عكس إذا كان الحزن تخرج الدموع حارقة ، والمعروف عند العربي إذا كان هنالك حادثة جميلة تبعث على السرور لصاحبها يقولون له قرت عينه .

فهذه الآية وغيرها من الآيات الكريمة يحملهن في طياتهن النعم الروحية والجسدية التي لا يستطيع العقل الإنساني الوصول إليها مهما بلغ من التعمق بها وكذلك الملائكة الصالحون والأنبياء المرسلون من الوصول إلى معرفة ما أعده الله تعالى لعباده المؤمنين^(٢) .

موجبات دخول الإنسان إلى الجنة

لقد ورد في القرآن الكريم آيات كثيرة تبين أوصاف أهل الجنة والاسباب التي توصل الفرد إلى المنزلة الرفيعة والسعادة الأبدية وهذه الأوصاف هي :

١-الإيمان والعمل الصالح : إن أساس النجاة والفوز بالجنة هو الإيمان الصادق بالله تعالى ، والابتاء بالأعمال الصالحة ، ومن تلك الآيات قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا ﴾ (النساء:١٢٢)، فقد ورد ما يشابه هذا التعبير في آيات كثيرة ، وهذا يدل على أهمية الموضوع والعناية به خاصة^(٣) ، وقد جاءت الآية الكريمة على أثر الآيات التي تتحدث عن وعود الشيطان وكشف النقاب عن الوعود التي يعطيها إلى الإنسان وبيان عاقبة من ابتعد هو الخسران ، فجاءت الآية تبين أن الوحداية لله تعالى والنبوة لرسوله (صلى الله عليه وآله)

(١) ظ : الشيرازي / نفحات القرآن ، ٢١٧/٦ .

(٢) ظ : المصدر السابق ، ٢١٨/٦ .

(٣) ظ : المصدر السابق ، ١٣٧/٦ .

فالذين صدقوا وأدوا الفرائض التي أمر الله تعالى بها ، سيدخلهم تعالى جنات خالدين فيها جزاءً على أعمالهم التي عملوها في الدنيا ، فهذا وعدٌ صادقٌ من الله تعالى لهم (١) .

٢- طاعة الله تعالى ورسوله الكريم ، فطاعة الله تعالى والرسول توجب الدخول إلى الجنة ، كما جاء في قوله تعالى : ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (النساء: ١٣)، فهذا وعدٌ من الله تعالى لمن أطاعوا أوامره وأدوا فرائضه يدخلهم جنات الخلود ، فهذا هو الفلاح العظيم (٢) .

٣- التقوى ، لقد ورد في القرآن الكريم آيات كثيرة ذكرت التقوى وقد أعطى الإسلام أهمية كبيرة لها ، وجعلها من أحد شعاراته ، كما في قوله تعالى : ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ (الحجرات: ١٣)، فالمتقون هم المطيعون لله ورسوله لفعلهم الطاعات واجتنابهم المعاصي ، لذا بين الله تعالى منزلة المتقين في قوله تعالى : ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (ال عمران: ١٣٣)، فقد وعد تعالى من اجتنب المعاصي جنة عرضها كعرض السماوات والأرض (٣) .

٤- الإحسان ، لقوله تعالى : ﴿فَأَنذَابَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ﴾ (المائدة: ٨٥)، المحسنون هم المؤمنون الذين يقومون بالأفعال الحسنة التي أمر الله تعالى بها ، (٤) فقد ورد في الروايات أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال : ((أن تعبد الله تعالى كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك)) (٥) . فالله تعالى قد أثنى كل من وحده بإخلاص جنات تجري من تحتها الأنهار (٦) .

٥- الجهاد والشهادة ، لقد وعد الله تعالى في القرآن الكريم المجاهدين في الإسلام بالجنة وقد أعطاهم الدرجة الرفيعة ، ومن هذه الآيات قوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُجْبِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ * تُوْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ * يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا

(١) ظ : الطبري / جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، ٥٠٥/٧ .

(٢) ظ : الطوسي / التبيان في تفسير القرآن ، ١٤٠/٣ .

(٣) ظ : المصدر السابق ، ٥٩١/٢ - ٥٩٢ .

(٤) الطبرسي / مجمع البيان في تفسير القرآن ، ١٦٦/٣ .

(٥) البخاري / صحيح البخاري ، باب سؤال جبريل للنبي عن الإيمان ، ١/٢٣ .

(٦) ظ : المصدر السابق ، ٣٣٠/٣ .

الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿الصف: ١٠-١٢﴾، فهي تجارة لا نظير لها بين الله تعالى والمؤمنين فمن آمن به وبرسوله الكريم (صلى الله عليه وآله) وجاهد بماله ونفسه في سبيل الله يغفر له ذنبه ويدخله جنات تجري من تحتها الأنهار جزاءً لانفاق أموالهم ومفارقة مساكنهم ، فهذا جزاء عظيم من الله تعالى لهم^(١) .

٦- الهجرة ، كما ورد في قوله تعالى : ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمَ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ * يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ * خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ (التوبة: ٢٠-٢٢)، فبين تعالى أنه من أتصف بهذه الصفات الأيمان وهاجر بماله ونفسه فقد نال المنزلة الرفيعة ، فالإنسان ليس لديه إلا روحه وبدنه وماله ، فإذا طهر روحه من الكفر ونال الأيمان فقد حصل على السعادة اللائقة به ، وأما بدنه وماله فبالهجرة والجهاد اصبحا معرضين للهلاك ، وهذان محبوبان عنده فالإنسان لا يعرض محبوبه إلى الخطر إلا إذا حصل على محبوب أكمل منه ، فالله تعالى بشرهم برحمته ورضوانه وجنات نعيمها دائم خالدين فيها أبدا^(٢) .

٧- نهى النفس عن الهوى ، فمن مفاتيح الجنة ترك الهوى ، لقوله تعالى : ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ * فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ﴾ (النازعات: ٤٠-٤١)، فالمؤمن من خاف من الله تعالى من الإتيان بالذنب ، وزجر نفسه عن المحارم والعصيان ، فإن الجنة منزلٌ له جزاء من الله تعالى^(٣) .

٨- الاستقامة في العمل ، كما جاء في قوله تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (الاحقاف: ١٣-١٤)، فكل من جمعوا بين التوحيد والاستقامة في الأمور ، فلا يخاف عليهم من لحاق المكروه بهم ، فجزائهم من الله تعالى على أعمالهم جنات خالدين فيها^(٤) .

(١) ظ : الرازي / مفاتيح الغيب ، ٣١٩-٣١٧/٢٩ .

(٢) ظ : المصدر السابق ، ١٦-١٤/١٦ .

(٣) ظ : القرطبي / الجامع لأحكام القرآن ، ٢٠٨-٢٠٧/١٩ .

(٤) ظ : البيضاوي / أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، ١١٣/٥ .

٩- السابقون إلى الإيمان ، أولئك الذين قربت درجاتهم من العرش وعلت منزلتهم في الجنة ، لقوله تعالى : ﴿ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ * أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ * فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴾ (الواقعة: ١٠- ١٢) ، فمن سبق إلى ترك المعاصي وفعل الطاعات أكرمه الله تعالى بمنزلة القرب منه^(١) .

١٠- الصابرون عند الشدائد ، فالصبر يمثل ركناً أساسياً في اجتناب كل معصية وامتنال كل طاعة ، قال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ * جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ ﴾ (الرعد: ٢٢-٢٣) فمن طلب رضا الله تعالى وترك المعاصي وصبر على البلاء وأدى التكليف بحدودها وداوم على فعلها ، ويدفعون من أساء إليهم بالعفو والإحسان والطاعة بالمعصية ، فأولئك لهم العاقبة الحميدة ورزقهم الدرجة العليا وجنات تدوم لا تقنى واکراماً لهم يلحق الله تعالى بهم آبائهم وذريتهم وأزواجهم من آمن وأن كانوا لا يعملون عملهم^(٢) .

١١- الصدق ، فهو يعد من أسمى وأجل أوصاف أولياء الله فهو من مفاتيح الجنة ، كما جاء في قوله تعالى : ﴿ قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ يَنفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ﴾ (المائدة: ١١٩) ، الصادقون تكون نياتهم في الدنيا وأعمالهم وأقوالهم مستقيمة على الصراط المستقيم ، فيعطيهم تعالى يوم القيامة ثمرة ذلك الصدق جنات خالدين فيها ورضا تعالى عنهم ، عكس الكاذبون الذين يتضررون نتيجة افتراءهم وكذبهم ، وبناءً على ذلك تنحصر جميع الأعمال الصالحة بالصدق ، وجميع الذنوب تنحصر بالكذب^(٣) .

١٢- الإخلاص ، أن الإخلاص في العقيدة والنية والعمل من الأسباب الموجبة لدخول الجنة ، كما جاء في قوله تعالى : ﴿ وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ * إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلِصِينَ * أُولَئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَعْلُومٌ * فَوَاكِهُ وَهُمْ مُكْرَمُونَ * فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴾ (الصافات: ٣٩-٤٣) ، فبعد بيان الله تعالى عذاب الكافرين فأستثنى تعالى المخلصين في أعمالهم فجاد عليهم بلطفه وأختصهم برحمته فرزقهم رزق عظيم من الفواكه التي تطيب لها النفس من لونها ولذتها

(١) ظ : أبو حيان الأندلسي / تفسير البحر المحيط ، ٢٠٤/٨-٢٠٥ .

(٢) ظ : شبر / الجوهر الثمين في تفسير الكتاب المبين ، ٢٤٧/٣ .

(٣) ظ : السعدي / تيسير الكريم الرحمن / ٢٠٥ .

وطعمها بالإضافة إلى أنهم معظمون مكرمون من أكرم المكرمين في جنات نعيمها دائم وسلمت من جميع المنغصات والمكدرات^(١) .

١٣-تركزية النفس ، فالتركزية هي التطهير من الذنوب في الأقوال والأفعال فالأساس هو الأيمان المقترن بالعمل الصالح ، كما جاء في قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى ، جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّى ﴾ (طه:٧٥-٧٦) ، فالذين زكوا أنفسهم بالإخلاص وتطهروا من شوائب الكراهية والخيانة لهم عند الله تعالى الدرجات العالية^(٢) .

١٤-الانفاق والاستغفار وكظم الغيظ والعفو ، فالانفاق في سبيل الله تعالى وفي السراء والضراء والعفو عن الناس وكظم الغيظ والاستغفار هذه الصفات ذكرت في بعض الآيات ووعدت أصحابها بالجنة ، كما جاء في قوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ * وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ ﴾ (ال عمران:١٣٤-١٣٥) ، ﴿ أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّاتُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴾ (ال عمران:١٣٦) ، فهذه مناقب عظيمة حتى عند غير المؤمنين فتعالى وصف بها عباده المؤمنين الذين لا يزيدهم الغنى حرصاً ولا طمعاً والفقر لا يبعثهم على اليأس ، وتمالك النفس الذي يدل على قوة الأيمان ، وأفضل منه العفو لأن كثير من الناس يكظم غيظه من أجل مصالحه الخاصة ، والاحسان إلى الغير ولو بكلمة والاستغفار عند ارتكاب الفاحشة ، فهذه من الأسباب المهمة التي توجب المغفرة لأصحابها ودخول الجنة^(٣) .

١٥-الخوف من الله (عز وجل) ، هذا الوازع من المعاصي ، كما ورد في قوله تعالى : ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتُ ﴾ (الرحمن:٤٦) ، فذكر أن المقام هو إحاطة الله تعالى بما يفعله العبد ومجازاته عليه ، وقيل وقوف العبد بين يدي الله للحساب ، فالخوف في هذه الآية الكريمة ليس الخوف من العقاب ، بل هو الخضوع لله تعالى واخلاص العمل والعبادة لوجه الكريم ، اما الجنتان فقد ورد فيها عدة تفاسير منها الجنة الروحية والأخرى الجسمية ، وقيل الجنة

(١) ظ : السعدي / تيسير الكريم الرحمن / ٧٠٣ .

(٢) ظ : مغنية / الكاشف ، ٢٣٠/٥ .

(٣) ظ : المصدر السابق ، ١٥٧/٢-١٥٨ .

لعمله والأخرى لعقيدته ، وقيل الجنة لترك المعاصي والأخرى لفعل الطاعات وهذه الأقوال لا يوجد دليل عليها^(١) .

١٦-الموالة والبراءة فمحبة الصالحين والتودد لهم والتبرؤ من الكفار ومعاداتهم يعتبر من مفاتيح الجنة كما قال تعالى : ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (المجادلة: ٢٢)، فقد أعطاهم تعالى الجنات بالإضافة إلى الأجر المعنوي وهو رضاه (عزّ وجلّ) عنهم وكذلك أعطاهم (عزّ وجلّ) تاج الشرف والفخر بأن جعلهم حزبه فحرب الصالحين ضد الفاسدين والظالمين من مظاهر التبرؤ لذلك أيدهم (عزّ وجلّ) بروح القدس فهم الجديرون بهذه المنزلة^(٢) .

١٧-المحافظة على الصلاة ، لقد ذكر عزّ وجلّ في سورة المعارج صفات أهل الجنة وقد ابتدأت الصفات بذكر الصلاة والاستمرار عليها ﴿إِلَّا الْمُصَلِّينَ * الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ * .. * وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ (المعارج : ٢٢-٢٣ ، ٣٤)، فتدل على أن خير الأعمال تبدأ بالصلاة وتختتم بالصلاة أيضاً ، فهي تحفظ الإنسان من الفساد والفحشاء ، كما جاء في قوله تعالى : ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾ (العنكبوت: ٤٥)، لذلك أعطى الله تعالى لصاحبها جنات مكرمون فيها ﴿أُولَئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُكْرَمُونَ﴾ (المعارج: ٣٥)، فتتضمن هذه الجنات النعم الروحية والجسمية^(٣) .

فهذه الأعمال التي أشرنا إليها تمثل جانباً مهماً للدخول للرحمة الإلهية والفوز بالنجاة والسعادة الأبدية .

(١) ظ : الطباطبائي / الميزان في تفسير القرآن ، ١٠٩-١٠٨/١٩ .

(٢) ظ : الشيرازي / نفحات القرآن ، ١٥٦/٦ .

(٣) ظ : المصدر السابق ، ١٥٧/٦ .

التطبيق

أما الوعد فوعده تعالى حق ولا يخلفه ابداً منها ما وعد تعالى المؤمنين بالغنائم التي يأخذونها في الحرب وهذا يشمل الوعد إلى يوم القيامة^(١) ، لقوله تعالى : ﴿وَعَدَكُمُ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا﴾ (الفتح: ٢٠) .

ومنها ما وعد تعالى المؤمنين بالجنات الجامعة لكافة أنواع النعيم والخالية من جميع أنواع الأذى والتي تجري الأنهار من تحت دورها وقصورها وأشجارها وبساتينها التي جمعت كل أنواع الخيرات والبركات ومساكنها التي حسنت وزخرفت وأعدت للمؤمنين فغرفها تكون في غاية الحسن والصفاء فيرى باطنها من ظاهرها وظاهرها من باطنها فهذه المساكن تكون حقيق على النفوس أن تشاق إليها ، ولم يكن وعده تعالى عند هذا الحد بل يشمل رضاه عنهم والذي يكون غاية آمال العارفين والنهاية التي يسعى إليها المؤمنون ، فرضاه تعالى أكبر من كل نعيم^(٢) .

الفرع الخامس : القَصَصُ

بنو اسرائيل في القرآن الكريم

اسرائيل هي كلمة عبرانية متكونة من مقطعين هما (اسرا ، نيل) وتعني عبد الله^(٣) ، واسرائيل هو نبي الله يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم (عليهم السلام)^(٤) ، فوردت كلمة اسرائيل في القرآن الكريم في ثلاثة واربعين موضعاً ، فيما يخص نبي الله يعقوب موضعين ، وأما ما يخص ذريته (عليه السلام) ورد في (٤١) موضع^(٥) .

موقف فرعون من بني اسرائيل

لقد بين الله تعالى في كتابه الكريم موقف فرعون اتجاه بني اسرائيل حيث استخدم فرعون عدة وسائل في تعذيبهم ، فقد كانوا يكلفون في أنجاز الأعمال الشاقة ، لذا كانوا أقساماً قسم

(١) ظ : السعدي / تيسير الكريم الرحمن / ٧٩٤ .

(٢) ظ : المصدر السابق : ٣٤٤ .

(٣) ظ : الطوسي / التبيان في تفسير القرآن ، ١٨٠/١ .

(٤) ظ : المصدر السابق ، ٩٤/٢ .

(٥) عبد الباقي / المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم / ٣٣ .

يستخدمونهم في حراثة الأرض ، وقسم يخدمونهم ، والقسم الآخر الذي لا يصلح للعمل يكلف بدفع الجزية ، قوله تعالى : ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضَعِفُ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴾ (القصص: ٤)، لذا كان فرعون يفرق بين القبط وبني اسرائيل فكان يذلهم ويستعبدهم^(١) . وأيضاً استعمل القتل بحق أبناءهم وبقاء بناتهم من أجل نكاحهن على وجه الاسترقاق ، واستخدامهن للخدمة ، وقد قيل أن السبب في فعل ذلك لرؤية فرعون في منامه ناراً قدمت من بيت المقدس حرقت الأقباط وبيوت المصريين وتركت بني اسرائيل ، فأولت رؤياه أن غلاماً يولد من بني اسرائيل يكون على يدية زوال ملكه وهلاكه وتبديل دينه ، فلذلك أمر بقتل كل صبي وبقاء البنات ، ولما كثر القتل في بني اسرائيل أقبل القبط على فرعون وقالوا له كثر الموت فيهم فيوشك العمل أن يقع علينا ، فأمر فرعون أن يتركوا سنة ويذبحوا في السنة الأخرى^(٢) ، قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴾ (البقرة: ٤٩)، ﴿ وَإِذْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يَقْتُلُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴾ (الاعراف: ١٤١) .

وبعد ذلك توقف عن القتل لفترة معينة ثم جدد القتل فيهم عندما بعث موسى (عليه السلام) عقوبة لهم ، ولكي يتمتع الناس عن الإيمان بموسى وأيضاً لا يكثرُوا فيعتصدوا بالذكور منهم ، كما جاء في قوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ وَاسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ ﴾ (غافر: ٢٥)^(٣) .

ومن الوسائل التي استعملها فرعون أيضاً السجن فهو وسيلة لا غنى عنها من قبل الطواغيت ولذلك عندما يحاول عزل الشخص عن محيطه الاجتماعي لكي لا يؤثر فيهم ، وقد يعدل الطواغوت عن قتل المؤمنين إلى السجن لما يرى من تقدير وتعظيم للشهيد في نفوس الجماهير ، لذلك كانت إحدى الوسائل التي استخدمها فرعون لتكليم الأقواه وأذلال الآخرين ، فقد روي أن سجن فرعون أشد من القتل ، فإذا دخل فيه أحدٌ لا يخرج منه حتى يموت ، فقد

(١) ظ : الطبرسي / مجمع البيان في تفسير القرآن ، ٣٠٠/٧ .

(٢) ظ : المصدر السابق ، ١٤٢/١-١٤٣ .

(٣) ظ : القرطبي / الجامع لأحكام القرآن ، ٣٤٥/١٨ .

كان يتوعد موسى (عليه السلام) بالسجن ، لقوله تعالى : ﴿ قَالَ لئن اتَّخَذَتِ إِلَهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ ﴾ (الشعراء: ٢٩) (١) .

دعوة موسى (عليه السلام) لفرعون لانتقاذ بني اسرائيل

لقد أضطهد الفراعنة بني اسرائيل قبل ولادة موسى (عليه السلام) وازداد الاضطهاد درجة مريعة حين قرر الفراعنة ذبح أبناء بني اسرائيل واستحياء نسائهم بالعمل والخدمة ، فأراد عز وجل أن ينقذ هذه الفئة المستضعفة من حالتهم والتفضل عليهم فأرسل موسى (عليه السلام) يعمل على انتقاذهم من الواقع الذي هم فيه وهداية فرعون وقومه إلى دين الحق وأطلاق سراحهم (٢)، لقوله تعالى : ﴿ فَأْتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ ﴾ (طه: ٤٧)، ﴿ فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ * أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾ (الشعراء: ١٦-١٧) .

فكان أول الخطوات لنجاة بني اسرائيل هو أعداد الشخصية القيادية القادرة على تحمل الصعاب والوقوف امام الفراعنة ، فأعد تعالى موسى (عليه السلام) لتحمل هذه المسؤولية فقال تعالى لموسى : ﴿ وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي ﴾ (طه: ٣٩)، فجري أمره على ما يريد تعالى به ، فهو مراعي لأحواله، و قال تعالى : ﴿ وَفَتَّنَاكَ فُتُونًا ﴾ (طه: ٤٠)، فتعالى اختبره اختباراً فمر (عليه السلام) ببلاء بعد بلاء وخلصه تعالى منها جميعاً ، فقال تعالى له : ﴿ وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي ﴾ (طه: ٤١)، فأختصه تعالى بهذه الألفاف ليتصرف على وفق أرادة الله ويحمل الرسالة ومواجهة فرعون ، فأن موسى (عليه السلام) قد تحمل منذ ولادته المشاق من ولادته في عام يذبح فيه الأبناء وألقاه في اليم ورعايته في قصر فرعون واندفاعه وقتل الفرعوني وخوفه وهربه من مصر وعمل في رعاية الأغنام فهذه كلها اختبارات من أجل أعداده في مواجهة فرعون وقومه (٣) .

فأول ما أمر الله تعالى به موسى وهارون (عليهما السلام) مواجهة فرعون بالقول اللين الذي تنجذب إليه نفسه وقلبه والرفق في دعوته وعدم الغلظة في ذلك وأن يدعوانه على

(١) ظ : القرطبي / الجامع لأحكام القرآن ، ٢٢-٢١/١٦ .

(٢) ظ : الشيرازي / الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل ، ١١٨/٨ .

(٣) ظ : الطوسي / التبيان في تفسير القرآن ، ١٧٣/٧-١٧٥ .

الرجاء والطمع في القبول منه لا على اليأس ، لقوله تعالى : ﴿ اذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴾ * فَقَوْلًا لَهُ قَوْلًا لِّئِنَّا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴾ (طه: ٤٣-٤٤) ، فالرفق في الدعوة والأمر بالمعروف يكون أوقع في النفس وأسرع في القبول وأبعد عن النفور^(١) .

فأسلوب القوة لا يتناسب في بداية الدعوة خصوصاً أن فرعون يتمتع بالمقام الاجتماعي العالي والقوة والحصانة ، فيظهر أسلوب اللين في قوله تعالى : ﴿ اذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴾ * فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَٰهٌ إِلَّا أَن تَزْكَىٰ * وَأَهْدِيكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ﴾ (النازعات: ١٧-١٩) ، وهذه الآية تلطف في الاستدعاء ، ومعناها هل لك رغبة يا فرعون أن تسلم وتطهر وتصلح وأرشدك الى معرفة ربك الذي خلقك ورباك ، وأدلك إلى طريق الحق وبه تصل إلى رضا الله^(٢) .

وبما أن الحديث في مقام الدعوة وإرسال بني اسرائيل فبدأت المحاوراة بين فرعون وموسى ، فسأل فرعون عن رب العالمين : ﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ (الشعراء: ٢٣) ، فأجاب موسى وبالبرهان القاطع : ﴿ قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنَّ كُنْتُمْ مُّوقِنِينَ ﴾ (الشعراء: ٢٤) ، فربي يعرف بأوصافه وآثاره وهذا الكون وتدبيره ما هو الا منه ، فأراد أن يستخف فرعون فقال : ﴿ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْمَعُونَ ﴾ (الشعراء: ٢٥) ، فدمغهم موسى (عليه السلام) بالحجة التي تبطل قولهم كون فرعون ربهم ﴿ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأُولِينَ ﴾ (الشعراء: ٢٦) ، فرب العالمين هو خالق فرعون وآبائكم ، وأصر (عليه السلام) على أن الله تعالى خالق الكون وأعطى له الحجة في ذلك : ﴿ قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنَّ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ (الشعراء: ٢٨) ، فأخذ فرعون يتهم موسى بالجنون شأن كل طاغية^(٣) ، بعد ذلك بدأ الحوار الآخر بعد أن علم أن موسى وهارون شريكان في الدعوة ، إلا أن موسى هو الرسول وهارون وزيره ، فبدأ يسأله عن ربهما ، فأجاب موسى وبالبرهان القاطع : ﴿ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ ﴾ (طه: ٥٠) ، فالهداية (إيصال الشيء إلى مطلوبه إما بإيصاله إليه نفسه أو إلى طريقة الموصل إليه) فعزّ وجلّ إلقى الرابطة بين الأشياء التي تنتهي إلى الغاية فهذه الهداية العامة ، وهي أشد مناسبة لمقام الدعوة ، فربنا هو الذي خلق كل شيء وأوجده فأيجاده لها يوجب ملكه لها وتدبيرها .

(١) ظ : الطبرسي / مجمع البيان في تفسير القرآن ، ١٨/٧-١٩ .

(٢) ظ : المصدر السابق ، ١٩٧/١٠ .

(٣) ظ : مغنبة / الكاشف ، ٤٩٣/٥ .

ولما شاهد فرعون ما نظمه موسى من الاستدلال بالبرهان فأراد ان يصرف إلى ما لا يخص من الأمور ، عسى أن يجد فيه نوع من الغفلة فسأل : ﴿ قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى ﴾ (طه: ٥١)، التي كانت عاكفة على عبادة الأصنام فما حالها بعد الموت وكيف يجزون على أعمالهم ، فأجاب موسى جواب عبقرى وينفى الجهل عن الله تعالى ويثبت العلم له ﴿ قَالَ عَلَّمَهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى ﴾ (طه: ٥٢)، وهذا ما يقوي برهانه كون الله تعالى خالق كل شيء ومالكة وهذا يتطلب علمه تعالى بها جميعاً ، فأعمالهم موجودة في كتاب محفوظ لا يتطرق له تغيير ولا زوال ، فهي لا تغيب عنه بنسيان ولا تختلط عليه تعالى ، فهو عالم بها فيجازيهم على ما عملوا ^(١).

وبما أن المقام في بيان الهداية العامة ، فقال لهم : ﴿ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْ نَبَاتٍ شَتَّى * كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النُّهَى ﴾ (طه: ٥٣-٥٤)، فخلق عز وجل الانسان في الأرض ليتخذ منها زاداً للآخرة ، فهذه آيات تدل أصحاب العقول الى الهداية ومعرفة الله تعالى وربوبيته ^(٢) .

فقد بين موسى (عليه السلام) أن دعواه تقوم على منطق العقل وأن دعوة فرعون واهية ، فأخذ فرعون يهدد موسى بالسجن والإعدام : ﴿ قَالَ لئنِ اتَّخَذْتَ إِلَهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ ﴾ (الشعراء: ٢٩)، وبما أن فرعون أخذ يهدد موسى بقوته لذا لجأ موسى إلى سلك طريق جديد يواجه به قوة فرعون ويعجزه فقال له متحدياً : ﴿ قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُّبِينٍ ﴾ (الشعراء : ٣٠)، فلفت موسى (عليه السلام) انظار الحاضرين ، فأضطر فرعون إلى قبول اقتراحه : ﴿ قَالَ فَأْتِ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾ (الشعراء: ٣١)، فألقى موسى عصاه فتحول بأذن الله إلى ثعبان : ﴿ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴾ (الشعراء: ٣٢)، فهذه المعجزة تبين عذاب الله تعالى للكافرين وهي في مقام الإنذار والتخويف ، فقد وصف تعالى : ﴿ تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ ﴾ (القصص: ٣١)، ﴿ فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى ﴾ (طه: ٢٠)، فأشار تعالى في هذه الآيات إلى عظمتها وسرعتها وحياتها .

(١) ظ : الطباطبائي / الميزان في تفسير القرآن ، ١٧١/١٤

(٢) ظ : المصدر السابق ، ١٧١/١٤ .

وبعد ذلك أظهر (عليه السلام) معجزة أخرى تبين رحمة الله تعالى وتقوم مقام البشارة وهي منسجمة مع دعوته (عليه السلام)^(١) : ﴿وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ﴾ (الاعراف: ١٠٨) بعد لك أشار ملاً فرعون عليه أن يجمع السحرة ويواجهون بسحرهم موسى (عليه السلام) ﴿قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَبْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ * يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ﴾ (الشعراء: ٣٦-٣٧) فحدث ما أراد لهم وانتهى بأيمان السحرة ، وهنا ترك فرعون بني اسرائيل فترة من الزمن أحراراً لكن كانت حريتهم نسبية . وما كان فعله هذا إلا نتيجة الرعب والخوف الذي أصابه نتيجة رؤيته لمعجزة موسى (عليه السلام) ، وقيل أيضاً نتيجة الاختلاف الذي حدث بين مواطني أهل مصر ومنهم القبطيين حول دين موسى حيث رغبت جماعة في دينه فليس لفرعون في مثل هذه الأجواء إلا أن يتركهم احراراً نسبياً وعدم اتخاذ موقف مشدد اتجاههم^(٢).

ونتيجة هذا الواقع قلق قوم فرعون من انتشار دين موسى ونفوذه في مصر فأشاروا عليه أن يتخذ موقف مشدد اتجاه ما حدث فقرر فرعون أن يقتل ابنائهم ويستحي نساءهم : ﴿قَالَ سَنُقْتِلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ﴾ (الاعراف: ١٢٧)، ونحن متفوقون عليهم^(٣) ، وهذا شأن كل طاغية ففرعون قرر قتل رجال حرب بني اسرائيل واستخدام نساءهم للخدمة وهذا نهج المستعمرين في قتل الرجال أو قتل روح الرجولة بمختلف الوسائل ، وقد يحتمل أن فرعون اراد أن يبلغ كلامه إلى مسامع الإسرائيليين فتتخطم معنوياتهم من جهة قتلهم والجهة الأخرى وقوع نساءهم بأيدي الأعداء^(٤) .

مواجهة تهديدات فرعون

لقد اقترح موسى (عليه السلام) على بني اسرائيل خطة بها يواجهون تهديدات فرعون وبها تكون غلبتهم ونجاتهم من العدو، وبذلك عليهم أن يعملوا على ما يلي :

(١) ظ : الشيرازي / الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل ، ٢٥٦/٩-٢٥٧.

(٢) ظ : المصدر السابق ، ٢٨٨/٤ .

(٣) ظ : المصدر السابق ، ٢٨٨/٤ .

(٤) ظ : المصدر السابق ، ٢٨٩/٤ .

١-التوكل على الله تعالى وطلب النصر منه ، فالتوكل هو ((الثقة بما عند الله واليأس عما في أيدي الناس))^(١). فطلب موسى (عليه السلام) من قومه أن يتوكلوا على الله تعالى وأن يتقوا بوعده بالنصر والعاقبة للمتقين ، فليس لموسى وقومه قوة يواجهون بها فرعون وجنوده غير تسليم أمورهم إلى الله تعالى: ﴿ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ (الاعراف: ١٢٨) فالاستعانة هي التوكل ، كما جاء في قوله تعالى : ﴿ وَقَالَ مُوسَى يَا قَوْمِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ ﴾ (يونس: ٨٤) ، فالآية الكريمة ذكرت أولاً الأيمان الصادق والتسليم لأوامره تعالى والتفويض والإخلاص له ، فمن كانت به هذه فإن الله تعالى معه وينصره ، فأجاب قومه : ﴿ فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ (يونس: ٨٥) ، فتركوا أمورهم إلى الله تعالى فهو اعلم بها وبمصالحهم من غيره وطلبوا من الله تعالى أن لا يجعلهم محلاً لعذاب فرعون وقومه وخلصهم من الظلم والاضطهاد^(٢) .

٢-الصبر والثبات وعدم الخوف من تهديدات فرعون وقومه ، فالصبر هو رائد كل خير ومفتاح كل فرج ، لذلك حث موسى قومه على الصبر : ﴿ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا ﴾ (الاعراف: ١٢٨) ، فقد علل صبرهم بقول : ﴿ إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ ﴾ (الاعراف: ١٢٨) ، ففرعون ليس لديه حق امتلاك الأرض ومنحها لمن يشاء ويمنعها لمن يشاء بل الأرض لله تعالى يورثها من يشاء من عباده^(٣) .

٣-التقوى ، هي ((الالتزام بكل المناهج المفصلة التي تتضمن تفجير الطاقات ، واستغلال المواهب ، وتربية الشخصية الرسالية العاملة ، وبالتالي توفير عوامل النصر كافة في الفرد والمجتمع الرسالي من عوامل مادية أو معنوية))^(٤) ، لذا قال تعالى لموسى (عليه السلام) وقومه : ﴿ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ (الاعراف: ١٢٨) ، فمعرفة حقيقة أن هذه السلطة هي نتيجة مجموعة عوامل اجتماعية وسياسية وعليه فإن تغيير هذه العوامل يؤدي إلى سقوط هذه السلطة وتأتي مكانها

(١) الشريف الجرجاني / التعريفات / ٦٣ .

(٢) ظ : مغنية / الكاشف ، ١٨٥/٤-١٨٦ .

(٣) ظ : الطباطبائي / الميزان في تفسير القرآن ، ٢٢٤/٨ .

(٤) المدرسي / هدى القرآن ، ٩٦/٣ .

السلطة الأكثر كفاءة وقوة وهي حكومة المتقين ، وعليه فأن معرفة هذه الحقيقة يعطي للجماعات المستضعفة الصمود والأمل وبالتالي يفجر الطاقات فيهم^(١) .

٤- جعل البيوت متقاربة ، بعد أن كانت متشتتة فبني إسرائيل كانوا لا يملكون الجرأة على القيام بأي حركة تجاه فرعون وقومه ، لذا أمرهم تعالى أن يقاربوا ويقابلوا بيوتهم : ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّآ لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (يونس:٨٧) ، فأصل كلمة قِبْلَة التقابل ، فهذا العمل يجعلهم يشعرون بالقوة والحماس في الدفاع عن أنفسهم ، ويؤدي إلى تمركزهم الاجتماعي بشكل فعال ووضع الخطوط اللازمة التي تقودهم إلى الحرية ، وأداء المراسيم والشعائر الدينية وخاصة الصلاة التي تربط العبد بخالقه وتحرره من العبودية وتغسل روحه وقلبه من الذنوب ، وتجعله يعتمد على نفسه وعلى قدرة الخالق عز وجل وتحيي فيه روحاً جديدة ، فهذه المهمة وكلت الى موسى (عليه السلام) باعتباره قائدهم ، أن يطهر أرواحهم من الخوف والرعب بسبب الذلة والعبودية التي عاشوها لسنين طوال ، وأن ينمي فيهم الشجاعة والشهامة والإرادة ، بطريق بشارة الله تعالى للمؤمنين برحمته ولطفه والنصر النهائي^(٢) .

خروج بني إسرائيل

فبعد سنين طوال وموسى يظهر المعاجز بالإضافة إلى منطقة المتين لعل فرعون وقومه يظهرن الأيمان لكنهم استمروا على اضطهاد وتعذيب بني إسرائيل فهذه الآيات لم تنفع بهم فأنزل تعالى الوحي على موسى بخروج من آمن به من مصر ، قوله تعالى : ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي إِنَّكَ مُتَّبَعُونَ ﴾ (الشعراء:٥٢) ، فتوجه (عليه السلام) اتجاه ساحل البحر ، فعلم فرعون بمسير بني إسرائيل فاستشاط غضباً ، فأمر بأجماع الجند ليتبعوهم^(٣) ، ﴿ فَأَرْسَلْنَا فِرْعَوْنَ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ﴾ (الشعراء:٥٣) ، وقد وصفهم بأنهم : ﴿ إِنَّ هَؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ﴾ (الشعراء:٥٤) ، إلا أنهم يخالفونا ويثيرون غضبنا ، ونحن مستعدون لهم ومتحزون وغير غافلين عنهم : ﴿ وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ * وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَاذِرُونَ ﴾ (الشعراء:٥٥-٥٦) .

(١) ظ : المدرسي / هدى القرآن ، ٩٦/٣ .

(٢) ظ : الشيرازي / الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل ، ٤٥٦/٥ .

(٣) ظ : جعفر السبحاني / القصص القرآني ، ١٠٨/٢ .

وما جاء الصباح حتى تقاربت الفتان ورأى كل فئة الأخرى ، فحس بنو إسرائيل بالخطر وضافت عليهم الدنيا ، فاستغاثوا بموسى (عليه السلام) ﴿ فَلَمَّا تَرَأَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمَذْرُكُونَ ﴾ (الشعراء: ٦١)، فموسى يعلم أن الله تعالى يفي بوعده فقال لهم : ﴿ قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴾ (الشعراء: ٦٢)، وسيرشدنا إلى النجاة ، فأوحى تعالى إلى موسى أن يضرب بعصاه البحر : ﴿ فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ ﴾ (الشعراء: ٦٣)، فأنشق البحر وتكون الطريق لهم ، فعبره بني اسرائيل فأنجاهم الله تعالى : ﴿ وَأَنْجَيْنَا مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ ﴾ (الشعراء: ٦٥)، ولما شاهد فرعون وجنوده أتبعوهم فانطبق عليهم البحر .

فهكذا نجى بني إسرائيل في لحظة واحدة وأصبح الأرقاء أحراراً وانتهت حكومة الجبابة وورثها المستضعفون الذين أتبعوا أوامر الله تعالى فتوكلوا عليه وطلبوا منه خلاصهم فحقق تعالى ما وعدهم وبشرهم به^(١) .

التطبيق :

القصص فأروع ما حدثنا به تعالى في كتابه الكريم عن بني اسرائيل وكيف كان يعاملهم فرعون المتجبر فكان يذبح أبنائهم ويستخدم نسائهم للخدمة فقد كان مستعبدتهم ومتسلط عليهم ، لقوله تعالى : ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضَعِفُ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴾ (القصص: ٤)، لذلك أرسل تعالى موسى وإخاه هارون (عليهما السلام) إلى فرعون ذلك لأن الحكام المتسلطين هم سبب تعاسة وشقاء كل منطقة فكان لابد من اصلاحه لأن تقدم الأمة وتخلفها مرتبط بإصلاح حكامها لذلك كان فرعون الهدف الأول قبل المجتمع ، لذلك أمرهما تعالى أن يخاطباه بكلام رقيق لطيف مع بيان المطالب بحزم وصراحة ، فهذا الأسلوب درس لكل داعية ومصلح ومرشد إلى طريق الله تعالى^(٢) .

(١) ط : جعفر السبحاني / القصص القرآني ، ١١٠-١٠٩/٢ .
(٢) ط : الشيرازي / الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل ، ١١٧/٨ .

المبحث الثاني : المعالم غير الظاهرة، المفاهيم والتطبيقات

الفرع الأول : الخوف

الخوف لغة : كلمة تدل على الفرع والذعر^(١) ، والإخافة : التخويف ، يقول طريق مخوفٌ بمعنى وجود قاطع طريق يخيف فالطريق بحد ذاته لا يخيف ، وتخوفه بمعنى تنقصه ، قوله تعالى : ﴿ أَوْ يَأْخُذْهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ ﴾^(٢) ، والخوف القتل كما جاء في قوله تعالى : ﴿ فَمَنْ خَافَ مِنْ مُّوْسَ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا ﴾^(٣) .

الخوف اصطلاحاً : ورد للخوف عدة تعريفات كلها تدور حول توقع المكروه ، من هذه التعريفات هي ((توقع مكروه عن أمانة مظنونة أو معلومة ، وضده الأمن ويستعمل في الأمور الدنيوية والآخروية ، والخوف من الله يراد به الكف عن المعاصي واختيار الطاعات ، والتخويف من الله هو الحث على التحرز))^(٤) ، ((عبارة عن تألم القلب واحتراقه بسبب توقع مكروه في الاستقبال))^(٥) ، ((هو تألم النفس خشية من عقاب الله ، من جراء عصيانه ومخالفته ، وهو من خصائص الأولياء وسمات المتقين والباعث المحفز على الاستقامة والصلاح والوازع القوي عن الشرور والآثام))^(٦) ، ((توقع حصول ما تكرهه النفس ، وضده الأمن ويطلق على أثره وهو السعي في مرضاة المخوف منه ، وامتنثال أو امره))^(٧) . وأكثر الخوف وقعاً هو الخوف من النار والتي سببها والعياذ بالله معصيته تعالى .

النار لغة : كلمة مأخوذة من مادة النار التي تدل على الإضاءة وقلة الثبات والاضطراب ، وسميت بها من طريقة الإضاءة وكونه مضطرباً وسريع الحركة^(٨) ، والنار مؤنثة وتصغيرها نويرة ، وجمعها نيران ، وتأتي أيضاً بمعنى السمة ، يقال: ما نار الناقة بمعنى ما سمتها^(٩) .

(١) ظ : ابن فارس / مقاييس اللغة ، ٢٣٠/٢ .
(٢) ظ : الجوهري / تاج اللغة وصحاح العربية / ٣٥٠ .
(٣) ظ : ابن منظور / لسان العرب / ١٢٩١ .
(٤) الراغب الأصفهاني / المفردات في غريب القرآن / ٢١٥ .
(٥) الغزالي / إحياء علوم الدين ، ١٥٢/٤ .
(٦) الصدر / اخلاق اهل البيت / ١١٩ .
(٧) ابن عاشور / التحرير والتنوير ، ٤٠٩/٢ .
(٨) ظ : ابن فارس / مقاييس اللغة ، ٣٦٨/٥ .
(٩) ظ : الجوهري / تاج اللغة وصحاح العربية / ١١٧٧ .

النار اصطلاحًا : قال الراغب الأصفهاني (ت ٥٠٢هـ) : ((النار تقال للهب الذي يبدو للحاسة وللحرارة ولنار جهنم))^(١) ، ((جوهر لطيف مضيء حار محرق))^(٢) ، ((هي جوهر لطيف محرق))^(٣) ، ((هي الدار التي أعدها الله للكافرين به ، المتمردين على شرعه ، المكذبين المكذبين لرسله ، وهي عذابه الذي يعذب فيه أعداءه ، وسجنه الذي يسجن فيه المجرمين))^(٤)

حقيقة الخوف

أن القرآن الكريم تناول العديد من القضايا التي لها صلة بحياة الإنسان من جميع جوانبها ، ولقد عالجها معالجة وافية ، ومن تلك القضايا الخوف فهناك العديد من الآيات التي تحت عليه وترغب فيه وتتهي المرء عن الغفلة عن ذكر الله وترهب الناس من خطر الابتعاد عن الطريق الذي رسمه تعالى للإنسان والذي يؤدي بدوره خسرانه في الدنيا والآخرة .

فالخوف هو تألم واحترق القلب بسبب توقع مكروه ما في المستقبل ، فيكون الخوف حسب قوة العلم بالأسباب المؤدية إلى المكروه كما لو جنى شخصٌ على ملك ووقع في يديه مثلاً فيخاف القتل منه ويجوز أن يتوقع العفو منه فيكون حسب علمه بالملك هل هو حقوق غضوب ويجوز أن يكون محفوفاً لمن يحرضه على قتله ولا يملك شخصاً يشفع له عنده ، فيكون الخائف خالٍ من أي وسيلة تشفع له عند الملك فتكون قوة خوفه حسب العلم بهذه الأسباب ، وأحياناً يكون الخوف نتيجة صفة المخوف كما لو وقع شخصٌ في مخالف السبع وعلمه بصفة الافتراس ، فالعلم بالأسباب يكون الباعث على تألم القلب واحترقه وعليه فالخوف من الله يكون نتيجة المعرفة به تعالى وصفاته ، وقد يكون نتيجة اقتراف العبد المعاصي وقد يكون بهما جميعاً . ففوة خوف الإنسان تكون حسب معرفته بنفسه وربّه ^(٥) فقال الرسول (صلى الله عليه واله) : ((إن أتقاكم وأعلمكم بالله أنا))^(٦) .

(١) المفردات في غريب القرآن / ٦٥٨ .

(٢) الزمخشري / الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل ، ٥١/١ ، الطبرسي / مجمع البيان في تفسير القرآن ، ٧١/١ .

(٣) الشريفة الجرجاني / التعريفات / ٢٠١ .

(٤) عمر سليمان الأشقر / اليوم الآخر الجنة والنار / ١١ .

(٥) ظ : الغزالي / إحياء علوم الدين ، ١٥٢/٤ .

فإذا كملت معرفة المرء بالله تعالى أُرثت له جلال الخوف فخوفه ينقسم على بدنه وجوارحه وصفاته فأما بدنه فيظهر عليه الغشية والنحول والصفار والبكاء . أما جوارحه فيقيدها بالطاعات ويكف عنها المعاصي ، وأما صفاته فيكون بقمع الشهوات فتصبح عنده المعاصي المحبوبة لقلبه مكروه . فالخوف يحرق شهوات المرء ويأدب جوارحه ويجعل في قلبه الخشوع والذبول والذلة ، ويبعد عنه الحسد والحقد والكبر ، ويكون همه على الدوام التفكير بعاقبته ومحاسبة نفسه فلا يملك من الوقت ليتفرغ لغيره ، وعليه يكون باطنه وظاهره مشغولاً بالخائف منه .

وعليه فالخائف يمتنع عن الأعمال المحظورة ، ويسمى امتناعه عن هذه المحظورات ورعاً ، إذن فالخوف يؤثر على الجوارح فيكفها عن الإقدام عن المحرمات^(٢) . وعليه يتبين أن الخوف على مقامين هما :

الأول : الخوف من العذاب ، ويكون هذا خوف عموم الخلق ، وضعف هذا الخوف يكون سببه الغفلة وضعف الإيمان ، فيقوى بتذكر أهوال القيامة وأنواع العذاب والوعظ .

الثاني : خوف الخاصة وهو الأعلى وهذا الخوف يكون نتيجة الخوف من البعد والحجاب عنه تعالى وهذا هو خوف الأولياء والأنبياء والعلماء الذين عرفوا تعالى بصفاته ويرجون القرب منه^(٣) .

درجات الخوف

الخوف هو سوط الله (عزّ وجلّ) يَقُومُ به الناس إلى المواظبة على العمل والعلم ، وبهما ينال المرء رتبة القرب إلى الله تعالى ، فالخوف من الله تعالى يجب أن يكون معتدلاً ويسمى بالخوف المحمود فيكون حداً وسطاً بعيداً عن التقصير كخوف عند سماع القرآن الكريم فيرق القلب وتفيض الدموع ومن ذلك أيضاً رؤية مشهد هائل فإذا غاب المشهد رجع القلب الى حالة الغفلة وهذا خوف عموم الناس ، فالخوف الذي لا يؤثر على الجوارح ولا يقيدها بالطاعات

(١) البخاري / صحيح البخاري ، كتاب الإيمان ، باب قول النبي (صلى الله عليه وآله) ((أنا أعلمكم بالله)) ،

١٣/١ .

(٢) ظ : الفيض الكاشاني / احوال السالكين / ١١٩-١٢٠ .

(٣) ظ : شبر / الأخلاق / ٢٥٣ .

فهو حركة خاطر وحديث نفس ، أما الخوف المفرط وهو المذموم الذي يخرج النفس عن حد الاعتدال ويوصل بها إلى القنوط واليأس والذي بدوره يؤدي إلى المرض وزوال العقل والموت أحياناً وهذا يؤدي إلى المنع من العمل .

فالمراد من الخوف المعتدل وهو الذي يؤدي بالمرء إلى العبادة والتقوى والمجاهدة مع المحافظة على صحة بدنه وسلامة عقله فكل ما خرج عن ذلك فهو مذموم^(١) .

التخويف بالنار

اسماء النار

جهنم : هي موضع وبؤرة الغضب الإلهي الذي يُعاقب به المجرمون وتشمل على العذاب الروحي والجسدي ، وجهنم أشهر اسماء النار ، وذكر ابن منظور جهنم البئر بعيد القعر ، وهي اسم للنار التي اعدّها الله لعذاب من استحق من عباده ، وفيها قولان الأول أنها كلمة أعجمية ، وهي تعريب كلمة كهنام بالعبرانية ، وقيل أنها عربية لقول بئر جهنم وقد امتنعت من الصرف للتأنيث والتعريف^(٢) ، وقد ورد ذكرها سبع وسبعين مرة في القرآن الكريم^(٣) .

سقر : اسم من اسماء جهنم ومشتق من الشمس شديدة الحر ، ولذلك سميت منه فهي تذيب الجسم والروح^(٤) ، قوله تعالى : ﴿سَأَصْلِيهِ سَقَرٌ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرٌ * لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ * لَوَاحَةٌ لِلْبُشْرِ﴾ (المذثر: ٢٦-٢٩) ، ووردت في القرآن الكريم في أربعة مواضع والمراد بها نار جهنم^(٥) .

سعير : اسم من اسماء جهنم لقوله تعالى : ﴿فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾ (الشورى: ٧) ﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ (الملك: ١٠) ، فالسعير مشتقة من (سعر) وتعني الاشتعال وانتقاد الشيء وارتفاعه ، فيقال للنار إيقاد ، ويقال للمجنون اذا اشتد هيجانه ، وللناقة المجنونة اذا هاجت^(٦) ، فالسعير يدل على شدة

(١) ظ : الغزالي / احياء علوم الدين ، ١٥٤/٤ ، ابن قيم الجوزية / مدارج السالكين ، ٥٥١/١ .

(٢) ظ : لسان العرب / ٧١٥ .

(٣) عبد الباقي / المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم / ١٨٤ .

(٤) ظ : ابن منظور / لسان العرب / ٢٠٣٧ .

(٥) عبد الباقي / المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم / ٣٥٢ .

(٦) ظ : ابن فارس / مقاييس اللغة ، ٧٦-٧٥/٣ .

التهاب النار^(١) ، ووردت في القرآن الكريم ست عشرة مرة بلفظ سَعِير ومرة واحدة بلفظ (سَعَرْت) ^(٢).

الْحَطْمَةُ : من اسماء النار ، ومأخوذة من (الْحَطْم) الذي يعني الكسر والدق ، فهي تحطم كل شيء وتكسره وتجعله حطامًا ، ويطلق على المكان الذي بين الركن وباب الكعبة اسم الحطمة لأن الناس يزدهمون ويدوس بعضهم بعضا ، وأيضا على سنوات القحط المتتالية. لذا أطلق على اسم نار جهنم اسم الحطمة لشدها فهي تحطم وتكسر كل شيء^(٣) ، لقوله تعالى : ﴿كَلَّا لَيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطْمَةِ﴾ (الهمزة: ٤) ، وقد وردت في القرآن الكريم مرتين ^(٤).

الهاوية : من اسماء جهنم ومأخوذة من (هوى) لقوله تعالى : ﴿فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ﴾ (القارعة: ٩) بمعنى مسكنه جهنم ، وقيل امه هاوية بمعنى صارت مأواه ، فهي كالأم الهاوية التي لا يدرك قعرها^(٥) ، ولقد وردت مرة واحدة في القرآن الكريم ^(٦).

لظى : من اسماء جهنم ، وتقال للنار ذات اللهب الخالص ، وسميت به لشدة نيرانها ، ﴿كَلَّا إِنَّهَا لَلْظَىٰ * نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ﴾ (المعارج: ١٥-١٦) وقوله تعالى : ﴿فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى﴾ (الليل: ١٤) ، بمعنى تتوقد وتتوهج^(٧) ، ووردت كلمتا كل من (لظى وتلظى) مرة واحدة في القرآن الكريم.

جحيم : وهي من اسماء النار التي تكون شديدة التأجج وشديدة اللهب ، والجاحم يقال للمكان شديد الحر ، وعليه فالجحيم النار العظيمة شديدة التأجج والتلهب والتوقد^(٨) ، ولقد وردت في القرآن الكريم في خمسة وعشرين موضعًا واستخدمت مرة واحدة بمعنى النار المحرقة في الدنيا ، لقوله تعالى : ﴿قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ﴾ (الصافات: ٩٧) البناء الذي بنوه لإبراهيم (عليه السلام) حتى يلقوه فيه^(٩) .

(١) ظ : الراغب الاصفهاني / مفردات في غريب القرآن / ٣٠٧ .

(٢) عبد الباقي / المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم / ٣٥١-٣٥٠ .

(٣) ظ : ابن منظور / لسان العرب / ٩١٦-٩١٧ .

(٤) عبد الباقي / المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم / ٢٠٧ .

(٥) ظ : ابن منظور / لسان العرب / ٤٧٢٨ .

(٦) عبد الباقي / المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم / ٧٤٠ .

(٧) ظ : ابن منظور / لسان العرب / ٤٠٣٩ .

(٨) ظ : المصدر السابق / ٥٥٣ .

(٩) ظ : الخازن / لباب التأويل في معاني التنزيل ، ٢١/٤ .

النار : استخدمت في القرآن الكريم في مائة وخمسة وأربعين موضعاً وتعني في الأغلب نار جهنم ، ووردت في بعض المواضع بنار الدنيا ، ولكثرة استخدامها بشأن جهنم حتى أصبحت واحدة من اسماءها ، وورد في العديد من الآيات الكريمة (أصحاب النار) وهذا يطلق على الناس الذين يردون إلى جهنم ، حتى أصبحت هذه الكلمة مقابلة لكلمة أصحاب الجنة^(١) .

ماهية جهنم

جهنم اسم علم للنار الموجودة وهي تشمل على العذاب الروحي والجسدي ، ولمعرفة ماهية جهنم نستعين بالآيات الكريمة :

١-ابواب جهنم ، لقد صرحت الآيات الكريمة على أن لجهنم سبعة ابواب ، قوله تعالى : ﴿ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ * لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ ﴾ (الحجر: ٤٣-٤٤) ففسر أن ابوابها درجاتها ، فأعلاها الجحيم وفيها تغلي الأدمغة كغلي القدور ، وبعدها لظى ، وسقر ، والحطمة ، التي تذر من يدخلها كالكل وتبقي فيه الروح ، وبعدها الهاوية فيهوى بها سبعين عاما ، ويبدل بها الجلد كلما احترق ، وبعدها السعير وفيها السراديق من النار وبداخلها العقارب والحيات والجوامع والاغالل والسلاسل التي صنعت من النار ، وبعدها جهنم التي فيها جب الذي يكون أشد عذاباً ، وإذا فتح سعر سعير ، وفي وسطها جبل من نار من الصفر ، وبها وادياً يدعى أثاماً ويكون من صفر مذاب يكون حول الجبل^(٢) .

وفسرت الأبواب بمعنى الطبقات فكل باب طبقة وواحدة تتلو الأخرى ، وأيضاً كل باب جزاء لعقوبة معينة فيأخذ مستحقها قلة أو كثرة حسب المعاصي التي فعلوها^(٣) .

٢-جهنم متحركة فهي تحضر يوم القيامة ليراها أهل الموقف وليعاقب بها المستحقين^(٤) ، لقوله تعالى : ﴿ وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى ﴾ (الفجر: ٢٣) .

(١) ظ : الشيرازي / نفحات القرآن ، ٢٩٤/٦ .

(٢) ظ : القمي / تفسير القمي ، ٥٣٧/٢-٥٣٨ .

(٣) ظ : الطوسي / التبيان في تفسير القرآن ، ٣٣٨/٦ .

(٤) ظ : المصدر السابق ، ٣٤٧/١٠ .

٣-وقودها الناس والحجارة ، لقوله تعالى : ﴿ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴾ وقيل الحجارة من الكبريت لأنها إذا احميت أصبحت أحر شيء ، وقيل الحجارة بمعنى الأصنام المنحوتة التي كانوا يعبدونها ، لقوله تعالى : ﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ ﴾ (الانبياء: ٩٨) وهذا دليل على عظمتها فهي تأكل الحجارة فأنها في غاية الهول والفضاعة وقيل أيضاً أن بقاء الأجساد على النار مثل وضع الحجارة في النار من أجل أن توقد بها بتقية الله اياها ، لقوله تعالى : ﴿ كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ ﴾ ، وقيل ايضاً بالحجارة المحماة بالنار يعذبون المستحقين للعذاب .

فجهنم مخلوقة لقوله تعالى : ﴿ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴾ فكلمة اعدت بمعنى موجودة فنحن وأن لم نشاهدها فالملائكة يشاهدونها^(١) .

انواع العذاب في جهنم

تحدث القرآن الكريم على العذاب الموجود لأصحاب النار فقد اتصف العذاب بالشدة وأشارت لذلك جملة من الآيات الكريمة من هذه الآيات :-

قوله تعالى : ﴿ يَوْمَذِ الْمُجْرِمِ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِذِ بَنِيهِ * وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ * وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ * وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنْجِيهِ ﴾ (المعارج: ١١-١٤) فهذه الآيات الكريمة بينت بكل وضوح شدة العذاب الإلهي ، فيتمنى الكافر أن يفتدى بأحب الناس إليه وهم اولاده وزوجته وإخوانه وعشيرته الذين يضمونه إلى رحلهم ، وهذا يدل على شدة البلاء الذي ينزل به فهو يتمنى أن يفتدى بأحب الناس إليه وأقربهم منه حتى يتخلص من العذاب الذي يحل به في ذلك اليوم^(٢) ، فالعذاب الموجود في جهنم نوعان هما ،العذاب المادي (الجسدي) والعذاب المعنوي (الروحي)

العذاب المادي (الجسدي) : لقد اشارت آيات القرآن الكريم إلى شدة العقوبات الجسدية التي أعدها تعالى لأصحاب النار ومن هذه العقوبات :-

(١) ظ : الطبرسي / مجمع البيان في تفسير القرآن ، ٨٤/١ .
(٢) ظ : الطبري / جامع البيان عن تأويل أي القرآن ، ٢٥٩/٢٣ .

١-الظلال والرياح ،عادة الظل أن يكون بارد يلجأ إليه من الحر ، لكن ظل أصحاب النار غير ذلك كما اشارت إليه الآية الكريمة : ﴿ انطَلِقُوا إِلَى ظِلِّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ * لَا ظِلِيلٌ وَلَا يُغْنِي مِنَ اللَّهَبِ ﴾ (المرسلات: ٣٠-٣١) فهو من دخان سعيير جهنم ، فهو دخان شديد السواد ، ومؤلم وحار لمن استظل به^(١) ، فظلمهم من الدخان ينقسم إلى ثلاث شعب فواحدة فوقهم وعن يمينهم وعن شمالهم ، فهو لا يظلمهم من الأذى الذي يحل بهم ومن اللهب (الشرر) الذي يتطاير عليهم^(٢) ، وأيضا قوله تعالى : ﴿ وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ * فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ * وَظِلٍّ مِنْ يَحُمُومٍ ﴾ (الواقعة: ٤١-٤٣) ، فالسموم الرياح الباردة التي تدخل المسام فتريح الشخص فرياح جهنم من الحميم شديدة الحرارة فهي تخرق أبدانهم^(٣) .

٢-اللباس ، عادة ما تؤخذ الثياب من أجل حماية الجسد من الحر والبرد والزينة ، لكن ملابس أهل النار هي نوع من أنواع العذاب ، لقوله تعالى : ﴿ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ ﴾ (الحج: ١٩) ، فعندما يحلون في جهنم يلبسون مقطعات النيران ، فقليل هي الثياب القصار ، وورد أيضا أنه قد جعل لهم ثياب مصنوعة من النحاس من النار ، فعادة ما تكون أشد حرا^(٤) ، وقوله تعالى : ﴿ سَرَابِيلُهُمْ مِنْ قَطَرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ النَّارُ ﴾ (ابراهيم: ٥٠) ، فالقطران مادة نتنة سوداء لزجة تطلّى بها الأبل عند العرب سابقا ، فيرسل تعالى النار عليهم بعدما يطلون بها فتكون أبلغ واسرع في الاشتعال ، وفي العذاب اشد^(٥) .

٣-الطعام والشراب ، من طعام أهل النار الزقوم وهي شجرة نتنة كريهة لقوله تعالى : ﴿ أَذْلِكَ خَيْرٌ نُزْلاً أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ * إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ * إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ * طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ * فَإِنَّهُمْ لَآكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ ﴾ (الصافات: ٦٢-٦٦) ، فهي تنبت في قعر النار ومتفرعة في جهنم ، وثمارها يشبه رؤوس الشياطين لقبحها^(٦) ، ومن طعامهم أيضا الضريع ، لقوله تعالى : ﴿ لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ ﴾ (الغاشية: ٦) ، فقليل الضريع هو نبات سام قاتل تنتن الريح ذي اشواك لاصق في

(١) ط : الطبري / جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، ٣٣٧/٢٢ .

(٢) ط : الطوسي / التبيان في تفسير القرآن ، ٢٣٠/١٠ .

(٣) ط : المصدر السابق ، ٤٩٩/٩ .

(٤) ط : الطبرسي / مجمع البيان في تفسير القرآن ، ١٠٢/٧ .

(٥) ط : المصدر السابق ، ٧٣/٦ .

(٦) ط : القرطبي / الجامع لأحكام القرآن ، ٤١/١٨-٤٣ .

الارض لا تقربه الدابة فهو يعطى لأصحاب النار^(١) ، ومن طعامهم أيضاً الغسلين ، لقوله تعالى : ﴿ فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ * وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينَ * لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِؤُونَ ﴾ (الحاقة: ٣٥-٣٧) ، فهو سائل يخرج من جروح وفروج اصحاب النار ، فهذه أبشع الأطعمة فهم ليس لديهم طعام ينتفعون به^(٢) .

أما شرابهم فقد ذكرته الآية الكريمة : ﴿ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا * إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ﴾ (النبا: ٢٤-٢٥) ، فالحميم هو الماء شديد الحرارة ، وقيل أيضاً الصفر المذاب ، أما الغساق فهو صديدهم ، وقيل أيضاً هو الزمهرير الذي يحرقهم ببرده^(٣) ، ويسقون أيضاً بماء صديد ، لقوله تعالى : ﴿ وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ، مِنْ وَرَائِهِ جَهَنَّمُ وَيُسْقَى مِنْ مَاءٍ صَدِيدٍ * يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ ﴾ (ابراهيم: ١٥-١٧) ، فالصديد هو القيح الذي يخرج من اللحم والجلد فهم يتجرعون جرة بعد الأخرى لنتته وكرهته ومرارته وحرارته فهم لا يقدرّون على ابتلاعه ، وقيل يسيغه بمعنى يغلي بجوفه^(٤) ، ومن شرابهم أيضاً المهل الذي اشارت إليه الآية الآية الكريمة : ﴿ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا ﴾ (الكهف: ٢٩) ، فالمهل يعطى لهم عندما يبلغوا شدة العطش وهو عبارة عن ماء غليظ الذي شبه بدردي الزيت فإذا قرب منه تتضج الوجوه لشدة حرارته^(٥) .

٤- السلاسل والأغلال ، قوله تعالى : ﴿ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلَ وَأَغْلَالًا وَسَعِيرًا ﴾ (الانسان: ٤) ، فهم يقادون بالسلاسل ويقيدون بالأغلال ويحرقون بالسعير^(٦) ، وبين تعالى طول طول السلسلة التي اعدّها لهم : ﴿ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ * ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ * ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ ﴾ (الحاقة: ٣٠-٣٢) ، فتوضع في عنقه جامعة تشد احدى رجليه ويديه ويلف جسده بالسلسلة التي وصفها تعالى بطول سبعين ذراعاً^(٧) .

(١) ظ : المصدر السابق ، ٢٤٤/٢٢ .

(٢) ظ : القرطبي / الجامع لأحكام القرآن ، ٢١١/٢١ .

(٣) ظ : الخازن / لباب التأويل في معاني التنزيل ، ٣٨٨/٤ .

(٤) ظ : المصدر السابق ، ٣٢/٣ .

(٥) ظ : المصدر السابق ، ١٦٣/٣ .

(٦) ظ : الشريف الكاشاني / زبدة التفسير ، ٢٧٣/٧ .

(٧) ظ : المصدر السابق ، ١٦٩/٧ .

العذاب المعنوي (الروحي) : أن العذاب الروحي يكون أشد على الإنسان من العذاب الجسدي فالآلام الروحية عادة تضغط على النفس والروح وتجعل صاحبها يشعر بالذلة والإهانة ، ومن الآلام الموجهة إلى اصحاب النار ^(١) هي :

١- الخزي ، هو بمعنى الذل والإهانة وهذا موجه إلى اصحاب النار بعد الحجة عليهم وإقامة الدليل ، لقوله تعالى : ﴿ رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تَدْخُلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴾ (ال عمران: ١٩٢)، فهذا تشنيع لأعمالهم نتيجة تركهم لطريق الحق ^(٢) .

٢- التوبيخ ، لقوله تعالى : ﴿ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴾ (الحج: ٢٢)، فعندما يحاولون الخروج يوبخون بالعذاب المحرق لأبدانهم وقلوبهم ^(٣) .

٣- اللعنة ، هي الطرد والأقصاء من الخير والرحمة الإلهية فتقال للذين يستحقون العذاب ، لقوله تعالى : ﴿ وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ فَأَذْنُ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴾ (الاعراف: ٤٤)، فهؤلاء صدوا عن ابواب الرحمة الإلهية التي فتحت لهم ، فأنهم قد أضلوا أنفسهم وضلوا الآخرين ^(٤) .

٤- الأهانة والأذلال ، لقوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴾ (الحج: ٥٧)، فنتيجة اتصافهم بالتكذيب لآيات الله وكفرهم أهانهم تعالى بالعذاب كالضرب بالمقامع النارية على رؤوسهم فهذا ذل لهم روحياً ^(٥) .

٥- الزجر ، وهو من الاحتقار ، فالذي يواجهه أهل النار النهي عن خطاب الله تعالى ، لقوله تعالى : ﴿ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ * قَالَ اخْسِئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونَ ﴾ (المؤمنون: ١٠٧-١٠٨)، فأخسأوا بمعنى الزجر والشتم ، وفعله خساً بمعنى ذل وهو من باب

(١) ظ : الشيرازي / نفحات القرآن ، ٣٣٨/٦ .

(٢) ظ : محمد رشيد رضا / المنار ، ٣٠١/٤ .

(٣) ظ : السعدي / تفسير الكريم الرحمن / ٥٣٦ .

(٤) ظ : المصدر السابق / ٢٩٠ .

(٥) ظ : ابن عاشور / التحرير والتنوير ، ٣١٠/١٧ .

المنع ، فالمقصود من الآية نهيهم وزجرهم عن مخاطبة الله تعالى وتأييسهم من النجاة من العذاب^(١) .

اسباب دخول النار

الكثير من الآيات الكريمة التي تتحدث بشأن أهل النار ، ويتضح من خلالها تفاوت درجات الذنوب والمعاصي ، فبينت الآيات الكريمة الأقسام التي تستحق هذا العذاب الأليم منهم :

١- الكفار والمنافقون والمشركون ، لقوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ۖ ﴾ (المائدة: ١٠) ، فالجاحدون لوحداية تعالى وناقضو العقود والمواثيق ، وكذبوا الحجج والأدلة على وحدانية الله تعالى ، فأولئك هم المخلدون في النار وهذه هي صفتهم^(٢) . وجمع تعالى الفريقين من أهل النفاق والكفر في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴾ (النساء: ١٤٠) ، فجمعهم تعالى في جهنم لاجتماعهم على عداوة المؤمنين وتخاذلهم عن الدين الاسلامي الذي ارتضاه تعالى للناس^(٣) . أما المشركون فبقوله تعالى : ﴿ سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَبِئْسَ مَثْوًى لِلظَّالِمِينَ ﴾ (ال عمران : ١٥١) ، فالذين اشركوا بالله تعالى وعبدوا الأصنام وأطاعوا الشيطان أوجب تعالى لهم النار^(٤) ، فتعالى وعدهم جميعاً بالنار خالدين فيها عذاب دائم .

٢- الظالمون والراكون اليهم ، فالذين ظلموا أنفسهم بارتكابهم المعاصي فقد اعد لهم تعالى النار لقوله : ﴿ وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴾ (سبأ: ٤٢) ، التي كانوا لا يعترفون بها^(٥) . وكذلك السكون والانصات والمحبة للذين ظلموا الناس وأنفسهم تتالهم النار نتيجة ذلك ، قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنصِرُونَ ﴾ (هود: ١١٣) ، لذلك امر تعالى عباده المكلفين من عدم الركون لهم فمتى ما خالفوا ذلك لا يكون لهم ناصر يوم القيامة من دون الله^(٦) .

(١) ط : ابن عاشور / التحرير والتنوير ، ١٢٩/١٨ .

(٢) ط : الطبري / جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، ٢٢٧/٨ .

(٣) ط : المصدر السابق ، ٦٠٤/٧ .

(٤) ط : المصدر السابق ، ١٢٧/٦ .

(٥) ط : الطوسي / التبيان في تفسير القرآن ، ٤٠٤/٨ .

(٦) ط : المصدر السابق ، ٧٨/٦ .

٣-ترك طاعة الله والصد عن حدوده ، لقوله تعالى : ﴿ وَمَنْ يَعَصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَأِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ﴾ (الجن:٢٣)، فجزأهم نار جهنم ، وأيضاً قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ يَعَصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴾ (النساء:١٤)، فمن تعدى الشرائع التي فرضها تعالى بغير حق يدخله النار^(١) .

٤-أكل الأموال بالباطل، من هذه الأموال أكل مال اليتيم ، لقوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴾ (النساء:١٠)، فالذين يأخذون أموال اليتامى وينتفعون بها ظلماً ستخرج النار يوم القيامة من أفواههم وأيضاً سيجرقون بالنار^(٢). وأكل أموال الربا ، لقوله تعالى : ﴿ وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَىٰ فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ (البقر:٢٧٥)، وأكل الأموال بالباطل ، لقوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِّنْكُمْ .. * وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ عُدْوَانًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا ﴾ (النساء:٢٩-٣٠) فمن يفعل ذلك سيجرق في النار.

٥-القتل العمد ، لقوله تعالى : ﴿ وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾ (النساء:٩٣)، فمن قتل مؤمناً متعمداً مستحلاً حرمة دمه وعالمًا بإيمانه فجزأوه جهنم مقيماً بها^(٣) .

٦-الفرار من القتال ، لقوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحَفُوا زَحَفًا فَلَا تُولُوهُمْ الْأَدْبَارَ * وَمَنْ يُؤَلِّمْ يَوْمَئِذٍ دُبْرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّرًا إِلَىٰ فِتْنَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾ (الانفال:١٥-١٦)، فمن فعل ذلك استحق الغضب ومقامه جهنم^(٤) .

٧-الأنغماس في شهوات الدنيا ونسيان الآخرة ، لقوله تعالى : ﴿ مَّن كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴾ (الاسراء:١٨)، فهذه صفة المرائين المنافقين الذين يلبسون الاسلام ليأخذوا ما ينالوا ففي الآخرة مطرودون من

(١) ظ : الزمخشري / الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل / ٢٢٦ .

(٢) ظ : الطبرسي / مجمع البيان في تفسير القرآن ، ٢٣/٣ .

(٣) ظ : المصدر السابق ، ١٣٣/٣ .

(٤) ظ : القرطبي / الجامع لأحكام القرآن ، ٤٧٦/٩ .

رحمة الله تعالى وعاقبتهم دخول النار^(١) . ومن ترك لقاء اليوم الآخر وترك العمل له فترك في النار مستقراً له^(٢) ، لقوله تعالى : ﴿ وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنسَاكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّاصِرِينَ ﴾ (الجاثية: ٣٤) .

٨- الهمز واللمز ، لقوله تعالى : ﴿ وَيَلْ لَّكُلِّ هُمْزَةٍ لُّمَزَةٍ * الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ * يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ * كَلَّا لَيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ ﴾ (الهمزة: ١-٤) ، فالاستهانة بشخصية المؤمنين وكرامتهم يعتبر من الذنوب الكبيرة ، فمن طعن بهم وسخر دون اكتراث يطرح في النار التي من خاصتها أن تحطم كل شيء يطرح بها^(٣) .

تبين من ذلك أن الخوف له منزلة رفيعة وأهمية كبيرة يجب على المسلم أن يعلمها ، والله (عز وجل) قد فرض على الناس أن يخافوه ، فعند التأمل في القرآن الكريم نجد الكثير من الآيات التي تحت العباد على التحلي به ، لذا ينبغي على المسلم أن يلتزم بما جاء بذلك ، والخوف الذي ذكره تعالى هو الخوف منه وحده لا شريك له ، لأنه بدوره يضبط النفس الإنسانية ويمنعها من الاعتداء على حدود الله تعالى ، وهو الذي يبين عاقبة الخاسرين يوم القيامة فيكون هو الذي ينهي المرء عن المعاصي فيجتنبها وينهي عن الكفر إلى الأيمان والتصديق بالرسول والأنبياء وأتباع الأوامر واجتناب النواهي ، فهو الذي يزجر العباد عن المحارم والآثام ، فهو يجعل العباد على الدوام من مراقبة أفعالهم ويحذرهم من المخالفة لذا يكونون على حذر دائماً من الأخطاء والذنوب .

وعليه فالخوف بهذا المعنى يكون من مظاهر العبادة لأنه يسمو بالنفس الإنسانية ويرتقي بها إلى أعلى الدرجات ، لذا شاء تعالى أن يخوف عباده بالنار التي أعدها لمن خالفه في الدنيا فتكون هي عاقبته في الآخرة لذا جعل تعالى لها أسماء عديدة وأوصافاً عظيمة ليدل على عظمتها وشدة تهويلها ، فهي ترهب العباد من الأعمال التي حذر تعالى عنها فيكفون منها وبذلك يتحقق السمو الإنساني ، لأن الكثير من الناس قد لا ينفع معهم الليونة والقول الحسن فيأتي تعالى بما هو أقوى من ذلك ، وعليه تكون النار ترهيباً لم يخالف الأوامر ولا يجتنب النواهي ، لكنها في نفس الوقت تكون ترغيباً للعديد من الناس ذوي الفطرة السليمة فيرون أن

(١) ظ : القرطبي / الجامع لأحكام القرآن ، ٤٩/١٣ .

(٢) ظ : المصدر السابق ، ١٧٣/١٩ .

(٣) ظ : البيضاوي / انوار التنزيل واسرار التأويل ، ٣٣٧/٥ .

كلّ ما نهى تعالى عنه هو السبيل الذي يؤدي إلى الحياة الكريمة ، فالالتزام به يؤدي إلى تحقيق هذه الغاية فهم ينجذبون إلى الدين الإسلامي الذين يرون فيه نجاتهم في الدنيا وفوزهم في الآخرة .

التطبيق

أن من المعالم غير ظاهرة التي يبتلي بها الله تعالى عباده الخوف ، أحياناً يصيب به تعالى عباده ليختبرهم هل يثبتون ويصبرون عما هم عليه من الطاعة والإيمان ويسلمون أمرهم إلى الله تعالى وحكمه ام لا ، لقوله تعالى : ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴾ (البقرة: ١٥٥) (١).

وأيضاً ما خوف تعالى به عباده بجهنم عند مخالفة أوامره واجتناب نواهيه والابتعاد عن دينه الذي به يكون صلاحهم في الدنيا والآخرة ، فنرى القرآن الكريم تحدث وبشكل مفصل عن العذاب المادي والمعنوي الذي يكون بجهنم ، وما هذا التخويف من قبل الله تعالى إلى من أجل ردعهم وإصلاح أمرهم ، لقوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴾ (المائدة: ١٠)، أما المؤمنون بالله تعالى ورسوله الكريم وأوصياؤه المنتجبون والذين يعملون الصالحات ويؤدون الزكاة وما أوجبه تعالى عليهم فلا خوف عليهم مما يأتي ولا يحزنون على ما فاتهم ، لقوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ (البقرة: ٢٧٧) (٢).

(١) ط : الزمخشري / الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل / ١٠٤ .

(٢) ط : الشريف الكاشاني / زبدة التفاسير ، ٤٣١/١ .

الفرع الثاني : المضرّة

الضر لغة : الضّر والضّر هما ضد النفع ، إذا جمع الضّر مع النفع تفتح الضاد ، أما إذا أفرد الضّر ضم الضاد في حال عدم جعله مصدرًا . فالضّر سوء الحال من الشدة في الأبدان الفقر الهزال ، أما الضّر الاسم الضّرر المضرّة فهو ضد النفع ، لقول رسول الله (صلى الله عليه وآله) : ((لا ضَرَرَ لا ضِرَار))^(١) ، فقليل أن معناه أن لا يضر الشخص غيره فهو ضد النفع لا يضر كل منهما الآخر ، وقيل الضّرر هو ما تضر غيرك وتتفع به ، الضِرار هو أن تضره دون أن تتفع ، الضّرء ضد السراء تأتي بمعنى الزمانة ، وهي من الضّرارة ، وجمع الضّر أضْرُ^(٢) . إذا الضر عند أهل اللغة فهو يدل على النقصان والأذى .

الضر اصطلاحًا : وردت تعاريف عدة في الضر منها ((إيقاع الضرر بالغير تعدياً))^(٣) ، ((سوء الحال إما في النفس لقلّة العلم والفضل والعفة ، وإما في بدنه لعدم جارحة ونقص ، وإما في حالة ظاهرة من قلة مال وجاه))^(٤) ، ((هو ما يؤلم الظاهر من الجسم وهو ما يتصل بمحسوسه في مقابلة الأذى، وهو إيلاّم النفس وما يتصل بأحوالها وتشعر الضمة في الضر بأنه عن علو وقهر ، والفتحة بأنه ما يكون عن مماثل ونحوه، وقلما يكن عن الأدنى إلا أذى))^(٥) .

الاستعمال القرآني للفظه الضر

أن الحديث عن الضر في القرآن الكريم من الموضوعات المهمة ، كونه يتحدث عن قضية تتعلق بحياة الانسان وما يصيبه في الدنيا من أنواع الضرر المختلفة ، وعلاقته بالآخرين ، فالضر من الموضوعات التي تنفر النفس منه وترهب به ، فأعطى الإسلام أهمية بالغة له في

(١) ابن ماجه / السنن ، كتاب الأحكام ، باب مَنْ بَنَى فِي حَقِّهِ مَا يَضُرُّ بَجَارِهِ ، ٧٨٤/٢ .

(٢) ظ : ابن منظور / لسان العرب / ٢٥٧٢-٢٥٧٥ .

(٣) الشامي / مساوى الاخلاق ومذمومها / ٢٧٤ .

(٤) الراغب الأصفهاني / المفردات في غريب القرآن / ٣٨٢ .

(٥) المناوي / التوقيف على مهمات التعاريف / ٢٢٢ .

التشريع ويعتبر المعيار الذي يحاكم إليه الفقهاء في التصرفات الانسانية ، لذا ورد استعمال لفظ الضر ومشتقاته في استعمالين هما :

في الضر الدنيوي

و الضر الآخروي

الضرر الدنيوي : ذكر الضر في الأمور التي لها صلة بحياة الإنسان والتي تعود عليه ، وانقسم بدوره إلى قسمين هما : الضر بالمعنى العام الذي يصيب الفرد ، والثاني الذي يصيبه الفرد للآخرين .

القسم الأول : الضر بالمعنى العام ، كل ما يصيب الفرد من مرض وهزل وفقر والتعرض للحوادث في مختلف مواقف الحياة اليومية ، نذكر منها حسب ما ورد في القرآن الكريم :

١-البلاء والشدة ، لقوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ ﴾ (ال عمران:١٣٤)^(١).

٢-المرض الذي يصيب الفرد يخرج عن حياته الطبيعية ، لقوله تعالى : ﴿وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ﴾ (البقرة:١٧٧)، فالضراء هنا الوجع السقم ، لقوله تعالى : ﴿ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾ (الانبياء:٨٣)، لأصابته (عليه السلام) بالمرض والضعف^(٢) .

٣-الجوع الذي يبتلى به الإنسان، لقوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَّا الضُّرَّ ﴾ (يوسف:٨٨)^(٣) .

٤-الغرق الذي يتعرض له البشر في البحار ، لقوله تعالى : ﴿ وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ﴾ (الاسراء:٦٧)^(٤) .

(١) ظ : الفيروز آبادي / بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ، ٤٦٨/٣ .

(٢) ظ : الطوسي / التبيان في تفسير القرآن ، ٩٨/٢ .

(٣) ظ : الزمخشري / الكشاف في حقائق التأويل وعيون الأقاويل / ٥٢٨ ، ظ : الفيروز آبادي / بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ، ٤٦٩/٣ .

(٤) ظ : المصدر السابق / ٦٠٢ ، ظ : الفيروز آبادي / بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ، ٤٦٩/٣ .

٥-البلاء والمشقة والمحن التي يتعرض لها البشر في الدنيا ، لقوله تعالى : ﴿ وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنْبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا ﴾ (يونس:١٢) ^(١) .

٦-نقص المنزلة والقدر ، لقوله تعالى : ﴿ وَلَا يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا ﴾ (ال عمران:١٧٦) ^(٢) .

الثاني : الأضرار بالآخرين ، ورد في القرآن الكريم نصوص كثيرة تدل على نفي إلحاق الضرر بالآخرين ، فكل آية يراد بها تحريم الظلم والنهي عنه تعتبر دليل على دفع الضرر ومنعه ، وسوف اقتصر على قسمين من النصوص القرآنية الأول ما ورد بها لفظ الضرر ، والثاني ما دلت الآية على العموم في المنع ^(٣) .

١-الأضرار بالمرأة ، كإرجاع المطلقة من أجل إيقاع الضرر بها ، لقوله تعالى : ﴿ وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ ﴾ (البقرة:٢٣١)، فكان الرجال يطلقون نساءهم حتى إذا قربت انتهاء العدة ارجعوهن ، لا من أجل اتمام الحياة الزوجية بل من أجل إيقاع الضرر بهن ، فيفعلون ذلك مراراً مرة بعد الأخرى ، فنهى تعالى عن ذلك ومن يفعل فهو أثم عليه وأوجب له العقوبة من الله تعالى جزاءً لذلك ^(٤) . ومنها الأضرار في معاملتها ، لقوله تعالى : ﴿ أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِنْ وَجْدِكُمْ وَلَا تُضَارُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ ﴾ (الطلاق:٦)، فأمر تعالى الرجل أن يوفر لزوجته المطلقة السكن والنفقة وحسن العشرة وأمرهم بالسعة وأن لا يضيق عليها في السكن والرزق ^(٥) ، والضرر في الإرضاع ، لقوله تعالى : ﴿ لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَلَدِهِ ﴾ (البقرة:٢٣٣)، فدفع تعالى المضارة عن المرأة في إرضاع ولدها بأن لا يمنعها زوجها من الإرضاع أن قبلت بأجرة المثل ، وهي أيضاً أن لا تضر زوجها في إرضاع ولدها إذا أعطيت لها أجرة المثل ، ويحمل على العموم ، بمعنى أن لا تضار الوالدة

(١) ظ : الطبرسي / مجمع البيان في تفسير القرآن ، ١٢٥/٥ .

(٢) ظ : الفيروز آبادي / بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ، ٤٦٩/٣ .

(٣) ظ : عبد الجبار حمد حسين شرارة / نظرية نفي الضرر في الفقه الإسلامي / ٧٥ .

(٤) ظ : الطبري / جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، ١٧٨/٤ ، محمد عبد الله وراز / دستور الأخلاق في القرآن / ٥٤٩ .

(٥) ظ : الطوسي / التبيان في تفسير القرآن ، ٣٦/١٠ .

بولدها من قيامها بتعهد أمره ورضاعته ، وأن لا يضار الوالد بولده من تعهده وحفظه والنفقة على ولده وأمه (١) .

٢-الأضرار بالوصية ، لقوله تعالى : ﴿ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَارٍّ وَصِيَّةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴾ (النساء: ١٢) ، وهو أن يوصي بأكثر من الحد المقرر في الشرع بقصد الأضرار بورثته لا لوجه الله تعالى ، أو أن يوصي بدفع دين ليس عليه بقصد الأضرار فالله (عز وجل) قد منع ذلك ، فهو عليم بمن عدل وجار في الوصية (٢) .

٣-الأضرار في الكتابة والشهادة ، لقوله تعالى : ﴿ وَأَشْهَدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ وَإِنْ تَفَلَّوْا فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ ﴾ (البقرة: ٢٨٢) ، فأصل كلمة يضار هو (يضارر) فمن قرأ بكسر الراء فيكون النهي عن المضارة للكاتب والشاهد ، بمعنى أن يكتب الشخص بما لم يمل عليه ، وأن يشهد الشخص ما لم يستشهد به ، أو أن يمتنع عن أداء الشهادة ، أما إذا قرأ بفتح الراء فالمعنى عدم التكليف بالكتابة في حال عدم التفرغ أو وجود عذر يمنع منها ، أو أن يضيق على الشاهدين في إقامة الشهادة في حالة وجد العذر ، فالمضارة بالكاتب والشاهد فسق أي خروج عن امر الله تعالى (٣) .

٤-التفريق بين المؤمنين ، من أجل إيقاع الضرر وبطلان الألفة واختلاف الكلمة ، لقوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (التوبة: ١٠٧) (٤) .

٥-أذى الناس بكرامتهم ، لقوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرَ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِاللُّغَابِ بِسُّؤَالٍ لِّسَانٍ فَسُوقٌ بَعْدَ الْإِيمَانِ ﴾ (الحجرات: ١١) ، فالآية الكريمة بينت الضرر بالآخرين وحرمة ذلك من خلال الاستهزاء بهم إذا كانوا فقراء أو ذي عاهة في ابدانهم أو غير لبقين في كلامهم ، فمن فعل ذلك فقد ظلم نفسه وحقرها بمن عظمه قدره تعالى ، وإشارة الآية أيضًا إلى اللمز وهو العيب ويكون بالإشارة والعين واليد وهي بمثل قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ﴾ (النساء: ٢٩) ، بمعنى النهي عن قتل الآخر ، فالمؤمنون جميعًا نفس واحدة ، فيجب

(١) ظ : الطوسي / التبيان في تفسير القرآن ، ٢٥٨/٢ .

(٢) ظ : الزمخشري / الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل / ٢٢٦ .

(٣) ظ : الطبرسي / مجمع البيان في تفسير القرآن ، ١٨١/٢ .

(٤) ظ : الرازي / مفاتيح الغيب ، ١٩٨/١٦ .

على المؤمنين أن لا يطعنوا بعضهم ببعض فالعقل مثلما لا يعيب نفسه فغيره من الناس نفسه ، لقوله تعالى (أنفسكم)^(١) ، ونهت الآية أيضاً عن التلقب بالسوء: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا بِاللَّغَابِ﴾ فكان البعض يلقب الآخر ، فمن فعلها فهو فاسق^(٢) .

الضرر الآخروي

هو الذي يتعلق بتنظيم علاقة الإنسان مع الله تعالى ، وإيصاله إلى طريق الحق ذلك أن بعض الناس قد انحرفوا عن عبادة الله تعالى ، مع اعترافهم أن الله تعالى خالق الكون فمالوا إلى طريق الشرك واتخذوا معبودات لهم من المخلوقات طائنين أنها جديرة بالعبادة باعتقادهم أن معبوداتهم لها قدرات خارقة وأن سعادتهم وتعاستهم مرتبطة بها وأنها قادرة على صيانتهم من الآفات والشرور وإذا غضبت عليهم تعمل على أنزال الشقاء البلاء وتصيبهم بمختلف أنواع المصائب ، فالله (عزّ وجلّ) لم يتركهم بل بعث لهم الأنبياء وبيينوا لهم الحق بالأدلة التي تثبت ألوهيته ليكون حجة عليهم لكنهم جحدوا بها فجاء رد الله تعالى لهم : ﴿ وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا ﴾ (الفرقان: ٣) ﴿ قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ قُلْ أَفَاتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴾ (الرعد: ١٦) ، فمعبوداتهم لا تستطيع جلب النفع لهم ولا دفع الضر عنهم ، بل لا تملك حياة ولا قدرة على إحياء البشر وبعثهم فهي ليس لها منزلة الألوهية ولا تمتلك لازمة من لوازمها^(٣) .

فهذه الفئة من الناس قد ألحقت بنفسها الضرر باتخاذهم معبوداتهم نحتوها بأيديهم فهم خسروا الدنيا والآخرة ، لقوله تعالى : ﴿ وَلَا يَحْزَنُكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا يُرِيدُ اللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حِطًّا فِي الْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ * إِنَّ الَّذِينَ اشْتَرُوا الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (ال عمران: ١٧٦-١٧٧) ﴿ فَالْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ

(١) ظ : القرطبي / الجامع لأحكام القرآن ، ٣٩٠/١٩ .

(٢) ظ : المصدر السابق ، ٣٩٢/١٩ .

(٣) ظ : البيضاوي / أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، ١١٨/٤ .

بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا وَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾ (سبأ: ٤٢)، فهو لاء لا يضررون الله شيئاً ، وإنما ضرروا أنفسهم نتيجة لمسارعتهم إلى الكفر فهم ليس لديهم نصيب من الثواب في الآخرة ^(١) .

فائدة الضر

أن الإنسان العاقل اول ما يدرك في اتخاذ الرب من أجل عبادته أن يكون قادراً على دفع الضر والشر عنه وجلب المنفعة إليه ، لكن الانغماس في شهوات الدنيا ومادتها ينزلق الإنسان إلى الباطل ، لكن عند نزول المضرة به يصحو من الغفلة فيرجع إلى فطرته السليمة التي فطره الله تعالى عليه ، لقوله تعالى : ﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا﴾ (يونس: ١٢)، فلفظ الإنسان عام يشمل جميع البشر فإذا أصيب بالضر بشكل عام من مرض أو رزية في النفس والأحبة والمال التجأ إلى الله تعالى راغباً إليه في جميع أحواله ، ابتداءً بالحالة الأصعب باضطجاعه وعدم قدرته على النهوض ، وفي حالة القعود وعدم قدرته على القيام ، وفي حالة القيام وعدم قدرته على المشي مثل الشيخ الهرم ، فيكثر دعائه إلى الله تعالى لكشف ما به من ضر ^(٢) .

أوضح تعالى هذا الضر الكلي بمثال يوضح حقيقته بشكل جلي ، لقوله تعالى : ﴿وَالَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْنَا مِنْ هَذِهِ لَنُكَوِّنَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ (يونس: ٢٢)، فالمرء عند أصابته بموقف صعب ينقطع إلى الله تعالى بدعائه وكشف النازلة التي حلت به ، ويتبين من ذلك بطلان عبادة غير الله تعالى التي لا تنفعه ولا تضره شيئاً ^(٣) .

فالإنسان عندما يشتد به الضر مسلماً كان أو كافراً يلتجأ إلى الله تعالى لعلمه أنه القادر الوحيد على كشف ما به ، لكن المؤمنين هم الذين يزدادون إيماناً عند اصابتهم بالضر والكشف عنه ، أما الكافرين هم الذين يزدادون كفرًا وطغياناً ، فضررب تعالى للمؤمنين

(١) ظ : الخازن / لباب التأويل في معاني التنزيل ، ٣٢٣/١ .

(٢) ظ : أبو حيان الأندلسي / تفسير البحر المحيط ، ١٣٤/٥ .

(٣) ظ : المصدر نفسه ، ١٤١/٥ .

الصابرين نبيه ايوب (عليه السلام) : ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ * فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَابِدِينَ﴾ (الانبياء: ٨٣-٨٤)، عندما أصيب (عليه السلام) في ماله وبدنه وولده فعندما دعا الله تعالى أن يكشف ما به استجاب تعالى له فرجع له شبابه وصحته ورزقه بالأولاد ، فهذا تذكرة لكل العابدين وغير العابدين برحمته تعالى ليصبروا على ما يصيبوا من أنواع الضرر المختلف فيثابوا كما أثيب ايوب (عليه السلام)^(١) .

أما فريق من الناس إذا كشف عنهم الضر رجعوا إلى كفرهم وعنادهم ، لقوله تعالى : ﴿وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُمْ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا أَدَّاهُم مِّنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ﴾ (الروم: ٣٣)، فهؤلاء قابلوا النعمة الإلهية بأشراك من لا قدرة له على الدفع والغنى ونقضوا من أنابوا إليه ^(٢) ، فكل من نسي تضرعه إلى الله تعالى والنعم التي اسبغها عليه من كشف ما حل به جعله من أصحاب النار ، لقوله تعالى : ﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِنْ قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَنْدَادًا لِّيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ﴾ (الزمر: ٨)، فهذا وعيد وتهديد لمن آمن في الشدة وكفر في الرخاء ، وما الدنيا ومتاعها مع الكفر إلا وخيم العاقبة . وهذه دلالة على أن الإنسان عند تعرضه إلى الضر يرجع إلى فطرته السليمة التي فطرها الله تعالى عليها^(٣) .

تهدف الشريعة الإسلامية وتحت الناس اجمع على دفع جميع انواع الضر عنهم وأن لا يضاروا فيما بينهم ، وهذا ما يعود عليهم بالنفع الكثير ويوفر لهم استقرارهم وأمنهم ، فجميع أحكام القرآن الكريم والسنة الشريفة قد بينت وبصورة تفصيلية إلى منع الانسان بالأضرار بنفسه وبالأخرين سواء كان ذلك بالجسد أو العرض أو المال وحتى بعواطف الآخرين ومشاعرهم ، لذا صرحت الآيات الكريمة بحرمة ما يمس الانسان حيًا كان أو ميتًا ، وأيضًا من أنواع الضر الذي يصيبه الفرد لنفسه ويحث الآخرين عليه هو عبادة غير الله وبهذا بدوره يؤدي بالفرد والآخرين إلى التهلكة والعاقبة الوخيمة ، لذا حثت الشريعة الإسلامية إلى دفع

(١) ظ : أبو سعود / إرشاد العقل السليم ، ٧٢٢/٣ .

(٢) ظ : السعدي / تيسير الكريم الرحمن / ٦٤١-٦٤٢ .

(٣) ظ : مغنبة / الكاشف ، ٣٩٧/٦ ، ٣٩٨ .

جميع أنواع الضرر الذي يلحقه الفرد بنفسه وبالأخرين ، وذلك بأن وقوع الضرر بالمجتمع وبأي وسيلة كانت يؤدي إلى الخلل في الحياة الإنسانية ويزعزع أمن الناس .

فبين الله تعالى للناس أسس الحياة السليمة التي بينها لهم الأنبياء والرسل وبأتباعها يؤدي الى نجاتهم في الحياة الدنيا والفوز برضا الرحمن في الآخرة .

لكن انغماس الفرد في مادة الدنيا وزينتها ينسيه ذكر الله تعالى والتوجه إليه ، لكن عند تعرضه إلى الشدائد والمواقف الصعبة يرجع إلى فطرته السليمة التي فطرها الله تعالى عليه ويصحو من الغفلة التي أصابته فيلتجأ الى الله تعالى ، فالشدائد التي تصيب الإنسان تجعله يضع كل غفلته وتكبره وشركه خلفه ويتوجه إلى الله تعالى وهذه هي حقيقة الإنسان وغايته الرئيسية ، وعليه يكون الضرر الذي يحل بالإنسان عامل جذب إليه بالتوجه إلى الله تعالى .

وأيضاً أن الفرد سليم القلب عندما يقرأ القرآن وينظر في تعاليمه وأنه يحث الفرد على دفع الضرر عن نفسه وعن الآخرين يجده منسجماً مع طبيعته الإنسانية وبهذا يكون عامل جذب آخر للدين الحق .

التطبيق

الضرر فيصيب الإنسان بآرادته أو غير آرادته كالفقر والمرض والشدّة وما يسببه الفرد لنفسه كتناول الخمر الذي يكون به افساد العقل فيجعله يتصرف بتصرفات لا تليق به كخليفة الله في أرضه وإتلاف المال الذي يمكن استعماله بدلاً عن ذلك في فعل الخيرات واحداث الخصومات مع الآخرين وما يسببه من مشاكل مع عائلته فهذه اضرار غير ظاهرة في بادئ الأمر ، لقوله تعالى : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا ﴾ (البقرة: ٢١٩)، فهو مفتاح كل شر فيؤدي بالمرء إلى ترك الواجبات وفعل المحرمات ، فله الكثير من المفسدات الدنيوية بالإضافة إلى عقابه الآخروي بغض النظر عما يوفره من النفع القليل من اشعار الفرد بالقوة واللذة وكسب المال لكن ضرره اكبر من نفعه الدنيوي الزائل^(١) .

(١) ظ : شبر / الجواهر الثمين في تفسير كتاب الله المبين ، ١٥٣/١ .

وأعظم ما يسببه الفرد من ضرر إلى نفسه عبادة غير الله تعالى من الآلهة التي لا تملك
نفعاً ولا ضرراً فبفعلهم هذا خسروا الدنيا والآخرة فما يكون نصيبهم إلا العذاب الأليم ، لقوله
تعالى : ﴿ وَلَا يَحْزُنُكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئاً يُرِيدُ اللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ
لَهُمْ حِطّاً فِي الْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ * إِنَّ الَّذِينَ اشْتَرُوا الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ لَن يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئاً
وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (ال عمران: ١٧٦-١٧٧)، لزهدهم بالإيمان واختيارهم الكفر عليه ، فهم لا
يضرّوا الله تعالى بشيء فتعالى غني عنهم فهناك من الأبرار الأذكاء الذين ارتضوا بالإسلام
ديناً وبالله تعالى رباً فهم أحق من غيرهم برضا الله تعالى عنهم^(١) .

(١) ط : السعدي / تيسير الكريم الرحمن / ١٥٧-١٥٨ .

الفرع الثالث : الإنذار

الإنذار لغة : مأخوذ من مادة (نذر) وهو ما يدل على التخويف ولا يكون إلا به ، والإنذار بمعنى الإبلاغ ، يقال : تناذروا بمعنى يخوف بعضهم البعض ، والنذير هو المُنذر^(١) .

الإنذار اصطلاحاً : هناك العديد من التعريفات نذكر منها ، ما قاله الأصفهاني (٥٠٢هـ): ((إخبارٌ فيه تخويف كما أن التبشير إخبار فيه سرور ، والنذير المُنذرُ ويقع على كل شيء فيه إنذارٌ إنساناً كان أو غيره))^(٢) ، وذكر القرطبي (٦٧١هـ) : ((هو الإبلاغ والإعلام ، ولا يكاد يكون إلا في تخويف يتسع زمانه للاحتراز ، كان إشعاراً ولم يكن إنذاراً))^(٣) ، ((النذرة الإعلام بموضع المخالفة لتقع به السلامة))^(٤) ، ((الإنذار الإخبار والاعلام بالشيء المقترن بالتخويف مما يترتب عليه من فعل يتضمن ذمة وطلب تركه أو ترك لأمر يتضمن مدحه وطلب فعله نصاً أو اقتضاء))^(٥) ، ((الإنذار هو الإخبار بالشيء ولا يكون إلا مع تخويف بما يترتب على الإهمال بالشيء))^(٦) .

يتضح من ذلك أن الإنذار هو الاعلام مع التخويف .

معاني الإنذار في القرآن الكريم

استعمل الإنذار في القرآن الكريم بمعانٍ أربعة هي :

١- (التحذير ،^(٧) لقوله تعالى : ﴿أَنْ أُنْذِرَ النَّاسَ﴾ (يونس: ٢).

٢- الخير ، لقوله تعالى : ﴿وَلْيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ (التوبة: ١٢٢).

٣- الرسل ،^(٨) لقوله تعالى : ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ﴾ (القمر: ٢٣).

(١) ظ : ابن فارس / مقاييس اللغة ، ٤١٤/٥ .

(٢) المفردات في غريب القرآن / ٦٣٠ .

(٣) الجامع لأحكام القرآن ، ٢٨١/١ .

(٤) المناوي / التوقيف على مهمات التعريف / ٣٢٣ .

(٥) محمد رشيد رضا / تفسير المنار ، ١٤٢/١ .

(٦) السبزواري / مواهب الرحمن في تفسير القرآن ، ١١٠/١ .

(٧) الشيرازي / الأمل في تفسير كتاب الله المنزل ، ٣٦٥/٥ .

(٨) شبر / الجواهر الثمين في تفسير كتاب الله المبين ، ٩٢/٦ .

٤- الشيب ، وهذا ما قال به بعض المفسرين^(١) ، لقوله تعالى : ﴿ وَجَاءَكُمْ النَّذِيرُ ﴾ (فاطر: ٣٧) ، وعادة تشير كلمة نذير إلى الرسول (صلى الله عليه وآله) وإلى الأنبياء بشكل واسع ، وتوسع بعض المفسرين في معناها فجعلوها تشير إلى الكتب السماوية والحوادث التي يراها الإنسان من أجل التنبيه كموت الأقارب والأصدقاء والعجز والشيخوخة^(٢) .

انواع الإنذار

ورد في القرآن الكريم آيات كثيرة تنذر البشر بأنواع من العذاب المختلف رحمة بهم لتجعل عاقبتهم الخير ومصيرهم الفلاح وخوفاً عليهم من العذاب والعاقبة المخزية ، وهي آيات عظيمة تذكر الناس حين يبتعدون عن الدين الحق الذي جعله تعالى لهم فيكثر الشر ويقل الخير فيأتيهم الإنذار الإلهي الذي يحمل الخوف والرغبة عند مواصلتهم بالابتعاد عن الدين الذي يكون به سعادتهم في الدارين ، فالإنذار في الشريعة الإسلامية ينقسم بدوره إلى دنيوي وآخروي وسأبينهما كالتالي :

الإنذار الدنيوي : أن من مظاهر اللطف الإلهي وحكمته البالغة أن تكون هناك انذارات للمعاصي التي يقتربها العباد فتكون رادعاً لهم ، ومن هذه الانذارات التي وردت في القرآن الكريم ، المطر ، لقوله تعالى : ﴿ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ ﴾ (الشعراء: ١٧٣، النمل: ٥٨) ، الذي أُنذر به قوم لوط (عليه السلام) فأهلكهم ، فهو عظة وعبرة يتعظ بها كل من كذب ورد الحق الذي يجيء به الرسل^(٣) ، والصاعقة ، التي تفسد كل شيء وتغير هيئته ، لقوله تعالى : ﴿ فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴾

(فصلت: ١٣)، فهي إنذار لمن اعرضوا عن الحجج والبراهين التي جاء بها (صلى الله عليه وآله) ولم يؤمنوا بها^(٤) ، وأيضاً نزول العذاب المختلف ، لقوله تعالى : ﴿ فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ ﴾ (الصافات: ١٧٧)، فتعالى ينزل العذاب المختلف في الدنيا لمن

(١) الدامغاني / الوجوه والنظائر في القرآن الكريم / ٤٥١-٤٥٢ .
(٢) ط : الشيرازي / الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل ، ٧٣/١١ .
(٣) ط : الطبري / جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، ٦٣٢/١٧ .
(٤) ط : المصدر السابق ، ٣٩٥/٢٠ .

اعرض^(١) ، وأيضاً الضيق في العيش من أمساك الأيدي عن الأنفاق والعيش في حالة الضيق والتشويش في الرزق والذلة^(٢) ، لقوله تعالى : ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا ﴾ (طه: ١٢٤) وحدث الزلازل بأن يحرك الله تعالى الأرض ويرجفها تخويفاً للناس عند فعل المنكرات ، لقوله تعالى : ﴿ قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبَسَكُمْ شِيعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ ﴾ (الأنعام: ٦٥) ، فيرسل تعالى الحجارة والرياح والخسف والرجفة فيكون رحمة وموعظة من الله للعباد حتى ينتهوا عن الأعراض عن دين الله^(٣) .

الإنذار بيوم الآخر : اشتمل القرآن الكريم على الكثير من الآيات التي تنذر الناس من أهوال يوم القيامة اليوم العظيم المتحقق وقوعه بلا محال ، فانذر الله تعالى الناس على لسان رسوله (صلى الله عليه وآله) من ذلك اليوم وانذاره تعالى للناس لكي ترهب نفوسهم مما أعده تعالى لهم ليعودوا إلى الرشد والاستقامة في الدنيا ، وعليه يكون الإنذار للمؤمنين رحمة فيزدادوا إيماناً وللمعاندين عذاباً حتى يروا عاقبتهم الوخيمة التي أعدت لهم ، ومن هذه الآيات الكريمة :

الإنذار بيوم التلاق ، لقوله تعالى : ﴿ لِيُنْذَرَ يَوْمَ التَّلَاقِ ﴾ (غافر: ١٥) ، فهو اليوم العظيم الذي تتلاقى به الأجسام والأرواح وأهل الأرض والسموات فهو لفضاعته وهوله حقيق على الله تعالى أن ينذر الناس منه^(٤) ، فهو يوم لا شك فيه فتجتمع فيه الخلائق في الموقف للحساب وتفرق بعده فريق يذهب إلى دار ثوابه وفريق إلى دار عقابه^(٥) ، لقوله تعالى : ﴿ وَتُنْذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ ﴾ (الشورى: ٧) ، وبه المسيئون يتحسرون على إساءتهم وما يستحقون به من العقاب ، لقوله تعالى : ﴿ وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ (مريم: ٣٩) ، فهذا انذار لمن غفل عن الإيمان^(٦) ، فيكون حالهم ساكني العين لا يقدرّون على طرف أجفانهم من هول الموقف وما يشاهدونه وقلوبهم

(١) ظ : الطوسي / التبيان في تفسير القرآن : ٥٣٨/٨ .

(٢) ظ : الزمخشري / الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل / ٦٦٩ .

(٣) ظ : السيوطي / كشف الصلصلة عن وجوه الزلزلة ، مخطوطة مصورة عن النسخة المحفوظة بدار الكتب القومية رقم ٤٥٠ .

(٤) ظ : أبو سعود / ارشاد العقل السليم ، ١١/٥ .

(٥) ظ : المصدر السابق ، ٥٦/٥ .

(٦) ظ : الشريف الكاشاني / زبدة التفاسير ، ١٧٩/٤ .

غير قادرة على التدبر والتعقل لشدة هول الموقف ، لقوله تعالى : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ ﴾ (ابراهيم: ٤٢) فتعالى غير غافل عما يفعلوه الظالمون من فسادهم في الأرض وتمتعهم في العيش أنما يؤخرهم إلى يوم القيامة الذي يكون حالهم فيه رافعي الرأس ساكني البصر خالي القلوب لشدة الهول ، فهذا انذار من الله تعالى بما أعده لهم يوم القيامة من العذاب الأليم فهو انذار قطعي بعذاب ليس له صارف عن فرد أو أمة ظالمة ^(١) ، وانذرهم تعالى أيضاً من نار جهنم ذات التلهب والتوهج ، لقوله تعالى : ﴿ فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى * لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْق * الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى ﴾ (الليل: ١٤-١٦)، التي يخلد بها الكافر الذي تولى وكذب بالحق ^(٢) .

الإنذار سنة الإلهية

من الوظائف الأساسية التي كلف الله تعالى بها رسوله وأنبيائه (عليهم السلام) الانذار باعتبار أن الغاية الرئيسية من وجود الإنسان هي الامتثال لأوامر الله تعالى وترك نواهيه فالرسل والأنبياء هم المبلغون لهذه الأوامر والنواهي فيكونون مبشرين لمن أمتثل لها بالفوز بالجنة والنعيم ومنذرين لمن كفر بها بالعقاب الشديد والعذاب الأليم ^(٣) ، لقوله تعالى : ﴿ فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ ﴾ (البقرة: ٢١٣) ﴿ وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ ﴾ (الانعام: ٤٨)، فالله تعالى لم يترك الناس بدون الرسل ولا يعاقبهم دون بيان ، فالإنذار سنة إلهية جرت على كل الأمم نذكر منها :

انذار نبي الله نوح (عليه السلام) إلى قومه ، لقوله تعالى : ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ * قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴾ (نوح: ١-٢)، فأرسله تعالى لهم ليهديهم وينذرهم قبل أن ينزل عليهم الطوفان ، فأمرهم بثلاثة أشياء : ﴿ أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُوا ﴾ (نوح: ٣)، فإن فعلوها يزيل تعالى عنهم مضار الدنيا والآخرة ، لقوله تعالى : ﴿ يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ (نوح: ٤)، لكنهم انقلبوا على الدنيا واعرضوا عن الدين وما زادهم دعائه وانذاره الا تكبراً وعناداً ^(٤) ، فجاء أمر الله تعالى

(١) ظ : الطباطبائي / الميزان في تفسير القرآن ، ٨٢/١٢ .

(٢) ظ : المصدر السابق ، ٣٠٥/٢٠ .

(٣) ظ : الطبري / جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، ٦٢٧/٣ .

(٤) ظ : الرازي / مفاتيح الغيب ، ١٣٥-١٣٤/٣٠ .

بِإِغْرَاقِهِمْ : ﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكَ وَيَا سَمَاءُ أَفْلَعِي وَغِيضَ الْمَاءِ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ (هود: ٤٤)، ففضى أمر الله تعالى بهم .

وانذار قوم هود (عليه السلام) ، لقوله تعالى : ﴿وَإِذْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ بِالْأُحْقَافِ وَقَدْ خَلَّتِ النُّذُرُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ (الاحقاف: ٢١)، لكنهم استكبروا وأعرضوا ،لقوله تعالى : ﴿فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ * فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَحْسَاتٍ لِنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْزَىٰ وَهُمْ لَا يُنْصَرُونَ﴾ (فصلت: ١٥-١٦)، وهكذا حال جميع الأمم أرسل تعالى لهم الرسل وكلهم منذرون لكنهم لم يتعظوا بالانذار فواصلوا الانحراف والظلال بتعمد فكانوا أمثلة للعقاب الإلهي في الدنيا والآخرة .

فالله (عزَّ وجلَّ) قد أرسل إلينا نبينا محمد (صلى الله عليه وآله) وأنزل عليه القرآن دائم النفع كثير البركة يبشر بالخير والثواب في الدنيا والآخرة وينهي عن المعاصي ، فهو مصدق للكتب السماوية المنزلة على الأنبياء السابقين وموافقا لها فهو كتاب بشارة ونذارة ، فكان انذاره (صلى الله عليه وآله) في بادئ الأمر لمكة والقرى المحيطة بها شرقا وغربا^(١) ، لقوله تعالى: ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ (الانعام: ٩٢) ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ (الشورى: ٧)، ورسول الله مثلما انذاره لمجتمعه خاصة فهو انذاره أيضا لعامة الخلق أجمعين ، وما يدل على عموم انذاره آيات كثيرة منها ، قوله تعالى : ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ (الفرقان: ١)، ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ (سبا: ٢٨)، ﴿وَأَوْحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ﴾ (الانعام: ١٩)، فانذاره (صلى الله عليه وآله) لقريش والعرب وأهل مكة وكل من وصل إليه وبلغه دعوته من العجم والعرب وفي كل زمان ومكان إلى يوم الدين ، وعليه فأحكام القرآن تعم جميع الموجودين^(٢) .

(١) ظ : الخازن / لباب التأويل في معاني التنزيل ، ١٣٥/٢ .

(٢) ظ : أبو حيان الأندلسي / تفسير البحر المحيط ، ٣٤١/٧ .

الحكمة من الإنذار

أن للإنذار حكيمٌ عظيمة حتى لا يكون للناس حجة على الله تعالى نذكر منها :

١-تذكير الناس وإيقاظهم من غفلتهم ، فالأنغماس في شهوات الدنيا والتناهي في الضلالة والشرك وجميع المفسد من قتل الآخرين وانتهاك الأعراض والاختلاط في الأنساب ينسي الناس من التوجه إلى الله تعالى ، فيوجب التذكير والأيقاظ من الغفلة^(١) ، لقوله تعالى : ﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ (القصص:٤٦)، فالقرآن هو الذي يوقظ من الغفلة ، لقوله تعالى : ﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أُنْذِرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ﴾ (يس:٦)، فهو ينصب الأدلة ويكشف الحقائق فيقتضي الإنذار فيوجب السرعة للإقلاع عن المعاصي^(٢) .

٢-الأرشاد إلى الطريق الحق المستقيم ، المتمثل بعبادة الله تعالى والإخلاص له ونبذ الشرك ، لقوله تعالى: ﴿أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ﴾ (هود:٢)، ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا مُنْذِرٌ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ (ص:٦٥)، فيكون الرسول منذرًا لكل من يتجرأ على فعل المعاصي وينذر من العقاب في الدنيا والآخرة ومبشرًا للمطيعين لله تعالى بالثواب في الدنيا والآخرة^(٣) .

٣-التخويف والتهديد من العقاب والعذاب لمن يعصي الله والرسول ، لقوله تعالى : ﴿وَمَنْ يَعَصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ (النساء:١٤) ﴿إِنَّا أَنْذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا﴾ (النبا:٤٠)، فعذاب الآخرة قريب وهو واقع لا ريب في اتيانه وسيجزي الناس على أعمالهم ، ويتمنى الكافر من شدة ذلك اليوم لو يكون كالتراب فاقداً الارادة والشعور فلا يعمل ولا يجزي^(٤) .

٤-اقامة الحجة بتبليغ دين الله (عزّ وجلّ) وحتى لا يكون للناس عذراً على الله تعالى عندما يعذبون ، لقوله تعالى : ﴿إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ تَشْكُرُوا

(١) ظ : ابن عاشور / التحرير والتنوير ، ١٣٤/٢٠ .

(٢) ظ :المصدر السابق ، ٣٤٧/٢٢ .

(٣) ظ : مغنية / الكاشف ، ٢٠٤/٤ .

(٤) ظ : الطباطبائي / الميزان في تفسير القرآن ، ١٧٥/٢٠ - ١٧٦ .

يَرْضَاهُ لَكُمْ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿الزمر: ٧﴾، وقوله تعالى : ﴿رُسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِّئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ (النساء: ١٦٥)، فهذا من عدله تعالى انه بعث الأنبياء مبشرين ومنذرين ويبينون الأحكام والتكاليف وينذرون من العقاب والعذاب فتتم الحجة على الناس فلا يبقى حجة ولا عذراً بعد ذلك^(١) .

نلاحظ مما سبق أن الانذار من مهمات الأنبياء وهو مرتبط ارتباط وثيق بالدعوة الإلهية ، وهو من مفاتيح النفس الإنسانية ، فالنفس الإنسانية مجبلة على دفع جميع أنواع الشرور ، فهي عندما ترى أن الكفر والضلال يؤدي بها إلى العذاب الأليم سوف تهرب إلى ما يرضيها في الدنيا والآخرة .

فيتبين أن للانذار قيمة عالية عندما يبتعد الناس عن الدين الإلهي ويقل الخير والنفع والسعادة لهم في الدنيا والآخرة ، فهنا يأتي تعالى بالإنذار المتمثل بإرسال الرسل والأنبياء الذين بدورهم يبينون التعاليم الدينية ويهدونهم إلى الطريق المستقيم ، لكن الكثير من الأحيان يصر الإنسان على الغفلة ويتجاهل الحق فيأتي الإنذار الآخر المتمثل بالطبيعة من الزلازل والرياح القوية والأمطار الشديدة وغيرها لكي يرتدع الناس عما هم عليه .

ولقد بين لنا تعالى في القرآن الكريم حال الأمم السابقة التي لم تهتدي ولا تراعي الانذارات الالهية فأخذها تعالى بالعذاب في الدنيا والآخرة فهذا يكون لنا إنذار إلهي ، فعليه الانذار حجة إلهية على العباد حتى لا يكون لهم عذراً عند وقوفهم بين يدي الله تعالى يوم القيامة للحساب على أعمالهم الدنيوية فيسقط هنا كل حجة وعذر وإيه . فالإنذار ترهيب للعباد لكي يرجعوا إلى عبادة الله تعالى ، وهو أيضاً عامل جذب للإنسان السوي الذي يرى أن الدين الحق هو الذي ينقذ الفرد من الضلال ويرزقه النعيم والرضوان في الدنيا والآخرة .

(١) ط : الشيرازي / الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل ، ٣/ ٣١٤ .

التطبيق

الانذار أما أن يكون بالظواهر الطبيعية التي تحدث في الأرض كالمطر القوي والرياح والعواصف والزلازل والخسوف ، لقوله تعالى : ﴿ قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبَسَكُمْ شِيْعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ ﴾ (الانعام: ٦٥)، فهذه دلائل وحجج واضحة على الحق ليعرفوه الناس حتى يتبعوه ويجتنبوا الباطل ويتركوه فمن قامت عليه الحجة وخالفها استحق العذاب^(١) .

وما اندرنا تعالى به من العذاب الآخروي الذي يكون من نصيب من خالفه في الأوامر والنواهي ، فالآيات التي تتحدث عن النار وأنواع العذاب الموجود فيها يعد انذاراً لكل من أصر على الكفر ، لقوله تعالى : ﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنْذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ ﴾ (الشورى: ٧)، وبه يجمع الناس يوم القيامة للحساب والجزاء وهو يوم لا ريب فيه وبه يميز تعالى أهل الجنة عن أهل النار^(٢) .

(١) ظ : مغنية / الكاشف ، ٢٠٢/٣ .

(٢) ظ : المصدر السابق ، ٥١١/٦ .

الفرعُ الرَّابِعُ : الوعيد

الوعيد لغة : مأخوذ من الجذر اللغوي (وعد) ، والوعد كلمة تستخدم في الخير والشر ، أما الأيعاد والوَعِيدُ فيكون للشر فقط ، فالوعيد يعني التهديد ولا يكون إلا للشر^(١) . وأضاف الراغب الأصفهاني (ت ٥٠٢هـ) إلى كلام أهل اللغة الآيات القرآنية ، فالوعد بالخير في قوله تعالى : ﴿أَفَمَنْ وَعَدْنَاهُ وَعَدًا حَسَنًا﴾ (القصص: ٦١) ، أما الوعيد يتمثل في قوله تعالى : ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ﴾ (الحج: ٤٧)^(٢) .

الوعيد اصطلاحاً: وردت تعاريف عدة في الوعيد نذكر منها ، ما قال الشيخ الطوسي (٤٦٠هـ) : ((عبرة عن الأخبار بوصول ضرر إليه))^(٣) ، وما ذكره المناوي (١٠٣١هـ) : ((هو العهد بالشر خاصة))^(٤) ، وقيل أيضاً ((هو كل خبر يتضمن إيصال ضرر إلى الغير أو تفويت نفع عنه في المستقبل))^(٥) .

الوعيد في القرآن الكريم

أن الوعيد من الموضوعات القرآنية المهمة التي تناولها العلماء والمفسرون بالشرح والتبيين وقد كثرة فيه الآراء واختلفت الفرق وكان أكثر الباحثين وجهوا إلى تبينه بما يخدم ويفيد مصالحهم الدينية والسياسية بعيدين عن القرآن وسنة رسولهم (صلى الله عليه وآله) وأهل بيته الأطهار وهذا ليس موضوع بحثنا ، وسوف اتناوله أن شاء الله من القرآن الكريم .

أن من دأب القرآن الكريم أن يربط الدنيا بالآخرة ، فالدنيا مزرعة الآخرة والطريق الموصل إليها ، فجاء الوعيد في القرآن الكريم نوعان هما، الدنيوي والآخروي :

الوعيد الدنيوي : خص القرآن الكريم العديد من الآيات التي ترتبط بالدنيا وبها يوعد الكافرين بالهزيمة رابطاً مصيرهم بالأمم السابقة وما آلت إليه من الخسران فالوعيد مرتبط بالعدالة الإلهية وبمقتضى عدالته تعالى أن يعاقب الأشرار على أفعالهم والمشركين على كفرهم

(١) ظ : الجوهري / تاج اللغة وصحاح العربية / ١٢٥٥-١٢٥٦ .

(٢) ظ : المفردات في غريب القرآن / ٦٨٢ .

(٣) الطوسي / الإقتصاد فيما يتعلق بالإعتقاد / ١٨٠ .

(٤) المناوي / التوقيف على مهمات التعاريف / ٣٣٩ .

(٥) الدكتور عدنان زرزور / الحاكم الجشعي ومنهجه في التفسير / ١٨٤ .

ومعصيتهم ، وعلى كل من يأتي بالكبائر من نقض العهود والخلف بالوعود الإلهية ، ومن الآيات القرآنية التي جاءت في هذا السياق ، قوله تعالى : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُوذُنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ * وَلَنُسَكِّنَنَّكُمْ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدٌ ﴾ (ابراهيم: ١٣-١٤) ، فسياق الآية الكريمة يتحدث عن قوم نوح وعاد وثمود والذين جاءوا من بعدهم وما أنزل تعالى بهم من العقوبات التي لا يعلمها إلا هو ، فهؤلاء الأقوام قد جاءت إليهم الرسل ودعتهم إلى توحيد الله تعالى وإخلاص له العبادة وترك الآلهة وغيرها من الأوثان ، فما كان ردهم إلا تهديد الأنبياء بالطرد والإخراج من الأرض ، فجاء أمر الله تعالى بعقابهم ، فهذا وعيد وتهديد من الله تعالى لكل من أشرك من قوم محمد (صلى الله عليه وآله) وتجراً عليه فتكون عاقبته الهلاك ، لقوله تعالى : ﴿ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ ﴾ (الاحزاب: ٦٢)^(١) ، فهذا خير مثال من أنزال العقاب بالأمم السابقة فيكون تهديداً لكل من يكفر بالله تعالى من الأمم اللاحقة فهذه سنته الله في الأمم .

ومن الوعيد الدنيوي أيضاً ، قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَتَأْثَلُثْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ * إِنْ تَتَفَرَّقُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (التوبة: ٣٨-٣٩) ، فالآية الكريمة تحدثت عن تناقل بعض المؤمنين عن القتال فجاء التهديد والوعيد من الله سبحانه من لم يخرج للقتال من دعاه الرسول بأن يستبدلهم تعالى بغيرهم من الناس من الذين اسلموا من بعدهم والعذاب الأليم في الآخرة فهو تعالى غني لا يحتاج إلى أحد ورسوله (صلى الله عليه وآله) لن يضار شيئاً فتعالى قادر عليهم وعلى كل شيء وهذا وعيد شديد لمن يتخلف عن الجهاد^(٢) .

الوعيد الآخروي : أن الوعيد بالعذاب الأليم في الآخرة هو امتداد للوعيد الدنيوي فهو يأتي لكل فرد لم يلتزم بما أمر تعالى به الذي جاء على لسان رسله من الإيمان بالله تعالى والعمل الصالح وأتباع الأوامر والإخلاص له الدين ، فمن توجه لغيره في الدنيا وأصر على ارتكاب

(١) ظ : الطبري / جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، ٦١٢/١٣-٦١٣ .

(٢) ظ : الطبرسي / مجمع البيان في تفسير القرآن ، ٤٤/٥ .

النواهي استحق النار والعذاب الأليم في الآخرة ، ومن الآيات الكريمة التي جاءت بهذا السياق قوله تعالى : ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعَنَهُمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ (التوبة: ٦٨)، فتعالى أعد للمنافقين والمنافقات والكفار عقوبة شديدة وهي التخليد في النار وألحق بهم اللعن والإهانة والذل فهذا وعيد من الله تعالى لهم^(١) .

وأيضاً قوله تعالى : ﴿فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ﴾ (التوبة: ٨١)، فالآية الكريمة أيضاً وعيد للمنافقين الذين تعذروا بأعذار كاذبة من الخروج في الحرب مع رسول الله فهم ليس كالمؤمنين الذين جاهدوا بأنفسهم وأموالهم في سبيل الله تعالى فهؤلاء قعدوا واستعذروا بالحر لا يكفيهم ما بهم من نفاق بل حاولوا أن يصدوا المؤمنين عن ذلك ، فتوعدهم تعالى بنار جهنم وهي أشد حرّاً والأحرى بهم أن يجزعوا منها لا من مشقة ساعة فيصونوا أنفسهم منها^(٢) .

وأيضاً ما أوعد تعالى من آكلي مال اليتيم بالنار ، لقوله تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾ (النساء: ١٠)، فكل من ينتفع بأموال اليتامى بأي وجه كان ظلماً فهو يملئ بطنه ناراً ويدخل في النار^(٣) . فهذه النصوص القرآنية التي جاءت بسياقات مختلفة بينت أن الوعيد يكون في الدنيا والآخرة .

المستحقون للوعيد في القرآن الكريم

أن الوعيد في القرآن الكريم حقيقة إلهية وذلك بمقتضى عدالته أن يثاب الأبرار على أفعالهم ويعاقب الأشرار وهذا ما يحكم به العقل البشري ، فيأتي الإنسان أجراً ما عمل يوم القيامة^(٤) ، كما جاء في قوله تعالى : ﴿وَإِنَّمَا تُقَوَّنَ أَجُورُكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحِرَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ (ال عمران: ١٨٥)، لذا بين تعالى في كتابه الكريم المستحقين لوعيده ، نذكر منهم :

(١) ظ : فخر الدين الرازي / مفاتيح الغيب ، ١٣٠/١٦ .

(٢) ظ : أبو حيان الأندلسي / البحر المحيط ، ٨١-٨٠/٥ .

(٣) ظ : الشريف الكاشاني / زبدة التفاسير ، ١٠/٢ .

(٤) ظ : الفيض الكاشاني / الصافي في تفسير القرآن ، ١٦١/٢ .

١- الكفار والمنافقين والمشركين، لقوله تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعَنَهُمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ (التوبة: ٦٨) وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ﴾ (البينة: ٦)، وقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ كَذَبُوا بِالْكِتَابِ وَبِمَا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ * إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ * فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ * ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تُشْرِكُونَ * مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا بَلْ لَمْ نَكُنْ نَدْعُو مِنْ قَبْلُ شَيْئًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ الْكَافِرِينَ * ذَلِكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَمْرَحُونَ ، ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوًى الْمُتَكَبِّرِينَ ﴿(غافر: ٧٠-٧٦)، فهؤلاء الذين كذبوا بالقرآن وبالكتب السماوية سوف تكون عاقبة تكذيبهم بأن توضع الأغلال في اعناقهم والسلاسل في أرجلهم ويسحبون إلى الحميم ثم النار ، ويقال لهم توبيخاً اين الهتكم التي كنتم أليها عابدون ، فهذا جزاء تبطرهم وتكبرهم بغير حق ثم يدخلون إلى جهنم خالدين فيها^(١) .

والعذاب لمن أطاع الكافرين ، لقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ، خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَا يَجِدُونَ وِلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ * يَوْمَ تَقْلَبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَ * وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَ * رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنَهُمُ لَعْنًا كَبِيرًا ﴿(الاحزاب: ٦٤-٦٨)، فهم قد أطاعوا قاداتهم في الكفر وتمنوا لو أطاعوا الله تعالى ورسوله لما كان مصيرهم هذا فيطلبون من الله تعالى أن ينزل بقاداتهم ضعفين من العذاب لأنهم قد أضلوا أنفسهم وأضلونا^(٢) .

والمتكبرون عن قبول حجج الله فهم من الملازمين للنار الخالدين فيها ، لقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (الاعراف: ٣٦)^(٣) .

٢- الوعيد لعصاة المسلمين الذين يصرون على ارتكاب كبائر الذنوب ، لقوله تعالى: ﴿إِنْ تَجَتَبَّوْا كِبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا﴾ (النساء: ٣١)، فمن رحمته تعالى أن لم يحدد في القرآن الكبيرة ، وقد ذكر العلماء لتمييز الكبائر عن الصغائر أموراً ، وهي : التوعيد بالنار وهذا ما اجمع عليه المسلمون ويستدل عليه بالعقل أيضاً ، فليس

(١) ظ : الفيض الكاشاني / الصافي في تفسير القرآن ، ٣١٨/٥-٣١٩ .

(٢) ظ : شبر / الجواهر الثمين في تفسير كتاب الله المبين ، ١٢٨/٥ .

(٣) ظ : المصدر السابق ، ٢٩٦/٢ .

عقوبة اعظم من النار فكل كبيرة يكون عقوبتها النار ، والإصرار على فعل الصغيرة ، لقوله تعالى : ﴿ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ ، وضع الحد الشرعي للمعصية ، فإن ما ثبت الحد الشرعي للمعصية يدل على أنه كبيرة مثل السرقة والزنا وغيرهما ، أيضاً استصغار الذنب من عدم المبالاة بفعله والاعتذار بستره تعالى له والسرور بفعله مع الغفلة وغرور النفس الانسانية ، شدة النهي الوارد فيه وكبر الأثر المترتب على فعله ، أيضاً الفاعل للذنب أن كان صاحب منزلة اجتماعية كبيرة بحيث أن الناس يقتدون بأفعاله فإذا فعل الصغيرة بحضرتهم وفعلوها اقتداءً به . فالكبائر بحد ذاتها تكون مختلفة فيكون بعضها اعظم وأفظع من الآخر (١) .

الغاية من الوعيد

أن الله تعالى خلق الجن والأنس من أجل عبادته لقوله تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ (الذاريات: ٥٦) ، ولتحقيق حكمته تعالى ارسل رسله الكرام وانزل إليهم الكتب ، لقوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾ (النحل: ٣٦) ، وهذا يتطلب من العباد أن يتبعوا أوامره ويجتنبوا نواهيه ، لذلك حث تعالى عباده على أتباعه من خلال أساليب عدة ومنها الوعيد ، فالدنيا خلقها تعالى لتكون مزرعة للآخرة وهي متجر لأوليائه الكرام فغايتها تعالى من وعيده للإنسان في الآخرة مرتبط بإيمان الناس وعملهم في الدنيا ، فالإنسان لم يخلق عبثاً في هذه الدنيا ، لقوله تعالى : ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴾ (المؤمنون: ١١٥) ، فخلق الإنسان الكائن العظيم في هذه الدنيا ليس من أجل أن يعيش عدداً من السنين ، وهو يمر بمراحل مختلفة وما يعاني من المصاعب والآم ، لا ليأكل الطعام ويرتدي اللباس وينام وبعدها يموت وتنتهي سنين عمره ، فالإنسان أكمل المخلوقات التي خلقها تعالى في هذا الوجود (٢) . فكل شخص عاقل حكيم عندما يقوم بعمل يكون من ورائه غاية والله تعالى احكم الحاكمين واعلم الجميع فيكون من خلقه للإنسان غاية وهذا لا تكمن في ذاته تعالى وإنما تبحث في المخلوقين أنفسهم وكمالهم ، ولقد ورد في آيات القرآن الكريم تعابير عدة في خلق الإنسان منها ما يعود إلى امتحان الإنسان وعمله الحسن في

(١) ظ : السبزواري / مواهب الرحمن في تفسير القرآن ، ١٥٨/٧ .

(٢) ظ : الشيرازي / الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل ، ٤٧٨/٨ .

الدنيا لقوله تعالى : ﴿ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾ (الملك: ٢)، وبينت اية اخرى أن الغاية من خلق الله تعالى السماوات والأرض ليعلم الإنسان بقدرته تعالى ، لقوله تعالى : ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴾ (الطلاق: ١٢)، واية اخرى بينت من أجل رحمته تعالى : ﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ، إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلَئِنَّكَ لَخَلْقَهُمْ ﴾ (هود: ١١٨-١١٩)، وبالتأمل بالآيات الكريمة يتضح أن الهدف هو العبودية لقوله تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ ^(١) ، ولتحقيق هذا الهدف أرسل رسله وأنزل معهم التعاليم ، لقوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾ (النحل: ٣٦)، ومن الأساليب التي استخدمت لبناء الحياة الإنسانية هو الوعيد الذي يدعو إلى الهدى الإلهي فالأنبياء بعثوا ليتكامل الإنسان وتابعه على ذلك الأوصياء فهو من الأساليب الذي اعتمده القرآن الكريم ترهيباً للإنسان فالغاية من وعيده تعالى من أجل اعداد الإنسان ليكون خليفة في الأرض واعداده بالشكل المطلوب مع حقيقته بأنه لم يخلق عبثاً والوصول به إلى الكمال الإنساني وبما أن الدنيا مرتبطة بالآخرة فيكون الغاية من الوعيد هو أن يريد تعالى لعباده الفوز والرضوان في الآخرة بأن يجتنبوا ما نهى عنه تعالى فيحقق لهم الفوز الآخروي ورضا تعالى عنهم ^(٢) .

نرى في القرآن الكريم أن الله تعالى قد استعرض لنا تاريخ الأمم السابقة ابتداءً من نبينا آدم (عليه السلام) ووصولاً إلى العهد النبوي الشريف ، فكل ما حدث للأمم السابقة من سنن كونية واجتماعية ستبقى حاكمة في حياة الإنسان انتهاءً بيوم القيامة ، فلا بد للإنسان أن يلاقي ما حدث فيما سبق ، ونرى أن مفهوم الوعيد له مصاديق عديدة في حياة البشر ، فما دعي إليه الأنبياء والرسل من الامتنال للأوامر واجتناب النواهي كله من اجل تحقيق التكامل الإنساني .

فنرى أن الأمم التي تعرضت لأنواع المصائب والبلايا كان هذا عقاباً لها في الدنيا فهي قد تجاوزت التعاليم الإلهية وأفسدت في الأرض فكل ما حدث لها من عقوبات دنيوية يعد ترهيباً

(١) ظ : الشيرازي / الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل ، ٢١٦/١٣-٢١٧ .
(٢) ظ : الشيخ عارف هنديجاني / الوعد والوعيد في القرآن المجيد / جمعية القرآن الكريم موقع الجمعية
www.qurankarim / ج ٢ .

لها لعلها ترجع إلى غايتها الرئيسية من خلقها لكنها أصرت على كفرها وعنادها فحقق تعالى وعيده لها لذا كانت عاقبتها الهلاك .

وهذه الأخبار عن ما حدث للأمم السابقة يعد تهديدًا ووعدًا لنا من الله تعالى ، فكان لازمًا علينا عند ملاحظة تجارب الأمم السابقة أن نمثل للأوامر الإلهية ونجتنب النواهي لكي نتكامل في حياتنا الإنسانية ، لكن عند الإصرار على العناد والكفر ذاته يكون مصيرنا مثل ما حدث للأمم السابقة .

فيتبين لنا أن الله تعالى اعد لنا رؤية تكاملية عن الحياة والآخرة والمصير الذي يلاقيه الفرد في الامتثال أو عدمه ، فهدف الله تعالى من وعيده هو أن يستخلف الأرض لم يستحقها لا من يعث فيها فسادًا ، فنرى أن للوعيد غاية وتكمن غايته في التوجه نحو عبادة الله تعالى والإخلاص له الدين والامتثال فيما يدعو إليه من أجل تحقيق الاستقرار والتوازن لكي تتحقق الغاية التكاملية للإنسان في الدنيا .

ومن هنا نستنتج أن للوعيد غايتين الأولى في الدنيا ليكون الإنسان خليفة الله تعالى في أرضه والثانية الفوز في الجنة ، وهذا لا يتحقق إلا من خلال التوجه نحو عبادة الله تعالى والإخلاص له الدين ، والأنسان العاقل الذي يرى غاية تعالى من وعيده للبشر من أجل اصلاحهم في الدنيا وسعادتهم في الآخرة يكون له عامل جذب للدين الإسلامي ، وعلى هذا الأساس يعد الوعيد من أحد مصاديق الجذب القرآني للناس .

التطبيق

أما الوعيد ، فعند التأمل في الآيات القرآنية نجد أن الله تعالى قد حقق وعيده في الدنيا بحق الأقوام التي كذبت رسلها وأصرت على الكفر ، لقوله تعالى : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُوذُنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ * وَلَنُسَكِّنَنَّكُمْ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ ﴾ (ابراهيم: ١٣-١٤) ، فنرى أن الظالمين عندما تضعف عقيدتهم ومنطقهم يلتجأون إلى استخدام العنف والقوة اتجاه الرسل وأصحابهم ، حتى نرى أنهم يمنعونهم من حق المواطنة مع أن الله تعالى خلق الأرض وبما فيها لرسله وعباده الصالحين لا للظالمين ، لذلك أوحى تعالى لرسله أن يظهروا القوة في أرادتهم وعدم اظهار الخوف من وعيدهم فتعالى سيرث الأرض لأنبيائه ورسله وأصحابهم ، فهذا النصر لا يناله الا المستحقون له لا للمعاندين والظالمين وهذا من مقتضى العدل الإلهي ، وقد تحقق وعيده تعالى بحقهم من العذاب الأليم الذي أصابهم في هذه الدنيا^(١) .

وتهديده تعالى أيضاً يكون في الآخرة لكل من كذب الرسل والكتب السماوية وجحد بحق الدلائل الواضحة في المبدأ والميعاد فهؤلاء يصبحون وقوداً للنار ويربطون بالأغلال ويسحبون بالسلاسل وما هذا الا نتيجة غرورهم وتكبرهم عن آيات الله تعالى وبسبب التقليد الأعمى وفرحهم بقتل المؤمنين والتضييق عليهم وشعورهم بالعظمة عند افتعالهم هذه الذنوب والمعاصي^(٢) ، لقوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِالْكِتَابِ وَبِمَا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ * إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ * فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ * ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تُشْرِكُونَ * مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا بَلْ لَمْ نَكُنْ نَدْعُو مِنْ قَبْلُ شَيْئًا كَذَلِكَ يَضِلُّ اللَّهُ الْكَافِرِينَ * ذَلِكَ بِمَا كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَمْرَحُونَ * ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوًى الْمُتَكَبِّرِينَ ﴾ (غافر: ٧٠-٧٦) .

(١) ط : الشيرازي / الأمل في تفسير كتاب الله المنزل ، ٤٤١/٦ .

(٢) ط : المصدر السابق ، ١٠٧/٧-١٠٩ .

الفرع الخامس : القصص

آل فرعون في القرآن الكريم

آل أصلها الأهل وتصغير اهيل ، والفرق بين الأهل وآل ، لأن الأهل أعم منه ، يقولون أهل الكوفة ولا يقولون آل الكوفة ، وآل الرجل بمعنى أهل بيته وقرابته ، وآل فرعون بمعنى أتباعه وقومه ، وفرعون هو اسم ملك للعمالقة ، كما يقال كسرى ملك الفرس ، وقیصر ملك الروم ، وهو بمعنى الصفة فهي جارية عليه كملك للعمالقة كما تجرى على غيره ، وقيل اسمه مصعب بن الريان وقيل الوليد بن مصعب^(١) ، وورد ذكره في القرآن في أربعة وسبعين موضعاً^(٢) ، وكان آله مشاركين ومساندين له ولحكمه الظالم ، وهم كانوا عبارة عن أداة تنفيذية له ينفذون ما يريد ، ولقد اسند فعله إليهم في العديد من الآيات القرآنية الكريمة .

صفات فرعون في القرآن الكريم

لقد اتصفت شخصية فرعون بصفات عديدة ورد ذكرها في القرآن الكريم ، نذكر منها بصورة مختصرة كالتالي :

١-العلو والاستكبار ، كما ورد في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضَعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ ﴾ (القصص:٤) ، ﴿ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ ﴾ (يونس:٨٣) ، فقد كان فرعون متجبراً وطاغياً في أرض مملكته وظالماً وجاوز الحد في ذلك وكان قاهراً في الفساد والظلم والعتو والكبر^(٣) ، وورد أيضاً قوله تعالى : ﴿ وَاسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ ﴾ (القصص:٣٩) ، ﴿ وَقَارُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ ﴾ (العنكبوت:٣٩) ، فهو قد رفع نفسه في الأرض بالظلم والباطل وكان يتعظم عن قبول الحق الذي جاء إليه من قبل الله تعالى المتمثل بأرسال موسى (عليه السلام) فهو تجبر ولم ينقاد له^(٤).

(١) ظ : الطوسي / التبيان في تفسير القرآن ، ٢١٩/١ .

(٢) عبد الباقي / المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم / ٥١٥-٥١٦ .

(٣) ظ : الزمخشري / الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل / ٤٧١، ٧٩٣ .

(٤) ظ : الطبرسي / مجمع البيان في تفسير القرآن ، ٣١٨/٧ .

٢-الافساد في الأرض ، وإفساده راجع إلى تكذيب آيات الله تعالى ، كما جاء في قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَظَلَمُوا بِهَا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴾ (الاعراف: ١٠٣) ، ﴿ فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ * وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴾ (النمل: ١٣-١٤) ، فو كذب كل الدلائل والحجج وبدل الأيمان بالكفر فهو قد ظلم نفسه وما كانت عاقبته إلا الهلاك^(١) .

٣-الطغيان والاسراف ، وهو المجاوزة الحد في التكبر والتجبر والكفر والعصيان ، كما جاء في قوله تعالى : ﴿ اذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴾ (طه: ٢٤) ، ﴿ اذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴾ (طه: ٤٣)^(٢) ، فهو جاوز الحد في الكفر لادعائه الربوبية ، قوله تعالى : ﴿ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ ﴾ ، فهو كان مترفعاً عن عبادة الله تعالى^(٣) .

٤-الاستخفاف بعقول الناس ، كما جاء في قوله تعالى : ﴿ فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴾ (الزخرف: ٥٤) .

فهذه صفات واضحة بينها القرآن الكريم لشخصيته فرعون فهو اتصف بالعلو والاستكبار والفساد والطغيان والاسراف والاستخفاف بعقول غيره .

دعوة موسى لفرعون إلى دين الله

أرسل الله تعالى موسى وهارون (عليهما السلام) أن يدعوا فرعون وقومه إلى دين التوحيد وعبادة الله تعالى وحده رباً للعالمين ، لقوله تعالى : ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ يَا فِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ * حَقِيقٌ عَلَىٰ أَنْ لَا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾ (الاعراف: ١٠٤-١٠٥) ، فدعاه (عليه السلام) وقومه وبين له أنه الرسول المرسل من قبل رب العالمين خالق السماوات والأرض ومالك كل شيء وواجب عليه أن لا يقول غير الحق على الله تعالى ، وجاءهم ببينة وبرهان على صدقه وهي العصا التي تحولت إلى ثعبان واليد البيضاء^(٤) ، وأخذ (عليه السلام) يدعو فرعون بالقول اللين ويوجه له

(١) ظ : الطبرسي / مجمع البيان في تفسير القرآن ، ٢٣٩/٤ .

(٢) ظ : القرطبي / الجامع لأحكام القرآن ، ٥١/١٤ .

(٣) ظ : المصدر السابق ، ٣٣/١١ .

(٤) ظ : الخازن / لباب التأويل في معاني التنزيل ، ٢٣٢/٢ .

الخطابات الناصعة والبراهين الساطعة التي تدل على أن العالم خلق الله تعالى وأنه مربوب لله تعالى لا رب ، وما رد فرعون إلا توعد موسى بالسجن ، فسجنه كان أشد من القتل ، واتهامه بالسحر لرواجه في ذلك الوقت ، لقوله تعالى : ﴿ قَالَ لئن اتَّخَذَتِ إِلَهًا غَيْرِي لأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ ﴾ (الشعراء: ٢٩) ، ﴿ قَالَ لِلْمَلِكِ حَوْلُهُ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ ، يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴾ (الشعراء: ٣٤-٣٥) ، واخذ يقول لقومه انه يريد ان يخرجهم من أرضهم محاولاً تغييرهم منه لئلا يقبلوا دعوته^(١) .

وأخذ فرعون بتوجيه التهم إلى موسى (عليه السلام) منها الكذب والافتراء كما جاء في قوله تعالى : ﴿ فَقَالُوا سَاحِرٌ كَذَّابٌ ﴾ (غافر: ٢٤) ، وأن الله تعالى لم يرسله وأنه كاذبٌ وهذا حال جميع الأمم السابقة عندما يرسل لهم رسول ، لقوله تعالى : ﴿ كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ * أَتَوَاصَوْا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴾ (الذاريات: ٥٢-٥٣) ، فكذبوه (عليه السلام) وجعله ساحراً^(٢) ، لكن لما تبين لفرعون وملائه بأن الذي جاء به موسى هو الحق وأنه من عند الله تعالى أخذوا بالعناد والمباهة وما ذلك الا بسبب تكبرهم وطغيانهم عن قبول الحق فقالوا له : ﴿ مَا هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُفْتَرًى ﴾ (القصص: ٣٦) ، فما جاء به سحراً مصنوعاً ومفتعلاً^(٣) ، وأتهموه أيضاً واخيه هارون بأنهما يصدان عما كان عليه آبائهم من عبادة الأصنام ويريدان لأنفسهما الاستعلاء في الأرض والملك لهما باعتبار أن الملوك موصوفين بالتكبر على الناس^(٤) ، لقوله تعالى : ﴿ قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَلْفِتَنَّا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا وَنَكُونَ لَكُمُ الْكِبْرِيَاءُ فِي الْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمُ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ (يونس: ٧٨) ، ولم يكتفوا بذلك بل أخذوا بالاستهزاء بهم والجدود على ما جاء به ، لقوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِآيَاتِنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَضْحَكُونَ ﴾ (الزخرف: ٤٧) ، ﴿ وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ﴾ (النمل: ١٤) ، فهم قد أدركوا واستيقنوا على صحة ما يدعوان إليه ، ولم يزيدهم ذلك الا جدوداً بالسنتهم وعلواً وتعدياً على دين الله تعالى^(٥) .

عذاب آل فرعون

(١) ط : الخازن / لباب التأويل في معاني التنزيل ، ٣/ ٣٢٤ .

(٢) ط : ابن كثير / تفسير القرآن العظيم ، ٧/ ١٣٩ .

(٣) ط : المصدر السابق ، ٦/ ٢٣٧ .

(٤) ط : الشريف الكاشاني / زبدة التفسير ، ٣/ ٢٣٢ .

(٥) ط : جعفر السبحاني / القصص القرآني ، ٢/ ٧١ .

جرت سنة الله تعالى في عبادته عند ارتكابهم المعاصي بأن يرسل عليهم العقوبة والعذاب في الدنيا ، لقوله تعالى : ﴿ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا ﴾ (العنكبوت: ٤٠) ، فالعقوبة تتنوع حسب المعصية التي يرتكبونها ، وهذا قانون رباني عام في جميع دعوات الأنبياء فكلما يواجهون المعارضة ينزل الله تعالى أنواع البلاء حتى تستيقظ فطرتهم ويحسوا بضمايرهم ويرجعوا إلى الحق . وكان اول البلاءات التي حلت بآل فرعون القحط والجذب ، كما جاء في قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذْكُرُونَ ﴾ (الاعراف: ١٣٠) ، فالآية الكريمة بينت أن القحط والجذب موجه إلى فرعون وأقاربه ، لكنه كان موجهاً إلى جميع حاشيته ومؤيديه ، لأن زمام أمور الناس كانت بيدهم فيستطيعوا أن يهدونهم أو يضلونهم لذا توجه الخطاب لهم خاصة ، فكان الجذب الذي أخذهم كان بلاءً عظيماً ولأن أراضي مصر كانت زراعية ، فكان البلاء مؤذياً للجميع وبالأخص آل فرعون لأنهم اصحاب الأراضي الزراعية ، واستمر هذا الحال عدة سنوات ، وكانت هذه الأوضاع جديرة بهم أن ينتهوا من غفلتهم لكنهم اساءوا استخدامها ، فكانوا يفسرون الظروف الطبيعية والمؤاتية لرغبتهم بأنها منهم ونزول النوائب كانت بسبب موسى (عليه السلام) وقومه^(١) .

فما اصابهم من الجذب وما تسبب لهم من أضرار مالية لم ينفع في ايقاظهم من غفلتهم وما كان ردهم لموسى (عليه السلام) إلا الاستهزاء والسخرية ، ﴿ وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لِنَسْحَرَنَّ بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ (الاعراف: ١٣٢) ، لذا كانوا يعبؤون الناس أن كل ما يأتي هو من سحر موسى للحيلولة في انتشار دعوته وتزايد نفوذها في مصر .

فكانت إرادة الله تعالى أن لا يعذب قوماً حتى يتم عليهم الحجة ، بعد ذلك انزلت عليهم العقوبات الشديدة المتتابعة ، لكنها لم تؤثر فيهم^(٢) ، كما جاء في قوله تعالى : ﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالْدَّمَ آيَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ ﴾ (الاعراف: ١٣٣) ، فأخذوا بالطوفان حتى امتلأت أوديتهم بالماء ودخل بيوتهم ونصبوا في الصحراء خيامهم ، وبعدها الجراد الذي أكل محاصيلهم الزراعية ، وبعدها انتشر القمل ،

(١) ظ : الشيرازي / الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل ، ٣٩٢/٤-٣٩٣ .

(٢) ظ : المصدر السابق ، ٣٩٦/٤ .

وبعدها الضفادع التي انتشرت في برك الماء بسرعة ، وبعدها الدم الذي قيل بسبب الرعاف الذي اصابهم أو بسبب بعض الأمراض التي كانت سببها الجراثيم ، فكل هذه الآيات لم تتفهم واستكبروا على الحقيقة زاعمين أن ذواتهم أعلى من ذلك، فهم قد ظلموا أنفسهم بتكبرهم على الحق ، ولقد كانوا عندما يحل بهم البلاء رجعوا إلى موسى وطلبوا منه إزالة العذاب الذي حل بهم بسبب انحرافهم ، لقوله تعالى : ﴿ وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُوا يَا مُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ لِئَن كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾ (الاعراف: ١٣٤)، وما أن يكشفه تعالى عنهم حتى رجعوا إلى سابق جحودهم وكفرهم ، ﴿ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ الرِّجْزَ إِلَى أَجَلٍ هُمْ بِالْغُوهِ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ ﴾ (الاعراف: ١٣٥).

فهذه حجج الله تعالى عليهم حتى لا يكون لهم عذراً عند حلول الانتقام بهم بأنهم لم يعرفوا الحقيقة فهم قد عرفوها ونقضوها مرة بعد أخرى^(١) . وما كان عاقبة تعنتهم ونقض عهودهم إلا هلاكهم وتحطيمهم وإزالة شوكتهم فجاء أمر الله تعالى إلى موسى (عليه السلام) أن يخرج ومن آمن به ليلاً وأعلمه أن فرعون وجنوده سيلحقون بهم : ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنِ اسْرِبْ بِعِبَادِي إِنَّكَ مُتَّبَعُونَ ﴾ (الشعراء: ٥٢)، وما أن بزغت شمس الصباح تقرب فرعون وجنده إليهم فامر تعالى موسى (عليه السلام) أن يضرب بعصاه البحر فانفلق فسلكه ومن معه من بني إسرائيل ، ولما رأى فرعون ذلك سلك على أثرهم فجاء أمر الله تعالى بانطباع البحر عليهم ، فتحقق أمر الله تعالى بإهلاكهم : ﴿ أَرَادَ أَنْ يَنْفَرَهُمْ مِنَ الْأَرْضِ فَأَغْرَقْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ جَمِيعًا ﴾ (الإسراء: ١٠٣)^(٢) .

نلاحظ فيما سبق أن من المهمات العظيمة التي يكلف الله تعالى بها أنبيائه ورسله هي دعوة الناس إلى عبادة الله تعالى وذلك عندما يتجاوزون الحد في الفساد وعبادة غير الله تعالى والتحاكم إلى الفاسدين فيرسل تعالى رسله للإنقاذ البشرية مما هم فيه من تمسكهم بالعقائد الباطلة والأخلاق الرذيلة والعادات السقيمة فيدعونهم إلى عبادة الله تعالى ويرشدونهم للأخلاق الحميدة ويحثونهم على العمل الصالح الذي به تستقم حياتهم وبهذا يخرجون الناس من الظلمات إلى النور ويبينون لهم العاقبة الحسنة التي اعدّها تعالى لمن امتثل واطاع والعاقبة المخزية

(١) ظ : المدرسي / من هدى القرآن ، ١٠٠/٣ .

(٢) ظ : جعفر السبحاني / القصص القرآنية ، ١١٠-١٠٨/٢ .

والشقاء لمن عصى في الدنيا والآخرة فيتضح أن لا سبيل لسعادة الإنسان الدنيوية والآخروية من غير التوجه إلى الله تعالى في جميع الأحوال .

ونلاحظ أن الله تعالى لما عرض لنا شخصية فرعون من جوانب متعددة وأنه قد أبهم اسمه وذلك من أجل إبراز الصفات ، ويكون الهدف البعد عنها والتي بدورها تؤدي إلى العاقبة المخزية ، فرعون قد أظلم العباد وجعل فيما بينهم التمايز الطبقي وسخر الفئة الضعيفة لخدمة الفئة القوية وعمد إلى نشر الفساد والأخلاق السيئة ، فتعالى لم يعمد إلى عذابه أولاً بل أتى إليه بالرفق واللين في دعوته وعندما رأى منه الإصرار قد أنزل له العذاب على مراحل لعله يرجع عما ما هو عليه لكنه أصر فأنزل تعالى به العذاب .

فتعالى لا يريد للناس أن يعيشوا حياتهم بالذل والإهانة ، بل الحياة الكريمة القائمة على الرحمة والمودة والخالية من التمايز فيما بينهم ، لذا فإن اهلاك فرعون وقومه كان سبب تماديهم على الناس الضعفاء وعمدوا إلى نشر الفساد ، وهذا ما يحكم به العقل البشري وما ترتضيه النفس من محاكمة الظالمين ومحاسبتهم على أعمالهم ، ويكون بهذا الأساس عذاب الظالمين هو عامل جذب للعباد .

تطبيق

أما القصص ، فتعالى حدثنا عن غرق فرعون وقومه عندما أصرّوا على العلو على الحق ، لقوله تعالى : ﴿وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ﴾ (يونس: ٨٣)، فهو كان متسلطاً على قومه مسرفاً في استخدام خيرات الطبيعة^(١) ، فهو وقومه بنو سداً منيعاً من الجحود مع الحق ، فهم تمسكوا بأفكار بعيدة عن الحقيقة والتزموا بتفسيرات باطلة بأن موسى (عليه السلام) يريد تسخير الناس إليه لا لأجل هدايتهم فهو عندهم الساحر العليم الماهر الذي يعرف جميع وسائل السحر ، لقوله تعالى : ﴿وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لِنَسْحَرَنَّ بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ (الاعراف: ١٣٢)، فهم مصرّون على انكار الحقيقة وبالآيات الواضحات^(٢) ، لذلك أخذهم تعالى ونبذهم في أليم وقد ابتلعهم الماء مثل ابتلاع النهر للحصاة ، لقوله تعالى : ﴿فَأَغْرَقْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ جَمِيعًا﴾ (الاسراء: ١٠٣)، فذهب قومه وبقي جسده عبرة للعالمين^(٣) .

(١) ظ : المدرسي / من هدى القرآن ، ٤٢٢/٣ .

(٢) ظ : المصدر السابق ، ١٠٠/٣ .

(٣) ظ : المصدر السابق ، ٤٩١/٤-٤٩٢ .

الفصل الثاني : وسائل الانجذاب في القرآن الكريم

المبحث الأول : الوسائل الموافقة للغريزة الإنسانية

المبحث الثاني : الوسائل المحددة للغريزة الإنسانية

مدخل

إن الله تعالى خلق الناس وجعل عندهم غرائز وهذه الغرائز يمكن أن تتحول إلى نواحي الشر وتصبح بلاءً على الفرد والمجتمع ، ويمكن لها أن تتحول نحو الخير وتصبح نافعة للفرد والمجتمع ، فهذه الغرائز لا بد من تهذيبها وترقيتها والبلوغ بها إلى غاية الكمال وأن تتوجه نحو الخير بالشكل الذي يخدم الفرد والمجتمع .

لذلك أرسل تعالى رسوله الكريم وأنزل معه القرآن الكريم الذي يخاطب النفوس والقلوب ويناجي الأرواح ويرتقي بها إلى درجة الكمال ، واستخدم وسائل توافق الغرائز الإنسانية وتجعل من الناس مثاليين وقلوبهم منطلق للرحمة لجعل حياتهم محبة وسلام وتسهم في تدفق الخير ليعيش الجميع في نعمة وهناء .

فهذه الوسائل التي استخدمها القرآن الكريم كثيرًا ما تهتم بالقيم الإنسانية ، ليعيش الجميع في وئام بغض النظر عن الاتجاهات الفكرية والعقيدية ولا يعني ذلك على المسلمين أن يتنازلوا عن كل شيء بل ما يحقق لهم العيش الكريم الذي يرتضيه تعالى مع الآخرين ، لذلك اعتنى القرآن الكريم كثيرًا بالتسامح ، والرحمة ، واللبونة ، والحكمة ، والموعظة ، والتآلف ، والتكافل و الزكاة ، فهذه الوسائل تعتبر من الأخلاقيات القرآنية التي أمرنا بها كمسلمين التحلي بها لما لها من النفع العظيم على حياتنا ، فهي تبعث على نشر الخير وتبعد عن كل شر .

فالعلاقات البشرية تتطلب استعمال التسامح مع الآخرين حينما يصدر منهم فعل غير مرغوب وحثهم واقناعهم على التوبة منه وأن يكون بأسلوب لين وباستخدام أدلة وبراهين على ذلك والابتعاد عن طريق التشهير وتقليل من شأنهم ، والعمل على نشر الرحمة والتآلف بين الأمة بالشكل الذي يدعو إليه القرآن الكريم حتى مع غير المسلمين قولاً وفعلًا .

فهذه الوسائل التي أرشدنا إليها القرآن لها عظيم الأثر لجذب الناس إلى الدين الإسلامي ، فبها يتم نشر الدين وبها يتم للإنسان البلوغ إلى مرحلة التكامل ، وبتركها لا يمكن للحياة أن تستمر ، لذلك جعلها تعالى موافقة للنفس الإنسانية ورغب كل من اتصف بها بالثواب الكبير الذي يصيبه في الآخرة .

المطلب الأول : الانجذاب بوسيلة (التسامح)

الفرع الأول : بيان وسيلة (التسامح)

التسامح هو : ((التساهل مع الغير أو الترخيص له بكذا أو كذا ، الشيء الذي يقع المسامح في وضعية أعلى من المسامح له ، فالتسامح هنا يعني الارتفاع بهذه العلاقة إلى مستوى الإيثار))^(١) .

ولم ترد كلمة سمح في القرآن الكريم ومشتقاتها ، لكن الكثير من الآيات القرآنية تدعو إليه ، لذلك جاءت معاني عديدة تدل على السماحة ومن هذه المعاني هي :

١- العفو وهو ((التجاوز عن الذنب وترك العقاب عليه))^(٢)، لقوله تعالى : ﴿إِلَّا أَنْ يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَ الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾ (البقرة: ٢٣٧)، ومن العفو بين المسلمين إذا اعتدى أحدٌ على الآخر ، كما جاء في قوله تعالى : ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ (الشورى: ٤٠) فالجاني عليه له الحق أن يفعل بمثل ما جني عليه ، لقوله تعالى : ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ﴾ (النحل: ١٢٦)، لكن تعالى مدح العافي على عفوهِ عن الجاني وجزاء العافي وثوابه على الله تعالى ، فتعالى حث المسلمين على العفو لا لأنه يحب الظالم بل تعالى يحب العفو والإحسان^(٣) .

فالله تعالى حث المسلمين على العفو حتى مع غير المسلمين فهناك العديد من الآيات الكريمة بشأن هذا منها قوله تعالى : ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (البقرة: ١٠٩) فتعالى أمر المؤمنين أن يسلكوا مع أهل الكتاب العفو والصفح ، فتعالى قادرٌ على الانتقام منهم^(٤) .

(١) محمد عابد الجابري / قضايا في الفكر المعاصر / ٣١ .

(٢) ابن منظور / لسان العرب / ٣١٨ .

(٣) ط : الطوسي / التبيان في تفسير القرآن ، ١٦٩/٩ .

(٤) ط : الزمخشري / الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل / ٩١ .

٢-الصفح ، وهو التجاوز عن الذنب أيضا يقال أصفحت عنه بمعنى عدم المؤاخذه عن ذنبه ، وأبداء صفحة جميلة للآخر ، وقيل أيضا بمعنى أنه لم ير منه ما يقبض صفحته^(١) ، فالصفح مثل الحلم والتواضع فهو صفة جميلة ، وهو ممدوح في كل الحالات ، فالصفح الجميل قيل هو العفو عن الآخر من غير عتاب ، وقيل أيضا العفو بدون توبيخ وتعنيف ، ومن الآيات الكريمة ، قوله تعالى : ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَإِنَّ السَّاعَةَ لَأَتِيَةٌ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ﴾ (الحجر: ٨٥) فهنا تعالى أمر رسوله الكريم أن يصفح عن المشركين عن مجازاتهم ومجاوبتهم ، فأمره تعالى بالصفح في الموضع الذي يتطلب به الصفع^(٢) .

فتعالى بمثل ما أمر بالصفح مع غير المسلمين أمر بالصفح بين المسلمين ، كما جاء في قوله تعالى : ﴿وَلَا يَأْتِلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِيَ الْقُرْبَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (النور: ٢٢) فتعالى أمر المسلمين أن لا يحلفوا ويتركوا النفقة بحق من وقعت منه المعاصي من الأقارب أو المساكين والمهاجرين فأمرهم تعالى بالعفو عنهم والصفح لمن أساء إليهم^(٣) .

فالعفو كما تبين هو ترك مؤاخذه الآخر بذنبه ، وأما الصفع هو يأتي بمعنى إزالة أثر الذنب من النفس^(٤) .

٣-الإحسان ، من أفضل المكارم التي يكتسبها الفرد في حياته وهو على وجهين ، الأول هو انعام الفرد على الغير ، والآخر الإحسان في الفعل كمن عمل عملاً حسناً وأيضاً من عِلِمَ علماً حسناً ، فالإحسان هو أن يعطي الفرد أكثر مما عليه ، فالله تعالى قد عظم ثواب وأجر المحسنين لقوله تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ (المائدة: ١٣) ، ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (العنكبوت: ٦٩)^(٥) ، فالإحسان هو ((معاملة بالحسنى ممن لا يلزمه إلى من هو أهلها)) والحسن هو ((ما كان محبوباً عند المعامل به ولم يكن لازماً لفاعله)) وأعلى الإحسان ما كان من الله تعالى ، والأقل منه التقرب إليه تعالى بالنوافل ، وبعده ما يأتي الإحسان في

(١) ظ : الطبرسي / مجمع البيان في تفسير القرآن ، ٢٥٤/١ .

(٢) ظ : المصدر السابق ، ٩٩-٩٨/٦ .

(٣) ظ : المصدر السابق ، ١٧١/٧ .

(٤) ظ : القرطبي / الجامع لأحكام القرآن ، ٣١٤/٢ .

(٥) ظ : الراغب الأصفهاني / المفردات في غريب القرآن / ١٥٦ .

المعاملة بما كان زائد على العدل الواجب ، وهنا يدخل كل الأفعال والأقوال مع كل الأصناف إلا ما كان محرماً^(١) ، فقد جاء قوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ ﴾ (النحل: ٩٠)، فحقيقة الإحسان يدخل فيه كل فروع وأصول آداب المعاشرة مع العائلة والأصحاب ، وكذلك العفو الذي يأتي بحق من الحقوق الواجبة ﴿ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ واللطف هنا أن الله تعالى قد ذكر العدل والإحسان وجاء بذوي القربى لأن الناس كانوا يتهاونون ويغفلون عن اقاربهم فقد كانوا يعتنون بالأبعد ويصرفون إحسانهم إليهم من أجل جلب المحمّدة وحسن الذكر لهم بين الناس فذكر هنا تعالى ذى القربى تنبيهاً للمؤمنين بأنهم الأولى بالإحسان إليهم^(٢) .

قرن تعالى عبادته بالإحسان ، ﴿ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴾ (النساء: ٣٦)، فوجوب التعبد إلى الله تعالى بوجوب البر إلى الوالدين والإحسان إليهم في العديد من الآيات الكريمة : ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴾ (الاسراء: ٢٣)، وبعد الإحسان إلى الوالدين أمر تعالى أيضاً بالإحسان إلى ذى الارحام والأقارب .

وبعدهم اليتامى والمساكين وجاء ذكرهم بعد الارحام لأن اليتيم لا ناصر له ولا معين وكذلك المسكين لأن المجتمع لا ينتظم حاله إلا بالعناية به ، وليس جميع المساكين بل المسكين العاجز الضعيف الذي لا يقدر على العمل ، وبعدهم الجار ذى القربى القريب على جواره والجار الذي يأتي بعد جواره وكذلك الرفيق في السفر والحضر ، والشريك في الحرفة والدرس وغيرهم ، وأيضاً المسافر الذي انقطع عن ماله وأهله ، والرفيق^(٣) ، فالإحسان لا يكون بالمال فقط وإنما يشمل التواضع والرفق في انجاز حوائجهم ، وايضاً أبداء النصيح لهم في المشورة وأيضاً كتمان سرهم ، واعارتهم الأدوات وغيرها ، فالإحسان لهم ليس على باب

(١) ظ : ابن عاشور / التحرير والتنوير ، ٢٥٥/١٤ .

(٢) ظ : المصدر السابق ، ٢٥٦/١٤ .

(٣) ظ : مغنية / الكاشف ، ٣٢٠/٢-٣٢١ .

الوجوب بل الندب ، إلا أن تعالى قال : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴾ فهذا وعيد لكل من يأنف الضعفاء والفقراء من الأقارب والجيران^(١) .

فشيوع الإحسان والمودة إلى هذه الفئات يؤدي إلى الترابط بين المسلمين ويجذب غير المسلمين إلى الدين الإسلامي لما يرى من التكاتف والتلاحم فيما بينهم .

٤- دفع السيئة بالحسنة ، فالمؤمنون هم الذين إذا صادفوا السيئة يأتون بالحسنة بما يعادلها أو يزيد عليها ، فهم يدفعون السيئة بالحسنة ، كما جاء في قوله تعالى : ﴿ وَيَذَرُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ ﴾ (الرعد: ٢٢)، فهم إذا ظلمهم أحد يدفعونها بالإحسان إليه أو العفو ومن جافاهم فهم يقابلونه بالبشر وحسن الخلق ، وإذا رأوا أحداً أتى بالمنكر ينهونه عنه أو أحداً ترك المعروف يأمرونه به ، فهذه بعض وجوه دفع السيئة بالحسنة^(٢) .

فهذه صفة أمر تعالى رسوله الكريم أن يتصف بها والمؤمنون اقتداءً برسولهم الكريم ، كما جاء في قوله تعالى : ﴿ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ﴾ (المؤمنون: ٩٦)، فتوجه الأمر الى (صلى الله عليه وآله) بأن يدفع السيئة التي تتوجه إليه بأن يقابلها بالحسنة وأن يدفعها من الحسنات ما هو بأحسنها ، مثل من اساء بالإيذاء إليك بأن يقابلها بالإحسان أو ببعضه أو بالصفح عنه^(٣) . فدفع السيئة بالحسنة هي افضل الطرق في الدعوة فهي توصل إلى الغاية المطلوبة من التأثير في النفوس فأن عدوك أن قابلته بالتي هي أحسن صار عدوك كأنه ولي شفيق ، لقوله تعالى : ﴿ وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴾ (فصلت: ٣٤)، فالذي يدفع السيئة بالتي هي أحسن أنه من اصحاب النصيب الوافر في خصال الخير وكمال الإنسانية فتعالى مدح من اتصف بها^(٤) .

المتسامحون في القرآن الكريم

ورد في القرآن الكريم العديد من الانبياء الذين اتصفوا بالتسامح مع الآخرين وخصوصاً مع اساءت اقوامهم إليهم ، فنلاحظ تسامح إبراهيم (عليه السلام) مع عمه (آزر) وقد سماه القرآن

(١) ظ : مغنیه / الكاشف ، ٣٢٢/٢ .

(٢) ظ : الطباطبائي / الميزان في تفسير القرآن ، ٣٤٤/١١ .

(٣) ظ : المصدر السابق ، ٩٦/١٥ .

(٤) ظ : المصدر السابق ، ٣٩٢-٣٩١/١٧ .

أَبَا وَقَوْمَهُ حِينَ دَعَاهُمْ إِلَى دِينِ اللَّهِ تَعَالَى وَلَكِنْ كَانَ رَدَّهُ إِلَيْهِ : ﴿يَا أَبَتُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا * قَالَ أَرَأَيْتَ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَنْ لَمْ تَنْتَهَ لِلْأَرْجُمَنَكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا﴾ (مريم: ٤٥-٤٦)، فهدد إبراهيم كما ذكر فقذفه بالذم والشتم أو الحجارة حتى يموت حتى لا يقدر أن يبرح وما كان رده (عليه السلام) ، سلامه له سلام التوديع فهو قابل (عليه السلام) إساءته بالإحسان ﴿قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا﴾ (مريم: ٤٧)، ولقد ذكر أن سلامه له من أجل استمالته إليه فهو قد وعده بالاستغفار له والتوفيق للإيمان بالله تعالى فاستغفار المؤمن للكافر هو طلب من الله تعالى التوفيق له لما يوجب المغفرة ، فهذا من صور العظيمة للتسامح^(١) .

وأيضاً من الأنبياء يوسف (عليه السلام) الذي ضرب لنا أروع صور التسامح مع أخوته حينما عزموا على قتله وأخوهم قال أرموه في قعر الجب ولم يكتفوا بذلك بل رموه بالسرقة أيضاً ، لقوله تعالى : ﴿اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوْ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ﴾ * قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَالْقَوَّةَ فِي غِيَابَتِ الْجَبِّ يَلْتَقِطُهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ﴾ (يوسف: ٩-١٠) ﴿قَالُوا إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ فَأَسْرَهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ قَالَ أَنْتُمْ شَرُّ مَكَانًا وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ﴾ (يوسف: ٧٧) وما كان رده (عليه السلام) لهم عندما عرفوه في مصر ﴿قَالُوا أَلَيْكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجَرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ * قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخَاطِئِينَ﴾ * قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ (يوسف: ٩٠-٩٢)، لا توبيخ ولا تعيير ولا تقريع عليكم ، ودعا لهم بالمغفرة من الله تعالى^(٢) .

فهذه من صور التسامح في العفو عن الغير عند المقدرة عليه (فعليه السلام) قد عفا عنهم ودعا الله تعالى بالمغفرة لهم على ذنبهم الذي ارتكبوا بحقه ، وأيضاً من أعظم صور التسامح نبينا محمد (صلى الله عليه وآله) فقد واجه ما واجه من قومه من الإساءة وهذا ما ظهر في سيرته النبوية فهناك العديد من الآيات الكريمة التي تدل على تسامحه وعفوه عن قومه فرسلنا بعث رحمة للعالمين وهذا ما جاء في قوله تعالى : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ

(١) ظ : الشريف الكاشاني / زبدة التفسير ، ١٨٣/٤ .

(٢) ظ : المصدر السابق ، ٢٢٧/٣ .

﴿ (الانبيا: ١٠٧)، ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ (التوبة: ١٢٨)، فلو كان قاسياً سيء الأخلاق لما امتثلوا له والتفوا حوله فأخلاقه (صلى الله عليه وآله) الحسنة هي التي جذبت الناس له ورغبوا في الدين الاسلامي فقد كان يعاملهم باللين والرفق وحسن الخلق فقد كان يعفو عنهم عندما يصدر التقصير منهم في حقه وكان يستغفر لهم عندما يقصروا في حق الله تعالى وكان (صلى الله عليه وآله) يجمع لهم بين العفو والإحسان وكان يستشارهم في الأمور التي تتطلب المشاورة تطبيقاً وتسميحاً لخواطريهم^(١) ، فهذه من اخلاق وتسامح رسولنا الكريم (صلى الله عليه وآله) وواجب علينا نحن أمته أن نتبع سبيله ونجعل التسامح فيما بيننا ونحن في أمس الحاجة له في هذا الوقت الذي يتصارع به الحق والباطل .

الفرع الثاني : تحقيق الانجذاب بالتسامح

إنَّ الله تعالى خلق الناس من آدم وحواء (عليهما السلام) وجعلهم شعوباً وقبائل وجعلهم هكذا لأجل أن يتعارفوا فيما بينهم ، فتعالى قد ألهم البشرية نظاماً محكماً ليترابطوا فيما بينهم دون عذر ولا مشقة فإن تسهيل العمل يكون بتقسيمه بين عدد واسع من الناس وبهذا يتم بناء الحضارات بين البشر ولا يتم الا بهذا القانون الحكيم ، لكنهم قد حرفوا فطرتهم وقلبوا الوضع وجعلوا بينهم الاختلاف وأغدروا فيما بينهم باللمز والنمز والسخرية والتطاول والغيبة وسوء الظن لذلك جاء أمر الله تعالى أن يصلحوا فيما بينهم ويكونوا إخوة ونهاهم عما يثلم علاقاتهم ، لقوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ (الحجرات: ١٣)، فإنهم في الخلق من أصل واحد ومعيار التفاضل بينهم هو التقوى^(٢) .

فالإنسان خلق ومعه الغرائز والميول ويرافقها العقل الذي يكبح جماح الغرائز ، فهو يعيش في حياته صراعاً بين الخير الذي يرغب فيه العقل والشر الذي ترغب به الغرائز فهذه حقيقة في الإنسان ، فالإسلام قد لاحظ بدقة هذا الجانب الذي يعيشه الفرد ويدعوه الى الاصطدام بالآخرين لكن في نفس الوقت قد يتراجع عن خطأه ويبحث عن يرشده ويصحح له موقفه

(١) ظ : السعدي / تيسير الكريم الرحمن / ١٥٤ .

(٢) ظ : ابن عاشور / التحرير والتنوير ، ٢٥٨-٢٥٩ .

دون الإساءة إلى كرامته وأضعاف عزته ، لذلك شرع تعالى مبدأ التسامح ليكون هذا المبدأ منسجماً مع طبيعته ومنطقاً من الواقع الذي يعيشه ويفسح المجال له بالتراجع دون أن يؤثر على كرامته وعزته وعليه فالتسامح ينطلق من الضعف البشري ليحوّله إلى جانب العزة والقوة والكرامة^(١) .

فالتسامح يجعل الشخص المعتدي عليه مثاليًا ينطلق من قلبه الرحمة ليجعل حياته وحياة الآخرين محبة وسلاماً ويسهم في تدفق الخير في المجتمع ليعيشوا في نعمة وهناء^(٢) ، فالتسامح من الأساليب التي شرعها الإسلام لينظم به علاقة الفرد بمجتمعه ومعالجة روابطه الاجتماعية لتكون حياته منسجمة مع الدين الإسلامي

نلاحظ أن القرآن الكريم قد اهتم كثيراً بالقيم الإنسانية لأنها تجمع الإنسان مع أخيه الإنسان بغض النظر عن اتجاهاته الفكرية والعقدية فجعل التسامح قيمة أساسية في حياة المجتمعات^(٣)، والتسامح الذي فرضه الإسلام لا يعني التنازل عن كل شيء بل ما يحقق العيش المشترك والسلم بين الآخرين فالتسامح يعد أصلاً من أصول الأخلاق الذي تبنى به المجتمعات.

فنحن بأمس الحاجة إلى التسامح في عصرنا الذي نعيش به عصر التحولات الاقتصادية والاجتماعية العصر الذي كثر فيه القتل والعنف فنحن نلاحظ أن الناس قد ابتعدت عن قيم التسامح واتجهت نحو الصراع والنزاع ، فنحن بأمس الحاجة بالرجوع إلى القرآن الكريم الذي بنى لنا المجتمع السليم الذي يقوم على مبدأ التسامح^(٤)، فأغلب آيات القرآن الكريم تدعو إلى التسامح سواء كان راجع إلى الواجبات التي جاء بها برفع التكليف عن العاجزين ومن خلال القضايا الاجتماعية وما يحدث بين الأفراد فدعاهم إلى نبذ العنف ومقابلة الإساءة بالإحسان والعفو عند المقدرة والصفح بما يحفظ كرامتهم ويصون حريتهم .

فالسماحة التي جاء بها لا تقتصر بين المسلمين فقط بل أيضاً بتعاملهم مع أصحاب الديانات الأخرى الذي بدوره يؤدي إلى شد أواصر المحبة والتقارب والتعاون ، فالتسامح الذي جاء به الدين الإسلامي شامل لكل الأفراد مما جعله خير الأديان ، فالإسلام هو الأصل

(١) ظ : فضل الله / اسلوب الدعوة في القرآن / ٤٥-٤٦ .

(٢) ظ : المصدر السابق / ٤٤ .

(٣) ظ : أحمد عليوي ، أحمد رشيد حسين / قيم التسامح في القرآن الكريم / ٦٣٨ .

(٤) ظ : عامر صباح الكبيسي / دور القرآن الكريم في إشاعة التسامح في المجتمع / ٣-٤ .

الحقيقي للتسامح وخير من جسد لنا مفهوم التسامح رسول الإنسانية محمد (صلى الله عليه وآله) وهذا ما بينه لنا القرآن الكريم وسار على نهجه آله الأطهار وصحبه الكرام^(١)، فعند تطبيق مفهوم التسامح في حياتنا نبين سماحة الاسلام للآخرين في التعامل مع الأفراد ودعوتهم إلى تطبيقه لتحقيق لهم الحياة المثالية التي تقوم على التراحم فيما بينهم فينجذبون إلى الدين الاسلامي فهو الدين الوحيد الذي يحقق الحياة الكريمة التي تليق بالإنسان .

فالتسامح في نفسه والآثار المترتبة عليه تجعل الطرف الآخر محباً للتسامح ، ومحباً للأشخاص المتصفين ، ومن ثمَّ يحبُّ الكتاب السماوي الذي نادى به ودعا إليه . وينجذبُ نحو الدين الذي يتبنَّى هذه الوسيلة ، فإن لم يكن مسلماً فهو صديق لا عدو .

(١) ظ : عبد الله أحمد اليوسف / الإمام الحسين (عليه السلام) ونهج التسامح / ٣٦-٣٧ .

المطلب الثاني : الانجذاب بوسيلة (الرحمة)

الفرع الأول : بيان وسيلة (الرحمة)

الرحمة هي ((رقة تقتضي الإحسان إلى المرحوم))^(١)، ووردت الرحمة في القرآن الكريم بمعانٍ عديدة ذكرها العلماء نذكر منها :

١-الإسلام، لقوله تعالى: ﴿يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ﴾ (الانسان: ٣١) ٢-محمد (صلى الله عليه وآله)، لقوله تعالى : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ (الانبياء: ١٠٧) ٣-النبوة، لقوله تعالى: ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ﴾ (الزخرف: ٣٢) ٤-الجنة، لقوله تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ﴾ (النساء: ١٧٥) ٥-عيسى (عليه السلام) ، لقوله تعالى : ﴿وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا﴾ (مريم: ٢١)

٦- الإيمان، لقوله تعالى : ﴿وَأَنَّا نِي مِنْهُ رَحْمَةً﴾ (هود: ٦٣) ٧-الأرزاق ، لقوله تعالى : ﴿لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّ﴾ (الاسراء: ١٠٠) ٨-المطر، لقوله تعالى: ﴿وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ﴾ (الشورى: ٢٨) ٩-العافية ، لقوله تعالى : ﴿أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ﴾ (الزمر: ٣٨) ١٠-التوفيق ، لقوله تعالى : ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ﴾ (النور: ٢١) ١١-النصر والفتح ، لقوله تعالى : ﴿أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً﴾ (الأحزاب : ١٧) ١٢-المودة ، لقوله تعالى : ﴿وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً﴾ (الحديد: ٢٧) ١٣-النعمة ، لقوله تعالى : ﴿ذَكَرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا﴾ (مريم: ٢) ١٤-العفو عن العاصين ، لقوله تعالى : ﴿لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ﴾ (الزمر: ٥٣)^(٢) .

فالإنسان اينما يذهب تحف به الرحمة الإلهية فهي تتجلى له في كل مظاهر حياته سواء كان بمفرده أو مع الآخرين ، فرحمته تعالى تكون في الكون الذي خلقه وخصوصاً الكرة الأرضية التي توفرت بها جميع سبل العيش الكريم ، فمن مظاهر رحمته في هذا الكون العظيم ارسال الرياح التي تبشر بالغيث والتي تحمل المطر ، لقوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّىٰ إِذَا أَقْلَتَ سَحَابًا ثِقَالًا سَفَّاهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ

(١) الراغب الأصفهاني / المفردات في غريب القرآن / ٢٥٣ .

(٢) الدامغاني / الوجوه والنظائر في القرآن الكريم / ١٩٩-٢٠٢ ، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ، ٥٨-٥٧/٣ .

النَّمْرَاتِ ﴿(الاعراف: ٥٧)﴾ وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا * لِنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَيِّتًا وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنْآسِيَّ كَثِيرًا ﴿(الفرقان: ٤٨-٤٩)﴾
، فالمطر الذي ينزله تعالى يكون مطهرًا للنجاسات والإحداث ويتم به احياء البلد الذي مات
بالجذب واسقاء للإنعام والإنسان^(١) .

ومن رحمته تعالى وإحسانه للعباد التعاقب بين الليل والنهار ، لقوله تعالى : ﴿وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (القصص: ٧٣)،
فجعل الليل للسكن والراحة والنهار للابتغاء من فضله والسعي فيه^(٢) .

ومن نعمه تعالى أيضًا تسخير كل المخلوقات للإنسان من البحار وما فيه من النعم التي لا
تحصى والسهول والجبال والوديان والنباتات والحيوانات ، لقوله تعالى : ﴿وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ * وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ﴾ (النحل: ٥-٦)،
فمن تجليات رحمته تبارك وتعالى في خلق الإنعام وما فيها من منافع من
الركوب واللحوم والدفاء وحسن النظر واستخدامها في حراثة الأرض والزروع والكثير من
النعم^(٣) ، فهذه رحمة انعمها تعالى على خلقه .

فالتأمل في نعم الله تعالى لا يمكن إدراك سعتها فهي تجذب للفرد الذهول عند التفكير بها
ولم تقف نعم الله تعالى في الخلق وتسخير المخلوقات بل في الناس بينهم من جعل الألفة
والمودة بين الزوجين ، لقوله تعالى : ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا
إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ (الروم: ٢١) فهذه رحمته تعالى بأن جعلهما يتوادان
ويتراحمان ليتألفوا ويطمئنوا ويأنسوا فيما بينهم^(٤) .

ومن الرحمة الرزق بالذرية الصالحة ، كما جاء في قوله تعالى : ﴿وَنَبِّئْهُمْ عَنْ ضَيْفِ
إِبْرَاهِيمَ * إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ إِنَّا مِنْكُمْ وَجِلُونَ * قَالُوا لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ
عَلِيمٍ * قَالَ أَبَشْرْتُمُونِي عَلَى أَنْ مَسَّنِيَ الْكِبَرُ فَبِمِ تَبَشِّرُونَ * قَالُوا بَشَرْنَاكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُنْ مِنَ
الْقَانِطِينَ * قَالَ وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ﴾ (الحجر: ٥١-٥٦)، فإبراهيم (عليه

(١) ظ : الطوسي / التبيان في تفسير القرآن ، ٤٩٦/٧ .

(٢) ظ : الزمخشري / الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل / ٨٠٩ .

(٣) ظ : الطبرسي / مجمع البيان في تفسير القرآن ، ١٠٦/٦ .

(٤) ظ : المصدر السابق ، ٤٣/٨ .

السلام) أصابه الكبر ولم يرزق بالذرية فجاءت رحمة الله تعالى تبشره بالغلام بأنه ذكر و يكون عليمًا في الدين فتعالى رزقه بالولد على الرغم من كبر سنه ، فالرزق بالذرية الصالحة يكون من النعم والرحمة الإلهية العظيمة^(١) .

ومن الرحمة أيضًا رفع الضر عن العباد ، كما جاء في قوله تعالى : ﴿ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ * فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَابِدِينَ ﴾ (الأنبياء: ٨٣-٨٤) ، ﴿ وَإِذْ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأَوْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِرْفَقًا ﴾ (الكهف: ١٦) ، فالبلاء الذي يصيب العباد يكون رحمة بهم ورفعه أيضًا رحمة منه تعالى ، ولم تقف رحمته تعالى هنا ويترك الناس في الدنيا دون مراعاة مصالحهم وخصوصًا إذا تمادوا في الضلال وأخذوا بإفساد حياتهم بالظلم والجور وارتكاب الفواحش فأخذ تعالى بإرسال أنبيائه ورسله وأنزل معهم الكتب والتعاليم لنجاة الناس وليخرجهم من الظلمات الى النور والأخذ بهم إلى سبيل الهداية وتطهيرهم من رذائل الأخلاق وبها يصلح أمر دينهم ودنياهم^(٢) ، كما جاء في قوله تعالى : ﴿ أَمْرًا مِنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ * رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ (الدخان: ٥-٦) فأرسال الأنبياء رحمة من الله تعالى وهذه حقيقة رحمة للمحتاجين سواء ذكروها بالأسنتهم أو لم يذكروها ، فالله تعالى يعرف ويعلم بحاجات العباد فأرسال الرسل والأنبياء والأنزال معهم الكتب رحمة من الله تعالى للعالمين^(٣) .

وبهذا وصف تعالى رسله بأنهم رحمة للعالمين ، لقوله تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ (الأنبياء: ١٠٧) ووصف تعالى الكتب السماوية أيضًا بالرحمة كوصف التوراة ، لقوله تعالى : ﴿ وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً ﴾ (الاحقاف: ١٢) فكتاب موسى (عليه السلام) كان يؤتم به في الشرائع فهو رحمة من الله تعالى لمن يؤمن ويعمل بما جاء فيه^(٤) . وتعالى وصف القرآن الكريم بالرحمة ، لقوله تعالى : ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِّلْمُسْلِمِينَ ﴾ (النحل: ٨٩) ، ﴿ وَإِنَّهُ لَهْدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (النمل: ٧٧)

(١) ظ : الرازي / مفاتيح الغيب ، ٢٠١-٢٠٠/١٩ .

(٢) ظ : المصدر السابق ، ٢٤٢/٢٧ .

(٣) ظ : المصدر السابق ، ٢٤٢/٢٧ .

(٤) ظ : الشريف الكاشاني / زبدة التفاسير ، ٣٢٣/٦ .

فالقرآن هو الذي يدل على الحق وهو نعمة من الله تعالى للمؤمنين^(١) ، فهو المرشد للجميع لما يحتوي من الأحكام والشرائع فمن رحمته أنه يبشر بالثواب الدائم للمسلمين به خاصة^(٢) .

ولم تقف رحمته تعالى هنا بل رحمته شملت أنه لم يكلف الناس بما لا يستطيعون عليه ، لقوله تعالى : ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ (البقرة : ٢٨٦) ، فتعالى لا يكلف الإنسان بما لا يستطيع ولا يطاق وإنما يوجههم حسب قدراتهم مع بقاء سلامتهم فالتكليف بالاستطاعة هو ما جاءت به شرائع الله تعالى ، فرحمته أنه يشرع التكليف لاستقامة حياة الخلق لذلك لا يكلف بما لا يطاق ، ولذلك امتازت الشريعة الاسلامية بالرفق واليسر^(٣) ، لقوله تعالى : ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ (الحج: ٧٨) ، ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ (البقرة: ١٨٥) ، فهذه من مظاهر رحمته تعالى بعباده .

الفرع الثاني : تحقيق الانجذاب بالرحمة

لقد عنى القرآن الكريم كثيراً بذكر الرحمة ، فهي تعتبر من الاخلاق القرآنية التي أمرنا بالتحلي بها لما لها من أثر عظيم على حياة المجتمع ، فالرحمة تبعث على فعل الخير وتبعد عن كل شر ، فالعلاقات الإنسانية كلها مبنية على هذه الصفة العظيمة ، فالله تعالى قد وصف نفسه بها ، لقوله تعالى : ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾ (الانعام: ٥٤) ، فأوجبها تعالى على ذاته المقدسة وهي من باب الإحسان والتفضل فرحمته تعالى التي كتبها على ذاته تبشر العباد بسعته وسلامتهم من المكاره وقبول توبتهم وهي من إظهار اللطف لهم^(٤) ، لذلك أطلق تعالى على نفسه اسم الرحمن الرحيم فتعالى رغم مالك كل شيء ومالك يوم الحساب إلا انه في غاية الرحمة ، فلا يقنط أحدٌ منها في عفوهِ وسائله^(٥) ، فتعالى كرر ذكر الرحمن الرحيم كثيراً في القرآن الكريم وخصوصاً عند افتتاح كل سورة بهما .

لذلك جعل تعالى صفة الرحمة ضرورية في خلق الأنبياء ووجوب تحليهم بها وهذا ما يلحظ في دعوتهم لأقوامهم وصبراً عليهم رغم بكل ما يلحقونه بهم من أذى ، وهذا ما قاله

(١) ظ : الشريف الكاشاني / زبدة التفاسير ، ١٢٣/٥ .

(٢) ظ : المصدر السابق ، ٥٩٩/٣ .

(٣) ظ : ابن عاشور / التحرير والتنوير ، ١٣٥/٣ .

(٤) ظ : أبو سعود / ارشاد العقل السليم ، ٢١٨/٢ .

(٥) ظ : شبر / الجوهر الثمين في تفسير الكتاب المبين ، ١٨/١ .

تعالى لرسوله الكريم : ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ﴾ (ال عمران: ١٥٩)، فتعالى الان رسوله محمد (صلى الله عليه وآله) تحقيقاً لعفوه ورحمته ، فاللين من مظاهر الرحمة ولا تفضي التفريط في مصالح العباد ولا التساهل في أمور الدين ، فتعالى فطر رسوله على الرحمة ، فالرحمة والخلق الحسن ضرورة في تحقيق المراد من ارسال الرسل وتبليغ الدعوة وحمل الأمة على قبول الشريعة والنجاح في بلوغ الغاية إلى مراد الله (عزّ وجلّ) ، فرسول الله (صلى الله عليه وآله) بعث للناس كافة لذلك فطره تعالى على الرحمة وأودعها فيه ، فلو كان (صلى الله عليه وآله) جافي الطبع سيء الخلق قاسي القلب قليل التسامح لتفرق عنه من دخل في الدين فالناس لا تطيق الشدة^(١) .

لذلك أمرنا تعالى بالتخلق بالرحمة كما جاء في قوله تعالى : ﴿ وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴾ (الاسراء: ٢٤)، فضرورة الخضوع والتواضع للوالدين قولاً وفعلًا واطهار التواضع في المعاشرة والمحاورة معهما فالتذلل للوالدين قباليهما رحمة لهما ، والطلب من الله تعالى الرحمة لهما كما رحمانا صغاراً^(٢) ، فتعالى امتدح من تخلق بها ، لقوله تعالى : ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ﴾ (الفتح: ٢٩)، فهذا وصفٌ بليغٌ من الله تعالى لأصحاب الرسول ومن يأتي من بعدهم من المسلمين فهم مدعاة افتخار فهم منطلق للرحمة والمحبة فيما بينهم فعلامة الرحمة لا تكون في وجوههم فقط بل تشمل جميع مظاهر الحياة حتى تبدو علامة^(٣) ، فمن تحلى بها فهو مدعاة فخر للأمة الإسلامية .

نلاحظ أن القرآن الكريم قد اهتم كثيراً بالرحمة فهي قد وردت في آيات كثيرة وخصوصاً عند ابتداء كل سورة بالرحمن الرحيم عدا سورة التوبة فهذا تأكيد من الله تعالى على هذا الخلق العظيم فتكراره في القرآن ليترسخ مفهومه في النفس الإنسانية ، ويرغب الأفراد بالتخلق به ويجعلهم على وعي تام في استخدامه في جميع مظاهر الحياة من التعامل مع الأهل والأقارب والأصدقاء وجميع افراد المجتمع حتى مع الحيوان^(٤) .

(١) ظ : ابن عاشور / التحرير والتنوير ، ١٤٤/٤-١٤٦ .

(٢) ظ : الطباطبائي / الميزان في تفسير القرآن ، ٨١-٨٠/١٣ .

(٣) ظ : الشيرازي / الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل ، ٦٩-٦٨/١٣ .

(٤) ظ : خلود شاكر فهيد العبدلي / خُلِقَ الرحمة ومنهج القرآن الكريم في الترغيب فيه ، ١٠٧-١٠٦/١ .

فالرحمة باعثة على للتآلف والتقارب وتركها يؤدي إلى التنافر والتباغض فالمجتمع لا يمكنه أن يرتقي مالم تسوده الرحمة ، لذلك أودع تعالى هذا الخلق العظيم في نفوس أنبيائه ورسله في دعواتهم لأقوامهم لهدايتهم إلى دين الحق فرحمتهم لا تميل بهم عن طريق الحق ، فالرحمة هي الغاية لبعث الأنبياء ، لقوله تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ وهي من مقاصد الدين الإسلامي لذلك رغب تعالى عباده كثيراً بضرورة التخلق بها .

فالرحمة من الوسائل التي استخدمها تعالى لجذب الناس إلى الدين الإسلامي لأنه بها تستقيم الحياة الإنسانية وبها يتم التكامل الإنساني وبدونها لا يمكن للحياة أن تستمر لذلك جعلها تعالى غريزة في النفس البشرية لكن عند الانغماس في الدنيا قد تتلاشى لذلك رغب تعالى بها كثيراً ووعد من اتصف بها بالثواب الجزيل.

فالرحمة تتعلق بالنفس الإنسانية ، وهي فطرة فطر الله تعالى بها عباده عليها ، فما احوج الناس إليها في وقتنا الحاضر ويجعلونها شعارهم في هذه الحياة ويطبقونها في جميع مظاهر الحياة الاجتماعية والثقافية والسياسية والاقتصادية ، فالروابط الاجتماعية والمعاملات البشرية إلا والرحمة تكون أساسها . فعلاقة الفرد مع نفسه وأهله وذريته وأقاربه ومجتمعه وجميع الخلق حتى مع الحيوانات مبنية على هذا الخلق القرآني العظيم ، فهي باعثة على الخير ، دافعة للشر ، تحمل على أداء المعروف فهي أساس الأخلاق السلوكية .

المطلب الثالث : الانجذاب بوسيلة (الليونة)

الفرع الأول : بيان وسيلة (الليونة)

اللين ضد الخشونة ، يقال فلان مَلِينٌ بمعنى لَين الجانب ، وليان العيش بمعنى نعيمه^(١) . وهو ((القول اللين الكلام الدال على معاني الترغيب والعرض واستدعاء الامتثال ، بأن يظهر المتكلم للمخاطب أن له من سداد الرأي ما يتقبل به الحق ويميز به بين الحق والباطل مع تجنب أن يشتمل الكلام على تسفيه رأي المخاطب أو تجهيله))^(٢) .

(١) ظ : ابن فارس / مقاييس اللغة ، ٢٢٥/٥ .

(٢) ابن عاشور / التحرير والتنوير ، ٢٢٥/١٦ .

ولقد وردت مادة (لين) ومشتقاتها في القرآن الكريم بخمسة مواضع (لنت ، تلين ، لينة ، ألنا ، ليناً)^(١) .

فعندما كلف الله تعالى أنبيائه ورسله بمسؤولية كبرى في عالم البشرية وهي هداية المجتمع البشري وتربية الأفراد وتهذيب نفوسهم وتنقيتها من كل الشوائب والعادات اللاأخلاقية ، بالإضافة إلى تخليصهم من الظلم والتعسف ، وهذا يتطلب منهم أن يتحلوا ويتخلقوا بالليونة في دعوتهم لأقوامهم وهذا ما يلحظ عند أمر الله تعالى موسى وهارون (عليهما السلام) وان يخاطبا فرعون بالقول اللين ، لقوله تعالى : ﴿ اذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ، فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴾ (طه: ٤٣-٤٤) .

فموسى (عليه السلام) كان صفوة الله وفرعون بلغ الغاية في العتو والاستكبار لذلك أمر تعالى أن يخاطبه باللين والملاطفة ، فالدعوة بالكلام اللين الرقيق السهل القريب يكون أبلغ وأوقع في النفس وأنجع^(٢) ، لذلك أمرهما أن يخاطباه بالكلام اللطيف السهل ويكون برفق وأدب في اللفظ وبدون الكلام الصلف الفحش ولا الغليظ لعله بالقول اللين يذهب إلى ما ينفعه ويترك ما يضره ، فالحول اللين معه يتطلب ذلك ، فالكلام الغليظ ينفره ، وفسر قولهما اللين ، بقوله تعالى في سورة النازعات : ﴿ قُلْ هَلْ لَّكَ إِلَىٰ أَنْ تَزَكَّىٰ * وَأَهْدِيكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ﴾ .

فالتأمل بالآيات الكريمة يظهر منها لطف القول ، الخالي من البشاعة ، فجاء ب(هل) التي تدل على المشاورة والعرض ودعاه بالتطهير من الأدناس الذي يكون أصله التطهر من الشرك ، وهذا ما يقبله سليم العقل فقال له (تزكى) بمعنى انت بنفسك ولم يقل له أزكيك ، بعدها دعاه إلى ربه الذي اعطاه النعم الباطنة والظاهرة والتي يجب مقابلها شكره ، فهذا القول اللين الذي يكون موضعه حسن في القلب^(٣) .

فتاريخ جميع الأنبياء بين لنا تمتعهم بهذه الفضيلة ، كما صرح به القرآن الكريم في دعوة نوح (عليه السلام) حين دعا قومه مدة تسعمائة وخمسين سنة ، وجاء بجميع الطرق والوسائل لعلمهم يهتدون ، فهو قد دعاهم ليلاً ونهاراً سرّاً وعلناً ، فكان يشاركهم في جلساتهم ويذهب إلى

(١) عبد الباقي / المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم / ٦٥٧ .

(٢) ظ : ابن كثير / تفسير لقرآن العظيم ، ٢٩٤/٥-٢٩٥ .

(٣) ظ : السعدي / تيسير الكريم الرحمن / ٥٠٥ .

منازلهم ، ولكن لم يؤمن به إلا القليل ، فهذا يعكس لنا مدى مداراتهم ، فهذا ما بينته وبكل وضوح لحن الآيات الكريمة التي وردت في سورة نوح أنه استخدم أسلوب الترغيب ، وهو لم يَقم بالدعاء عليهم ولعنهم إلا بعد اليأس التام منهم .

وأيضاً ما جاء في القرآن عن لوط (عليه السلام) حين عرض بناته للزواج على قومه بعد إيمانهم حتى يمنعهم عن التعرض والقيام بالأعمال الفاحشة بضيوفه ، فالتأمل في سيرة الأنبياء (عليهم السلام) يوصل بالإنسان إلى الدهشة لما يرى منهم من حسن الخلق والرفقة^(١) .

وهذا ما موجود في رسول الله (صلى الله عليه وآله) فتوجد العديد من الشواهد التي تدل على تحليله باللين منها ما فعله المؤمنون من مغادرة أماكنهم في المعركة وما أدى إلى كثرة الجراح والقتل في صفوفهم ، فما أظهر (صلى الله عليه وآله) إلى اللين ، فكان ليناً (صلى الله عليه وآله) رحمة بهم ولم يكن تفريط في مصالحهم ولا التساهل في دين الله تعالى ، فقد كانت أحوالهم وما فعلوه مستلزمًا للغلظة إلا أن الله تعالى فطر رسوله الكريم على الرحمة فجعله ليناً معهم .

وهذا ما هو مطلوب في الشريعة من الرفق في التعامل وخصوصاً أن الله تعالى أختار أن تكون دعوة الرسول (صلى الله عليه وآله) بين العرب أولاً لأن العرب قد عرفوا بإباء الضيم والألفة وسرعة الفهم وسلامة الفطرة فالشدة والغلظة لا تنفع معهم ، لذلك كان صفحه وعفوه (صلى الله عليه وآله) سبباً كبيراً في دخول الكثير من الناس في الإسلام ، فلو كان جافي الطبع سيء الخلق قليل التسامح لتفرق الكثير عنه وكان مصيرهم الهلاك فهذا الخلق يكون عكس اللين^(٢) .

وبهذا يكون اللين من شعار دعوات الأنبياء إلى الدين الحق ، فالغاية من دعوات الرسل والأنبياء حصول الهداء إلى الدين لا اظهار الغلظة في القول والعظمة وهذا ما قاله تعالى للرسول (صلى الله عليه وآله) : ﴿وَجَادِلْهُمْ بَالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾^(٣) ، فالدعوة إلى دين الحق لا تنفع معها الخشونة ، فالدين يعتبر من الأمور الاعتقادية وبطبيعة الحال الأمر الاعتقادي لا

(١) ظ : الشيرازي / نفحات القرآن ، ٥٦/٧ .

(٢) ظ : ابن عاشور / التحرير والتنوير ، ١٤٤/٤-١٤٦ .

(٣) ظ : المصدر السابق ، ٢٢٥/١٦ .

يكون للإنسان إلا بقبوله بالرغبة والطوع لذلك هو موقف على حسن الكلام والتلطف لذلك أمر تعالى رسوله الكريم أن يجادل أهل الكتاب بأحسن الكلام ، فظاهر الخطاب لرسول الله (صلى الله عليه وآله) إلا أنه عام يشمل جميع الدعاة من أتبعه إلى يوم الدين^(١) .

وعليه فالنفوذ إلى قلوب الناس بمختلف شرائحهم لا يكون إلا عن طريق المحبة لذا كان المسؤولية القيادية للرسول والأنبياء تفرض عليهم وجوب مسايرتهم وعدم الغلظة وأتباع اللين قدر الإمكان^(٢) ، والخطاب موجهاً إلى المؤمنين أيضاً : ﴿ وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ (العنكبوت: ٤٦) ، فهذا تعبير شامل لكل الأساليب والطرق الناجحة والمناسبة ، أكان بالألفاظ أو المحتوى ، أو في الطريقة التي يلقي بها الكلام حتى الإرشادات والحركات المصاحبة له ، فالهدف من الكلام النفوذ إلى القلب وأعماق الأفراد لا دحرهم والتفوق عليهم^(٣) .

الفرع الثاني : تحقيق الانجذاب بالليونة

يظهر من القرآن الكريم أن أسلوب المتبع في التعامل مع الآخرين واكتسابهم بالكلام الحق هو الطريق في النفوذ إلى القلب ، فالتطلع إلى سيرة الأنبياء وخصوصاً نبينا محمد (صلى الله عليه وآله) وأئمتنا الأطهار (عليهم السلام) يظهر لنا أنهم قد اتبعوا أفضل السبل الأخلاقية والمعارف النفسية للوصول إلى أهدافهم التربوية والتبليغية وهذه هي الطريقة المناسبة لجذب الناس سريعاً إلى الدين الإسلامي ، فالخشونة في الكلام وتصغير الآخرين والتكبر عليهم واطهار الاستعلاء والتفضل والكمال عليهم وعدم احترام افكارهم كل هذا يبعث على الفشل وعدم الانتصار عليهم .

وهذا يلزم على الفرد أن يلقي كلامه بطريقة مؤدبة ، فالهدف من كل ذلك هو النفوذ إلى القلب والوصول بالطرف الآخر إلى الحق وخير ما نتبع في ذلك أسلوب القرآن الكريم ، فالليونة مع الآخرين لها الأثر الكبير على نفوسهم والأثر الواضح على قبول الدعوة والافتتاح بها فالناس لهم نفسياتهم وشعورهم الخاص الذي ينبغي الحرص بعدم المساس بهما^(٤) .

(١) ظ : النقوي / ضياء الفرقان في تفسير القرآن ، ٣٥٥/١٠ .

(٢) ظ : الشيرازي / نفحات القرآن ، ٥٤/٧ .

(٣) ظ : الشيرازي / الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل ، ٦٥/١٠ .

(٤) ظ : أحمد نافع سليمان / الحكمة والموعظة الحسنة وأثرهما في الدعوة ، ١٨٤/١-١٨٥ .

وهذا ما أرشدنا إليه القرآن الكريم فالتصادم مع الآخرين يؤثر ذلك على نفسيتهم ويظهر رفضهم للدعوة ، لذلك أكد القرآن الكريم على اتباع الليونة مع الطرف الآخر ولا يعني ذلك التنازل عن الدين الإسلامي والاستهانة بتشريعاته بل يكون في ضمن حدود مقبولة ، فالدعوة إلى الدين بالليونة ويكون مقترناً بالصدق والاخلاص يكون له أثر عظيم في الاقبال عليه ، فالأنبياء قدموا دعواتهم إلى الناس ولم يطلبوا منهم الأجر على ذلك بل قالوا لهم أجرنا على الله تعالى ، فاتباع هذا الأسلوب في حياتنا يؤدي إلى المحبة والاحترام المتبادل مع الآخرين وبالنتيجة يدفع الناس إلى الدخول إلى الدين الحق ^(١)، وبهذا يكون الليونة من الأساليب التي استخدمها القرآن الكريم في جذب الناس .

فيظهر من ذلك أن الليونة منهج قرآني ومن اخلاق النبوة ، وهو ما منّ تعالى به على رسوله الكريم : ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ (ال عمران : ١٥٩)، وهو ما أمر تعالى به موسى وهارون (عليهما السلام) أن يخاطبا فرعون : ﴿ اذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ * فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لِّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴾ (طه: ٤٣-٤٤) .

فهي تجذب الأفئدة وتجعل الأمة منتظمة في أسس حياتها ، وهذا ضروري أن تتصف الأمة المسلمة بهذا الخلق العظيم لما يجعل بينهم من التلاحم والترابط والمحبة ، لهذا كان رسولنا الكريم وآله الأطهار متصفين به ، فالرقة واللطف وعدم جرح الآخرين يشجع الأفراد على بذل مزيد من الطاقات والجهد في سبيل الأمة ورفع مقامها ، فعدم استخدامها في المعاملة يؤدي إلى إثارة العزة بالآثام ويهيج الكبرياء وبالتالي يشتت الآراء ويجعل الأمة متدنية في الاخلاق ولا يرفع مقامها بين الأمم الأخرى .

لذلك استعمله القرآن الكريم في تعامله مع الآخرين ودعوتهم إلى الدين الإسلامي لأنه يريد أن يدخل إلى عقول الناس من أوسع ابوابها لذلك كانت الآيات القرآنية أوقع في النفس وأريح إلى القلب .

(١) ط : فضل إلهي / من صفات الداعية اللين والرفق / ٣٤ .

المطلب الرابع : الانجذاب بوسيلة (الحكمة)

الفرع الأول : بيان وسيلة (الحكمة)

حكم يدل على المنع ، ويقصد المنع من الظلم^(١) ، والحكمة ((إصالة الحق بالعلم والعقل ، فالحكمة من الله تعالى معرفة الأشياء وإيجادها على غاية الأحكام ، ومن الإنسان معرفة الموجودات وفعل الخيرات))^(٢) .

وردت الحكمة في القرآن الكريم بمعانٍ عديدة وهي :

أحدها : الموعدة ، كما جاء في قوله تعالى : ﴿ وَمَا أَنزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُمْ بِهِ ﴾ (البقرة: ٢٣١) ، والثاني : التوراة ، كما جاء في قوله تعالى : ﴿ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ ﴾ (النساء: ٥٤) ، والثالث : تفسير القرآن ، كما جاء في قوله تعالى : ﴿ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾ (البقرة: ٢٦٩) ، والرابع : القرآن^(٣) ، كما جاء في قوله تعالى : ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ ﴾ (النحل: ١٢٥) ، والخامس : حجة العقل بما يوافق احكام الشريعة ، كما جاء في قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ ﴾ (لقمان: ١٢) ، والسادس : الفقه في الدين^(٤) ، كما جاء في قوله تعالى : ﴿ وَآتَيْنَاهُ الْهُدَى صَبِيًّا ﴾ (مريم: ١٢) .

أن الله عزّ وجلّ من اسمائه الحكيم فهو تعالى العليم العزيز الحكيم ، فحكّمته تعالى تتصف بالعلم والعزة ، فتعالى يهب الحكمة لمن يشاء من عباده ، لقوله تعالى : ﴿ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ (البقرة: ٢٦٩) ، فقيل الحكمة هنا النبوة والمعرفة بالله (عزّ وجلّ) ، والفهم ، وعلم الدين ، والخشية من الله تعالى ، والقرآن والفقه ، وقيل العلم عظيم النفع والذي تتجلى فائدته ، وقيل العلم بالقرآن الكريم مقدمه ومؤخره ، محكمه ومتشابهه ، ناسخه ومنسوخه ، حلاله وحرامه وغيره ، وورد أيضاً ما اعطاه تعالى للأنبياء والأمم من الكتب والآيات والدلائل التي تدلهم على معرفة الله تعالى وبدينه ،

(١) ظ : ابن فارس / مقاييس اللغة ، ٩١/٢ .

(٢) الراغب الأصفهاني / المفردات في غريب القرآن / ١٦٧-١٦٨ .

(٣) ظ : الدامغاني / الوجوه والنظائر في القرآن الكريم / ١٤١-١٤٢ .

(٤) ظ : الفيروزآبادي / بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ، ٤٩٠/٢ .

فالذي يستحق الحكمة هو من استخدم عقله في طاعة الله تعالى فيما دعا وأمر إليه ، لذلك قال تعالى (أولو الألباب) لأنه لا يتعظ إلا أصحاب العقول فهذا مدح من الله تعالى لهم^(١) .

فجعل الله تعالى الحكمة للأنبياء جميعاً وتشير إلى ذلك آيات القرآن الكريم ، منها ما اعطاه تعالى لعيسى (عليه السلام) : ﴿وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾ (المائدة: ١١٠) فتعالى علم الشريعة لعيسى (عليه السلام) من الكلام المحكم الصائب وقيل الكتب وبينه أنه التوراة والإنجيل^(٢) .

وما ذكر لداود (عليه السلام) ﴿وَأَتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ﴾ (البقرة: ٢٥١)، وما فضل تعالى به آل ابراهيم (عليهم السلام) ، لقوله تعالى : ﴿فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ (النساء: ٥٤)، فال إبراهيم أما هم مطلق من اولاد اسحاق واسماعيل (عليهما السلام) حتى يشمل رسول الله (صلى الله عليه وآله) أو المراد نبينا محمد (صلى الله عليه وآله) وآله من ذرية اسماعيل (عليه السلام) بما فضلهم تعالى من النبوة وانزال الكتب والمعارف الدينية^(٣) .

وما أتى تعالى للقمان الرجل الورع المهذب الذي انتصر على هوى نفسه ، فأثابه تعالى العلم والحكمة وما كان ذلك إلا نتيجة طهارته وتقواه ، لقوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنْ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ (لقمان: ١٢)، فحكمته التي اعطاها ذكر فيها أقوال هي الوصول إلى الحق بجهتين بالقول والعمل ، ومن جهة معرفة الله تعالى ، وقيل معرفته اسرار الوجود ، وقيل إحاطته وعلمه بحقائق القرآن فيمكن جمعها في التعريف التالي : ((مجموعة من المعرفة والعلم والأخلاق الطاهرة والتقوى ونور الهداية)) فكان (عليه السلام) يشكر الله تعالى على نعمته التي وهبها له ، وكان يعلم أن الهدف من ورائها هو الاستفادة منها واستغلالها ووضعها في المكان المناسب لها ليتحقق الهدف الذي من أجله خلقه تعالى فالحكمة هي أن توضع الأشياء في موضعها^(٤) ، فالحكمة من النعم التي انعم الله تعالى بها على عباده الصالحين ووهبها أيامهم .

(١) ظ : الطبرسي / مجمع البيان في تفسير القرآن ، ١٥٨/٢-١٥٩ .

(٢) ظ : الشريف الكاشاني / زبدة التفاسير ، ٣٤٣/٢-٣٤٤ .

(٣) ظ : الطباطبائي / الميزان في تفسير القرآن ، ٣٧٦/٤ .

(٤) ظ : الشيرازي / الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل ، ٢٠٢/١٠-٢٠٣ .

الفرع الثاني : تحقيق الانجذاب بالحكمة

أن من الأساليب التي استخدمها الأنبياء والرسل في الدعوة إلى الله تعالى الحكمة بأن يدعوا جميع الناس مسلمهم وكافرهم ، كما جاء في قوله تعالى : ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ ﴾ (النحل: ١٢٥) ، بأن يدعوهم إلى سبيل الله تعالى المستقيم الذي يشمل على العلم النافع لهم ، والعمل الصالح ، وأن تكون مخاطبتهم لهم كل حسب فهمه وحالته وقبوله وانقياده^(١) ، وفق ما يقتضيه المقام بمراعاة احوال المخاطبين من عوامهم وخواصهم ، فالحكمة ترجع إلى البرهان الذي بدوره يتألف من الحقائق الثابتة والمقدمات اليقينية التي تقضي حصول معرفة الأمور على ما هي عليه^(٢) .

فالحكمة في الدعوة إليه تستلزم حسن التصرف في معاملة من توجه إليه الرسالة واقناعه بأيسر الوسائل وأجملها ، ليقبل ما ينصح به ويدعو إليه ، فيستجيب المدعو مختاراً طائعاً لا نافرًا مكرهاً من قلبه ، فيحسن الداعية التصرف مع المدعويين بأن يلاحظ صفاتهم النفسية والخلقية والفكرية والاجتماعية ، وملاحظتهم عند توجيه الرسالة لهم ، وبعدها يتم اختيار أحكم الوسائل للوصول إلى التأثير المقصود النافع المفيد على فكرهم ونفسهم ، فالحكمة تكون تصرف دعوي نصحي يكون الهدف منها اقناع من توجه لهم الرسالة ويكون اقناعاً فكرياً^(٣) .

والإنتاج الفكري يتم بعرض مبادئ وحقائق الدين الإسلامي عرضاً ميسراً واضحاً للتصور والفهم ابتداءً بجذور الإسلام وارتقاءً إلى فروعه ، ويكون مقترناً بالأدلة البرهانية الحقيقية التي تشهد بدورها بأنه حق لا شك فيه ويزين الأقناع بالأساليب البيانية الجميلة التي تسر نفوس من توجه لهم الإقناع ، وهنا ينفتح النظر الفكري ويتأمل في ما القي إليه من المضامين الفكرية ونفسه مستمتعة منشرفة بجمال الأسلوب الذي يدفع إلى النظر في صحة ما جاء من المضمون الفكري^(٤) .

(١) ظ : السعدي / تيسير الكريم الرحمن / ٤٥٢ .

(٢) ظ : ابن عاشور / التحرير والتنوير ، ٣٣٢-٣٣٠/١٤ .

(٣) ظ : عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني / فقه الدعوة الى الله ، ٦١٩/١ .

(٤) ظ : المصدر السابق ، ٦٢٠/١ .

فالنفس الإنسانية متى ما انفتحت ابوابها للنظر الفكري للفهم والاستقبال لم يكن بداخلها هوى يعارض القضية المقترحة عليه بالاستبصار والفهم الصحيح والتفكير السليم ، وهنا يتمكن حامل الرسالة إلى الدخول بعمق النفس الإنسانية حتى مركز قلبها وفؤادها^(١) .

فالآية الشريفة هي ترشد إلى طريق الدعوة العملية لهداية الأفراد وإرشادهم إلى الطريق الصحيح وكسب العدد الكبير منهم إلى صف الدين الإسلامي والعقدي ، وتشير إلى أن الواقع البسيط المجرد والحقيقة المجردة لا يمكن إلقاؤهما إلى البشر دون مقدمات ومن غير ملاحظة الظروف ومعرفة مجالات العمل ووجوه ، فهي تنبه الدعاة بأن لا يكون أسلوبهم في العمل واحد ، فلا بد أن يكون اختلاف فيه حسب الواقع المعاش فالدعوة لا تكون عملية عندما تساوي بين المتقف والجاهل في الأسلوب المتبع والفكرة التي تلقى ، ذلك أن الأدوات الفكرية والتعبيرية التي يمتلكها الأفراد تختلف عن الآخر ، وهناك بعض المواقف يكون الجو فيها هادئاً مترناً الذي يعطي للفرد أن يفكر بهدوء ولروحه أن تطمئن لفكره أن ينطلق ، فالحكمة تراعي مقتضى الحال^(٢) .

فالفرد الحكيم هو الهادئ الذي يملك قدرات كبيرة في مواجهة مشاكل الحياة ومساعدة الآخرين ، ويملك القدرة على الرؤية المستقبلية للأمور ويفسر ما يدور حوله بطريقة علمية تتفهمه وتتفهم الآخرين ، فحكيمته تظهر في افكاره وتصرفاته ومعاملاته مع مجتمعه ، فهو يملك المعرفة والفهم الدقيق للحياة فيكون له معرفة بطبائع النفوس واختيار الموقف المناسب في القول والعمل فهو يقدم الاحسان في القول ويبعد عن التشهير ويهدف إلى النصيحة والستر .

لذلك جعلها تعالى من وسائل انبيائه في نشر الدين الإسلامي ونحن بدورنا كمسلمين نستخدمها في مجال نشر الدعوة وفي مجالات الحياة المختلفة لما لها من عظيم النفع^(٣) .

يتضح أن الحكمة من الصفات التي حصل عليها الرسل والأنبياء من قبل الله (عزّ وجلّ) وكذلك تحصل للأفراد الذين يخشون ربهم ويعملون بما أمرهم تعالى قولاً وفعلًا .

(١) ظ : عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني / فقه الدعوة إلى الله ، ٦٢٠/١ .

(٢) ظ : فضل الله / اسلوب الدعوة في القرآن / ٥٦-٥٥ .

(٣) ظ : السعدي / الرياض الناضرة والحدائق النيرة الزاهرة / ٨٢-٨٨٨ .

والحكمة في الدعوة تتطلب السير على الواقع الذي يعيش فيه الناس وعلى الداعية أن يلاحظ الواقع الخارجي للناس ويدرس ظروفهم من جميع المجالات والنواحي وأن تكون دعوته مناسبة لظروفهم .

فيتضح أن للحكمة مكانة عظيمة في القرآن الكريم ونشر الدعوة الإسلامية ، فحسن استخدامها في نشر الدين تكون من الأساليب المهمة في الجذب ، وهي لا تقتصر أن تكون في مجال الدعوة فقط بل هي تسري لجميع مجالات الحياة وكافة شؤونها ، في مجال الحياة الزوجية وتربية الأطفال وفي معاملة الوالدين وفي مجال العمل وتقديم النصح للأفراد ، فهي من الأساليب المهمة التي تستخدم في نشر الدين الاسلامي والحياة الطبيعية .

المطلب الخامس : الانجذاب بوسيلة (الموعظة)

الفرع الأول : بيان وسيلة (الموعظة)

وعظ وهو التذكير بالخير بما يرق القلب له ^(١) ، ويدل على التخويف ^(٢) ، والنصح ، ويدل على التذكر بالعواقب ^(٣) . و الموعظة الحسنة ((هي طريقة في التبليغ وأسلوب في الدعوة يحببها ولا ينفّر عنها ، يقرب إليها ولا يبعد عنها ييسرها ولا يعسرها ، وهو الأسلوب الرفيق به والناصح له ، الباحث عما ينفعه ويسعد)) ^(٤) .

أن العبد يكون شديد الحاجة إلى الموعظة (الترغيب والترهيب) حينما يضعف تذكره وإنابته ، أما إذا قوي تذكره وإنابته لم يكن بحاجة إليها وإنما تكون حاجته إلى معرفة الأوامر والنواهي ، فالموعظة يراد بها أمران : أما الأول فهو الأمر والنهي المقرونين بالرهبة والرغبة ، والرهبة والرغبة نفسها ، فالمنيب المتذكر يكون شديد الحاجة إلى معرفة الأوامر والنواهي ، أما المعرض الغافل تكون حاجته إلى معرفة الترغيب والترهيب ، فالموعظة الحسنة تعتمد على طريقة الخطابة ، بأن يذكر المقدمات الخطابية التي بدورها تثير رغبتهم ورهبتهم لمن يقتنع بها ، فالموعظة تكون شديدة الأهمية لمن غفل فهي تذكره لينتفع بالتذكير ^(٥) .

فالموعظة ترجع الى الخطابة والخطابة عادة تتألف من المقدمات الظنية فهي تراعي ما يغلب أهل العقول عادةً ، لقوله تعالى : ﴿ وَلَا تَكْخُؤُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِّنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا ﴾ (النساء: ٢٢) ، فكلية (مقتاً) ترجع إلى أنهم عندما يفعلونه يسمونه عادة نكاح المقت ، فأجرى الله تعالى عليه هذا الوصف فهو يقنع المخاطب بأنه فاحشة ^(٦) .

فالموعظة تكون بالترغيب أو الترهب استناداً إلى الطمع والخوف الموجودين في النفس الإنسانية ، فالموعظة الحسنة يكون حسناتها في مضمونها الذي يشمل النصح المفيد والخير ،

(١) ط : الفراهيدي / العين ، ٢٢٨/٢ .
(٢) ط : ابن فارس / مقاييس اللغة ، ١٢٦/٦ .
(٣) ط : الجوهري / تاج اللغة وصحاح العربية / ١٢٥٦ .
(٤) فضل الله / أسلوب الدعوة في القرآن / ٥٧ .
(٥) ط : ابن قيم الجوزية / مدارج السالكين / ٤٧٩-٤٨٠ .
(٦) ط : ابن عاشور / التحرير والتنوير ، ٣٣٢/١٤ .

وبيان العقابة بصدق ويكون أسلوب العرض بشكل لا تنفر منه النفس ، فالحسنُ يتنافى مع الخشونة في القول والغلاظة والفظاظة ويتنافى أيضاً مع الأقوال الجارحة والشتائم والسباب وجميع ما ينفر الطبع منه ، والتي لا تتحمل النفس استماعه ، فيكون اركان الموعظة الحسنة الترغيب الذي يبين العواقب الحميدة بما ترغب إليه النفس الإنسانية إذا استجابت لما دعت إليه ، فالعاقبة الحميدة التي تكون لمن استجاب لسبيل الله بالفوز بالسعادة في الدنيا والنجاة من الآلام والشور المعذبة لها والفوز في الآخرة بالخلود في جنات النعيم كما بينه تعالى في القرآن الكريم .

وأما الأمر الثاني فهو الترهيب يبين العواقب الوخيمة بما تكرهه النفس وتنفر منه لمن تخلف عن دعوة الموعظة الحسنة ، فالعاقبة الوخيمة تكون لمن لم يتبع سبيل الله وانحرف عنه ، بأن يتلقى العواقب الأليمة المعجلة والمؤجلة بحسب ما ورد من الوعيد في القرآن الكريم ، ويكون أشدها البقاء الدائم في نار جهنم ^(١) .

فالنفس الإنسانية لها موجهات داخلية عدة منها :

الأول الطمع الذي ترغب به النفس من مفرحات وسارات ومسعدات ولذات من مكاسب ومنافع وأرباح آجلات أو معجلات فيكون ركن الترغيب في الموعظة الحسنة يدور حوله ، فهي تختار الوسيلة المناسبة التي يكون تأثيرها نافعا إيجابيا لتهيجه وأثارته حتى يختار السلوك الملائم الذي يوصله إلى ما يرغب فيه وتعلقت نفسه به .

الموجه الآخر الخوف الذي تكرهه النفس الإنسانية من مكدرات ومشقات والآم وخسارات وأضرار آجلات أو معجلات ، فيكون ركن الترهيب في الموعظة الحسنة يدور حوله ، فهي تختار الوسيلة المناسبة التي يكون تأثيرها نافعا إيجابيا لتهيجه وإثارته حتى يختار السلوك الملائم الي يضبطه ويبعده ويكفه عن الاقتراب والتوجه نحوه ^(٢) .

الفرع الثاني : تحقيق الانجذاب بالموعظة

(١) ظ : عبد الرحمن حسن حبكة الميداني / فقه الدعوة إلى الله ، ٦٣١/١-٦٣٢ .
(٢) ظ : المصدر السابق ، ٦٣٣/١ .

أن الله (عزَّ وجلَّ) قد جعل الموعظة الحسنة من الوظائف التي كلفها لأنبيائه ورسله في تبليغ الدين الحق للناس ، وجعل القرآن الكريم موعظة وهذا ما جاء في العديد من الآيات الكريمة ، لقوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (يونس: ٥٧)، ﴿ هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ (ال عمران : ١٣٨)، فجاء أمر الله تعالى لرسوله الكريم أن يدعو الناس بالموعظة الحسنة حسب ما يتطلبه المقام وما يراعي به احوال المخاطبين من عامهم وخاصهم ، لقوله تعالى : ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ (النحل: ١٢٥)، فالرسول عندما يدعو الناس عليه أن يسلك من هذه الطرق الثلاثة (الحكمة ، الموعظة الحسنة ، الجدل بالتي هي احسن) استناداً إلى احوال المخاطبين وما يتطلبه المقام في الدعوة (١).

فإنه (عزَّ وجلَّ) قيد الموعظة بالحسنة لأن الموعظة عادة تكون رادعة للموعوظين نتيجة قيامهم بالأعمال السيئة أو يكون توقع قيامهم به ، فيكون مظنة أن يصدر الواعظ الغفلة أو يكون حصول انكسار نتيجة الوعظ في نفس الموعوظ ، فتعالى أرشد الرسول الكريم أن تكون موعظته حسنة بأن تكون بالآنة وترغيبهم بالخير (٢) .

فالموعظة الحسنة (الترغيب والترهيب) جاءت في القرآن الكريم تستند الى وسائل بيانية عدة :

- ١-الوعد بالثواب المؤكد المعجل والمؤجل إلى يوم القيامة والوعيد بالعقاب الأليم المعجل والمؤجل إلى يوم القيامة ، فكان (صلى الله عليه وآله) يتلوها بحسن ويشرحها بطريقة مؤثرة.
- ٢-عرض الشواهد التاريخية والأمثلة وبيان سنة الله تعالى في الأمم السابقة وما حدث لها بأن يكون الثواب والنصرة لمن آمن بالله والرسول والعذاب المهلك لمن كفر وكذب وما جرى عليهم من تدمير بلدانهم ومساكنهم وممتلكاتهم .

(١) ظ : ابن عاشور / التحرير والتنوير ، ٣٣٠/١٤ .

(٢) ظ : المصدر السابق ، ٣٢٩/١٤ .

٣- عرض مشاهد يوم القيامة وما يكون فيه للمؤمنين من الثواب الجزيل وجنات النعيم وما يكون للكافرين ومرتكبي الفسق والفجور والظلم والعدوان والبغي من العذاب الأليم (١) .

أما حامل الرسالة (صلى الله عليه وآله) كان يظهر الرفق واللين واللفظ في المعاملة وكان يشعر الناس بإنسانيتهم وكان يوحي لهم بأن الدعوة تعتني بالحياة والحب والحنان التي تفيض بالروح الإيمانية الخيرة ، وكان يشعر المخاطبين بأنه معهم الناصح الرفيق الذي يبحث عما يسعدهم وينفعهم .

فكانت الموعظة الحسنة كثيراً ما تؤلف القلوب النافرة وتهدي القلوب الشاردة فكانت تدخل قلوبهم برفق وتتغلغل إلى مشاعرهم بلطف (٢) .

فإن الكثير من النفوس الإنسانية انجرفت وراء اللذات وانغمست في الشهوات ، فأمر تعالى رسله وأنبيائه أن يصلحوا البشر بالتذكر والوعظ ، فالموعظة الحسنة هي التي تيقظ قلوبهم من الغفلة وتحيي النفوس من الجهالة ، فهي رحمة إلهية وشفاء لما يغشى القلوب من العمى فتكون دورها أن تزيله عنها وتطهره فيخشع ويوجل إلى ذكر الله تعالى ، ونحن نلاحظ في الآونة الأخيرة انغماس الناس في الشهوات وطغت عليهم الماديات فاستحوذت على عقولهم وقلوبهم وانتشار الوعظ السيء الذي يكون من شأنه إفساد واضرار الناس أكثر بدلاً من اصلاحهم ونفعهم (٣) .

وهنا يتوجب الرجوع إلى القرآن الكريم وسنة رسولنا الكريم وآله الأطهار واستخدام الأساليب التي كانوا يستخدمونها وخصوصاً الموعظة الحسنة لردهم إلى الحق وتذكيرهم بوعده الله تعالى ووعيده وبقصص الأمم السابقة وما حدث لهم وبنعم الله تعالى التي يمتلكونها وما يكون هذا إلا لإصلاحهم وحياء قلوبهم من الغفلة ، فالموعظة الحسنة يجب أن يستخدمها العلماء والعوام ، فاستخدامها بوقتها المناسب وبالصورة الصحيحة تكون من الأساليب التي

(١) ظ : عبد الرحمن حسن حبيكة الميداني / فقه الدعوة إلى الله ، ٦٣٤/١ .

(٢) ظ : فضل الله / اسلوب الدعوة في القرآن / ٥٧ .

(٣) ظ : محمد بن عبد الرحمن المرحوم / الموعظة الحسنة للعلماء وأثرها في الدعوة إلى الله / ٣-١ .

تجذب الكثير من الناس إلى الدين الإسلامي وتتفهم من الغفلة والجهالة والضلالة وتعيدهم نحو الطريق المستقيم الذي به يكون صلاحهم في الدنيا ونجاتهم في الآخرة^(١).

فتعالى يعلم أن أحوال البشر لا يمكنها أن تستقيم ولا تصلح ما لم يرسل الرسل الذين يقومون بوعظ الناس ويعلمونهم بوجود إله يعلم سرهم وعلايتهم ويصلحون ما فسد من أخلاقهم ويعملون على نشر المبادئ والمثل العليا وهذا ما موجود في الموعظة الحسنة فهي تقوم بإصلاح النفوس التي انجرفت وراء لذاتها وانغمست في شهواتها فهي تعمل على تهذيبها وتنبهها من غفلتها ، لذلك كانت ذات الأثر العظيم في استمالة القلوب وتوجيهها نحو الحق ، ولها قوة تأثير في جذب نحو الدين الإسلامي .

المطلب السادس : الانجذاب بوسيلة (التآلف)

الفرع الأول : بيان وسيلة (التآلف)

التأليف يدل على ضم الشيء إلى الآخر^(٢) ، وهو ((جعل الأشياء الكثيرة بحيث لا يطلق عليها اسم الواحد سواء كان لبعض أجزائه نسبة إلى البعض بالتقدم والتأخير أم لا))^(٣) .

وورد في القرآن الكريم ما يخص مصطلح التآلف في تسعة مواضع^(٤) ، وقد ورد بمعنيين الأول ما يخص التأليف المادي ، كما جاء في قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَرْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا ۚ ﴾ (النور: ٤٣) ، والثاني التأليف المعنوي ، لقوله تعالى : ﴿ وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ ۚ ﴾ (ال عمران: ١٠٣) ^(٥) .

لقد أعطى الدين الإسلامي أهمية كبيرة لقضية التأليف بين قلوب الناس لما له من أثر كبير في نشر الدين وتوحيد من أتبعه وتوجيههم نحو الوجهة الصحيحة فحين ظهر الإسلام ألف بين قلوب من اتبعوه واتخذوه ديناً فالأيمان بالله تعالى هو الذي يجمع بين قلوب المؤمنين بعد تفرقهم وتشتتهم فيصيروا أخواناً ويكونوا يداً واحدة ، بمثل ما حكى لنا القرآن الكريم والتاريخ

(١) ظ : محمد بن عبد الرحمن المرحوم / الموعظة الحسنة للعلماء وأثرها في الدعوة إلى الله / ١٢٠-١٢٣ .

(٢) ظ : ابن فارس / مقاييس اللغة ، ١/ ١٣١ .

(٣) الشريف الجرجاني / معجم التعريفات / ٤٥ .

(٤) عبد الباقي / المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم / ٣٦ .

(٥) ظ : محمد الريشهري / موسوعة معارف الكتاب والسنة ، ٣/ ٢٤٥-٢٤٦ .

الإسلامي عن الأوس والخزرج الذين كانوا أعداءً فجمعهم تعالى على دين الحق وجعلهم
أخواناً بعد أن كانوا متفرقين أعداءً ، لقوله تعالى : ﴿ وَاللَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي
الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلْفَتْ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلْفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (الأنفال: ٦٣)، فتعالى
قد جمعهم على الهدى فأتلفهم ، فلو أنفق جميع ما في الأرض لما استطاع (صلى الله عليه
 وآله) أن يجمع بين قلوبهم ، فجعلهم تعالى انصاراً وأخواناً للرسول (صلى الله عليه وآله) على
أعدائه فصاروا له يداً واحدةً ^(١) .

فهذه منة من الله تعالى عليهم بأنزال الإسلام ودخولهم فيه والاتلاف الذي كان نتيجته في
الدنيا مع النفع الحاصل لهم في الآخرة من الثواب الجزيل ، فالإسلام هو الذي يزيل الاحقاد
ويرفع البغضاء عن القلوب ، لذلك أمر تعالى بلزوم التمسك بالدين والقرآن وأهل البيت ، وأن
لا يتفرق أحدٌ عنهم ، فالدين هو الذي يلزم الاتلاف والجماعة ، لقوله تعالى : ﴿ وَاعْتَصِمُوا
بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ
بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا ﴾ (ال عمران: ١٠٣)، فبنعمة دين الله
تعالى أصبح أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله) متحابين متواصلين بعد أن كانوا
متعادين متحاربين ^(٢) .

فالدين الإسلامي أزال العداوة والفرقة وأحل مكانها المحبة والألفة ، فبنعمة الإسلام يصبح
الناس أخواناً في الدين ، ولم تكن الألفة بين المسلمين فقط بل أيضاً تجاوزت إلى بعض الأقوام
من اصحاب الديانات الأخرى الذين يراد بهم استمالتهم إلى الدين الإسلامي أو يستعين بهم
لتحقيق النفع الذي يعود على الإسلام من خلال تخصيص جزء من اموال الزكاة إليهم ^(٣) ،
ونسيمه بالتأليف المادي ، كما جاء في قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ
وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ ﴾ (التوبة: ٦٠)، فهؤلاء يستمالون بهم إلى الإسلام فهم ليس
لديهم حافز ولا دافع معنوي من أجل النهوض بالأهداف الإسلامية فيعطون جزء من اموال

(١) ظ : الطبري / جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، ٢٥٦/١١ .

(٢) ظ : الطبرسي / مجمع البيان في تفسير القرآن ، ٢٨٧/٢ .

(٣) ظ : مغنبة / الكاشف ، ٦٠/٤ .

الزكاة للاستفادة منهم وجلب محبتهم لأعلاء الكلمة وتحكيم الدولة سواء كانوا من الكفار أو من المسلمين ضعيفي الإيمان^(١) .

الفرع الثاني : تحقيق الانجذاب بالتآلف

إنَّ من ثمار حسن الخلق الألفة ، فحسن الخلق يبعث على التآلف والتوافق والتحاب بين المجتمع ، وفضيلته في الدين لا تخفى على أحدٍ ومنها ما مدح تعالى رسولنا الكريم (صلى الله عليه وآله) : ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (القلم:٤)، فحسن الخلق تكون ثمرته الألفة وأيضاً انقطاع الوحشة فالمثمر كلما طاب طاببت ثمرته ، فتعالى قد أثنى على الألفة لا سيما التي تبنى على حب الله تعالى والدين والتقوى^(٢) ، وحث على كلِّ ما يزيد المحبة ويقوي الألفة ويدفع العداوة ، لما يكون من الاتفاق والاجتماع من الخير الكثير والقوة والبركة ، لذلك قال تعالى : ﴿وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ (الأنفال:٤٦)، فبالتنازع تذهب الروح الحقيقة والمعنويات النافعة ، فالله (عزَّ وجلَّ) جمع في الآية الكريمة الأمر للأفراد لتحصيل القوة المعنوية والتي تكون بالإيمان والثبات والاجتماع والصبر وعدم التفرق والتنازع ، وبالقوة المادية أيضاً في قوله تعالى : ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ (الأنفال:٦٠)، فالمسلمون متى ما امتثلوا لأمر الله عزَّ وجلَّ وسعوا لتحصيل الاتفاق وأزالوا اسباب العداوات وسعوا في مصالحهم جميعاً وكانوا كاليد الواحدة ، وقاوموا الأعداء وسعوا في تحصيل قوتهم المادية بكل استطاعتهم وقدرتهم وتشاوروا بينهم حصلت لهم قوة عظيمة في دفع أعدائهم وجلب المنافع والمصالح لهم وما يكون ذلك إلى بصلاح دينهم افراداً وجماعاتاً ، ومتى ما أخلوا بدينهم فقد ضلوا بأنفسهم جميعاً ، فتعالى وعد بالنصر والعز للذين اتقوا وتمسكوا بدينه واعتصموا بحبله ، وهذا ما جاء به جميع الأنبياء والمرسلين ، لقوله تعالى : ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ (الشورى:١٣) وقوله تعالى : ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (ال عمران:١٠٥) ، فالألفة تزيد المحبة وتجعل القلوب متقاربة وتزيل الضغائن والعداوات ،

(١) ظ : الشيرازي / الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل ، ٢٣١/٥ .

(٢) ظ : الغزالي / إحياء علوم الدين ، ٦١١/٢ .

فتعالى حذر المسلمين غاية الحذر من الاختلاف والافتراق الذي يؤدي إلى سيطرة الأعداء عليهم وعلى مصالحهم^(١) .

لهذا أولى الإسلام الألفة أهمية كبيرة ، فهي من النعم الإلهية التي منَّ بها تعالى على المجتمع الإسلامي فهي تمهد لبركات كثيرة مادية ومعنوية من انتصار الحق والعزة للمسلمين وسيادة العدالة الاجتماعية والسياسية ، فمن هنا يتوجب على رجال السياسة وقادة الثقافة في المجتمعات الإسلامية العمل لتقارب القلوب ونشر التآلف بين الناس أكثر فأكثر^(٢) .

يظهر أن من أساليب الدعوة إلى الله تعالى هو تأليف القلوب فيجب على الداعية إلى الله تعالى أن يعمل على التآليف بين قلوب الناس ولكي يطبق هذا العمل يجب على الداعية أن يتصف بصفات محبوبة وتكون سبباً لجذب عقولهم وقلوبهم لهذا فطر تعالى أنبيائه المرسلين بصفات كريمة محبوبة عند الجميع كالمحبة واللين والصفح والعفو وعدم الانتقام من الغير والتبشير والكثير من الصفات التي تبعث على تآلف القلوب وتحابها^(٣) .

فتأليف القلوب له تأثيرٌ بالغٌ في نشر الإسلام ودخول الكثير فيه والانقياد إلى قائده ، لهذا يكون له تأثير مباشرٌ في نشر الدين الإسلامي وتقدمه ، وعليه فتأليف القلوب يعد من المبادئ الأساسية التي يقوم الدين الإسلامي بغرسها بين المجتمعات لما لها من الأثر الكبير في سلوك الأفراد وتوحيد المجتمع ، فالوحدة بين المجتمع لا تتم إلا بعامل المحبة والتآلف والتآخي المتبادل ، وهذا يجب أن يسبقه الوحدة في العقيدة والتوجه الخالص في الدين ، فتأليف القلوب من النعم العظيمة التي من الله تعالى بها على البشر إذ بها تتوحد قلوب المجتمع وتتماسك ويكونوا قوة في وجه الأعداء .

ونحن اليوم في أمس الحاجة إلى التآليف بين مجتمعنا فنيران العداوة أكلت قلوب البعض وما نواجهه في الوقت الحاضر من المشاكل والأزمات ما كان إلا سبب الافتراق والبغضاء فلا يصلح حالنا وحال المجتمع الا بالرجوع إلى القرآن الكريم وسنة رسولنا (صلى الله عليه وآله) وأهل بيته الأطهار ، فأصحاب الديانات الأخرى عندما يرون ما بيننا من الألفة والمحبة

(١) ظ : السعدي / الرياض الناظرة والحدائق النيرة الزاهرة / ٥٨-٥٩ .

(٢) ظ : محمد الريشهري / موسوعة معارف الكتاب والسنة ، ٢٤٩/٣-٢٥٠ .

(٣) ظ : إبراهيم بن صالح بن صابر المغنوي / تأليف النبي (صلى الله عليه وآله) للقلوب وأثره في الدعوة على الله / ٢ .

يدركون أن هذا بسبب الدين الإسلامي الذي اختاره تعالى لعباده ، فتأليف القلوب من وسائل الجذب إلى الدين الحق ، فهو من الوسائل التي يتكامل به الإنسان ويبلغ الغاية التي من أجلها خلقه تعالى .

المطلب السابع : الانجذاب بوسيلة (التكافل الاجتماعي)

الفرع الأول : بيان وسيلة (التكافل الاجتماعي)

التكافل مأخوذ من الجذر اللغوي (كفل) ويأتي بمعنى الضعف والمِثْلُ ، لقوله تعالى : ﴿يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ﴾ (الحديد: ٢٨) بمعنى ضعفين ومثلين ، والكافل هو العائل الذي يكفل الفرد وينفق عليه وقيل هو يأتي بمعنى الضامن ، كما جاء في قوله تعالى : ﴿وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا﴾^(١) . والاجتماعي مأخوذ من الجذر اللغوي (جمع) فهو جمع الاشياء المتفرقة جمعه يجمعه جمعاً وأجمعه فاجتمع^(٢) .

فالتكافل الاجتماعي هو ((الذي يقوم به أفراد المجتمع وهو عبارة عن إعطاء القادر والمتمكن إلى من هو بحاجة للعطاء والمساعدة))^(٣) .

أن شعور الناس بالحرية المطلقة والاستمتاع إلى أقصى حد وشعورهم بالتححرر الوجداني والمساواة المطلقين ، كفيل بتحطيم المجتمع والفرد ، فللمجتمع توجد مصلحة عليا التي يجب بها أن تنتهي عندها حريات الأفراد ، وللافراد مصالح لا بد لها أن تقف عند حدود معينة في استمتاعه بحريتها حتى لا تسير مع شهواتها وغرائزها إلى الحدود المردية ، وحتى لا تصطدم حريتهم مع حريات الآخرين فتحدث النزاعات ، وتتحول الحريات نكالا وجحيماً ويقف كمال الحياة ونموه عند مصالحهم التي تكون قريبة الآماد ، فمنع الاسلام الحرية للأفراد والمساواة في انسانياتهم ، لكنه لم يتركهم فوضى ، فجعل للإنسانية اعتبارها وللمجتمع حسابه ولالأهداف الدينية قيمتها ، فقرر الاسلام التبعية الفردية التي تكون مقابل الحرية الفردية و،

(١) ظ : ابن منظور / لسان العرب / ٣٩٠٦ .

(٢) ظ : المصدر السابق / ٦٧٨ .

(٣) محمد الشيرازي / السلم والسلام / ١٦٨ .

وقرر مبدأ التبعية الجماعية التي بدورها تشمل الجماعة والفرد في تكاليفها ، وهذا ما يسمى بالتكافل الاجتماعي^(١) ، فجاء التكافل الاجتماعي في الاسلام بصور عدة وهي كالتالي :

١- تكافل الفرد مع ذاته ، فالفرد مكلف بأن يزكي نفسه ويطهرها وأن يسلك بها نحو النجاة والصلاح وأن ينهاها عن شهواتها وإلا يرمي بها التهلكة ، كما جاء في قوله تعالى : ﴿ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ ﴾ (البقرة: ١٩٥) ، وفي الوقت نفسه أن يمتنع بالحد الذي لا يفسد فطرتها ، ويمنعها من الراحة والعمل بحيث لا يضعفها ولا ينهكها ، فكل فرد ما كسبه وعمله لنفسه أن كان خيراً فخييراً وأن كان شراً فشرّاً أو حسنة أو سيئة ، فهو الذي يجزى عليها في الدنيا والآخرة ، لقوله تعالى : ﴿ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴾ (المدثر: ٣٨) ، فالفرد هو الذي يراقب نفسه ويهدها أن ضلت ويعطيها حقوقها المشرفة ، فالإسلام اقام من كل شخص شخصين يتلاحضان ويتراقبان ويتكافلان وفي الوقت ذاته منحه التحرر الوجداني وكذلك المساواة الإنسانية^(٢) .

٢- تكافل الفرد مع أسرته ، لقد دعم الدين الاسلامي الأسرة لتصبح وحدة قوية متماسكة متكافلة ، فبين احكامها كلها من الزواج والميراث والطلاق والاحكام الخاصة بالنفقات ، فالأسرة هي وحدة البناء الإنساني ، فالمجتمع لا يكون متماسكاً قوياً إذا الأسرة حُلّت فعندئذ يبنى المجتمع على الماديات ولا تكون فيه معنويات^(٣) ، فالأسرة تبني على الرحمة والمودة والإحسان إلى افرادها فمن الآيات الكريمة التي جاءت في هذا الصدد قوله تعالى : ﴿ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبُلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرُهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا * وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴾ (الاسراء: ٢٣-٢٤) ، ومن مظاهر التكافل الميراث الذي ينتقل من الميت إلى الحي ، وأيضاً من مظاهر التكافل الدعم داخل الأسرة بأن يعيل الغني أخاه الفقير العاجز الذي لا يقدر على العمل لمرض أو عاهة ، وكذلك الأنثى الغير متزوجة أو التي لا تستطيع العمل وكذلك طالب العلم^(٤) .

(١) ظ : سيد قطب / العدالة الاجتماعية في الاسلام / ٥٢-٥٣ .

(٢) ظ : المصدر السابق / ٥٤ .

(٣) ظ : ابو زهرة / التكافل الاجتماعي في الاسلام / ٦٠ .

(٤) ظ : المصدر السابق / ٦٢ .

٣-تكافل الفرد مع المجتمع ، أن الدين الإسلامي يهدف لتكوين المجتمع الفاضل الذي يظهر فيه الخير والصلاح ، وفيه يأمر الأفراد بالمعروف وينهون عن المنكر ، وهي القاعدة الاساسية في بناء المجتمع فهي إذ ما تمسكت بها الأمة الإسلامية أصبحت خير الأمم ، لقوله تعالى : ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ (ال عمران: ١١٠)، فالجماعة كلها تأثم إذ رأت الشر ولم تنكره ، فتترك الأشرار دون ردع يهدم المجتمع ، فالتكافل الاجتماعي هو أن يهدي الرشيد الضال ويوجب الدفاع عن الفضائل والأخلاق ، فينبغي على كل فرد أن يقوم ببناء المجتمع ويدعو إلى فعل الخير ، وكذلك يتجلى التكافل الاجتماعي من خلال مبدأ الأخوة في الدين^(١) ، كما جاء في قوله تعالى : ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ﴾ (التوبة: ٧١) .

وبهذا يكون التكافل الذي دعا إليه الإسلام نوعين هما :

١-التكافل المعنوي ، الذي يقوم على التراحم الذي يتصل بعلاقة الفرد بأسرته والأسرة بذوي القربى فهو يعتمد اساساً على الصلة الطبيعية ويمتد إلى جميع المجتمع .

٢-التكافل المادي ، الذي يقوم على مساعدة المتحابين والمعوزين لذلك أوجب الاسلام حقاً معلوماً لهم وأطلق عليه جملة من العناوين (الزكاة ، الانفاق قربة الله ، الصدقة) وأوجبه تعالى على الأغنياء بإعطائه للفقراء^(٢) .

الفرع الثاني : تحقيق الانجذاب بالتكافل الاجتماعي

أن التكافل الاجتماعي في الإسلام مفهوم شامل وواسع يشمل تربية الفرد وضميره وعقيدته فيهدف إلى تكوين شخصيته وتعديل سلوكه وينظم علاقته بأسرته وينظم العلاقات الاجتماعية كعلاقة الفرد بأقاربه ومع محيطه من الناس ويشمل أيضاً العلاقات الاقتصادية وينظم المعاملات المالية ، فهو نظام شامل واسع يشمل الجانب المادي والمعنوي .

فغاية التكافل التي جاء بها الإسلام إصلاح أحوال الناس ولكي يعيشوا حياتهم مطمئنين آمنين على أنفسهم وعقائدهم واعراضهم وأموالهم وليتوفر اسباب العيش الهائئ فيتحقق السلام

(١) ظ : محمد بن احمد الصالح / التكافل الاجتماعي في الشريعة الإسلامية / ٤٧-٤٨ .

(٢) ظ : عباس ذهيبات / التكافل الاجتماعي في مدرسة أهل البيت / ٧-٨ .

والاستقرار^(١) ، فالتكافل يجعل المجتمع كأسرة واحدة ، فعندما يقوم الفرد بعمل ما داخل مجتمعه فهو يقدم خدمة لجميع المجتمع ، وعلى المجتمع حقاً له إذ ما احتاجه في حاجة ما ، فالفرد يشعر إذ ما استجاب المجتمع له وقضى حاجته وأدى مطلبه فهو يشعر حينئذ انه فرد صالح في المجتمع ولا يخاف بعد ذلك بالنوائب التي تحل به فهو يعلم أن هناك من يهتم به وينفق عليه ويبدل له المال ، فالمجتمع إذ ما تكفل جميعه بالأعمال فلا يوجد عبء اقتصادي يقع على احد وحينئذ تصبح الأمور يسيرة لأنها توزعت على الكل ، وأيضاً تكمن اهميته في القضاء على الانحراف والجريمة التي تظهر نتيجة الجوع والفقر والحرمان فالجائع لا يبقى لديه استقرار روحي ونفسي ولا يملك الاستطاعة في القيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وأيضاً سيحقد على المجتمع بأكمله وبهذه الحالة سيرتكب الجريمة لذلك يقدم التكافل الاعانة التي بدورها تقضي على كل هذه الأسباب^(٢) .

فالإسلام عندما وضع التكافل الاجتماعي يهدف من وراء ذلك إلى ارتقاء الفرد وسموه إلى أعلى مدارج الاخلاق والسلوك في التعامل مع الغير وتحقيق الرخاء في المجتمعات وهذا لا يكون إلا من خلال مد يد العون والمساعدة للمحتاجين في مواجهة مصاعب الحياة ، لذلك حث القرآن الكريم الناس في كثير من الآيات إلى التكافل الاجتماعي ، لذلك عني بتربية سلوك الافراد وروحهم وضميرهم وشخصيتهم ووضع نظاماً محكماً لتكوين الأسرة وتكافلها وتنظيم العلاقات الاجتماعية والاقتصادية والمعاملات المالية التي تسود المجتمع^(٣). فيكون التكافل الاجتماعي الذي وضعه الاسلام يقوم في الاساس على الفكر والعقيدة لذلك اول ما حث عليه من خلال دعوته إلى مكارم الاخلاق ، فيكون التكافل مبني على أساس التعاون بين المؤمنين لا القوة والشر ، وبهذا يكون من احد الأساليب التي استخدمها القرآن الكريم في جذب الناس إلى الدين الإسلامي لأنه يدعو إلى الوحدة والتآزر والتعاون كما ذكرنا ، فيكون المجتمع كالجسد الواحد إذ ما اشتكى به عضوٌ تداعت له جميع الأعضاء بالسهر والحمى^(٤).

(١) ظ : عبد الله ناصح علوان / التكافل الاجتماعي في الاسلام / ١٤-١٥ .

(٢) ظ : محمد الشيرازي / السلم والسلام / ١٧١ .

(٣) ظ : عباس ذهيبات / التكافل الاجتماعي في مدرسة أهل البيت / ٨-١١ .

(٤) ظ : رحيم علي صياح / فلسفة التكافل الاجتماعي عند الإمام علي / ١ .

فيظهر أن التكافل الذي دعا إليه الإسلام شامل واسع فهو يهتم بالسلوك الطبيعي للفرد وينظم ارتباطه بأسرته وأقاربه ومجتمعه ، فيكون التكافل الذي دعا إليه نوعين : الأول الروحي الذي يقوم على التراحم واحترام الآخر وتقديم النصح والآخر المادي الذي يبنى على مساعدة الغني للمحتاج وأن لا يترك الفقراء يصارعون الحياة وحدهم، فيكون هدفه من ذلك تكوين مجتمع فاضل يحس فيه كل فرد أن عليه واجبات تجاه مجتمعه عليه أن يؤديها بكل حب واحترام وأن له حقوقاً على المجتمع أن يؤديها له بالمقابل، فيكون على الجميع دفع كل أنواع الضرر الذي يقع عليهما ، فهنا يبنى المجتمع على أسس سليمة تكون الغاية اصلاح احوالهم يعيشوا حياتهم آمنين مطمئنين .

المطلب الثامن : الانجذاب بوسيلة (الزكاة)

الفرع الأول : بيان وسيلة (الزكاة)

الزكاة هي الزيادة والنماء ، يقال زكا الزرع اي ازداد ونما^(١) .

لذلك سميت الزكاة لأنها يربو منها زيادة المال ونمائه وقيل يريد منها الطهارة ، كما جاء في قوله تعالى : ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا ﴾ والأصل في ذلك كما قال ابن فارس (ت٣٩٥هـ) راجع إلى المعنيين السابقين (النماء والطهارة)^(٢) .

الزكاة : هي ((النمو الحاصل عن بركة الله تعالى ويعتبر ذلك في الأمور الدنيوية والآخروية ، ومنه الزكاة لما يخرج الإنسان من حق الله تعالى إلى الفقراء وتسميته بذلك لما يكون من رجاء البركة أو تزكية النفس أو لهما جميعاً))^(٣) .

الزكاة في القرآن الكريم

وردت مادة الجذر اللغوي (زكو) في القرآن الكريم في ستين موضعاً^(٤) ، ويراد بها كما جاءت في الشريعة الإسلامية ثلاثة أنواع وهي كالتالي :

(١) ظ : الفراهيدي / العين ، ٣٩٤/٥ .

(٢) ظ : مقاييس اللغة / ١٧/٣ .

(٣) الراغب الأصفهاني / المفردات في غريب القرآن / ٢٨٢ .

(٤) عبد الباقي / المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم / ٣٣١ .

١-زكاة النفس ، كما جاء في قوله تعالى : ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا * قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ﴾ (الشمس: ٧-٩)، ويراد بها تطهير النفس من الكفر والشرك والمعاصي والذنوب والنفاق والأخلاق الذميمة .

٢-زكاة البدن ، والمقصود به زكاة الفطرة وقد فرضت على الكبير والصغير وكلا الجنسين الذكر والأنثى .

٣-زكاة الأموال ، التي تطهر النفس والمال وتبعث البركة فيهما ولقد قرنت في العديد من الآيات بالصلاة ^(١) ، لقوله تعالى : ﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ﴾ (المزمل: ٢٠) .

الفرع الثاني : تحقيق الانجذاب بالزكاة

إنّ تلفظ الفرد بالشهادة وإقراره بالعبودية فشرط اتمام وفائه أن لا يبقى في قلبه سوى محبوب واحد ، فالمحبة لله لا تقبل الشراكة فأمّتن تعالى درجة الحب عند العبد بمفارقتها محبوباته ، فالأموال عند الناس من المحبوبات لأنها تنعمهم بالدنيا وبها يأنسون بالعالم لذلك قال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةَ ﴾ (التوبة: ١١١)، فالزكاة تظهر درجة حب العبد لربه ومن آثارها أيضاً تطهر الأفراد من البخل الذي يكون من المهلكات لهم فهي تزول عن الفرد هذه الصفة وتجعله يتعود على بذل المال ، فحب الفرد للمال لا ينقطع إلا بمفارقتها حتى يصبح عنده اعتيادياً ، فأنفق المال بهذا المعنى تطهر أصحابها من البخل المهلك وطهارته يكون بقدر ما يبذله وبقدر استبشاره وفرحه بصرفه إلى الله (عزّ وجلّ) ^(٢) .

فهي تزكي اخلاق الأفراد وتنميها وتطهرهم من الأخلاق الرذيلة وتجعلهم يتصفون بأوصاف المحسنين الكرماء وهي تفرح النفس وتشرح الصدر وتدفع عنهم البلايا والأسقام وهي أيضاً تنمي الثواب والأجر أضعافاً مضاعفة بقدر إيمان أصحابها واخلاصهم ، وهي أيضاً تنمي المال الذي اخرج منه وتدفع عنه الآفات وتجعل به البركات الإلهية ، لقوله تعالى : ﴿ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴾ (سبأ: ٣٩)، وتجربة المؤمنين خير شاهد

(١) ظ : سعيد بن علي القحطاني / منزلة الزكاة في الإسلام في ضوء الكتاب والسنة / ٦ .

(٢) ظ : شبر / الأخلاق / ٦٣-٦٤ .

على ذلك فما انفقوا من نفقة في سبيل الله وفي محلها إلا وصب تعالى عليهم الرزق وأنزل لهم البركة ويسر عليهم اسباب الرزق^(١) .

وهي حق للجماعة تكون في اعناق الأفراد لتكفل للجماعة كفايتهم وهي بذلك تحقق جانباً من مبدأ الإسلام العام ، لقوله تعالى : ﴿ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ ﴾ (الحشر: ٧) فالإسلام يكره للبشر الحاجة والفقر ، فالفرد حين يعمل يستطيع أن ينال كفايته من جهده وحين يعجز يناله من المجتمع .

فالإسلام كره الحاجة والفقر للبشر لأنه يريد اعفائهم من ضرورات حياتهم المادية ليتفرغوا إلى ما هو اعظم من ذلك وأليق بإنسانيتهم وكرامتهم التي خصها تعالى لهم ، لقوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾ (الاسراء: ٧٠) ، فتعالى كرم الإنسان بالأشواق الروحية والعاطفية والعقل ، فإذا لم تتوفر له ضرورات الحياة بما يتيح له الجهد والوقت للأشواق الروحية وللمجالات الفكرية فيكون قد سلب منه التكريم^(٢) ، فانه تعالى قد جعل الإنسان خليفته في الأرض لينمي حياته فيها ويرقيها ويجعلها بهيجة ناضرة فيستمتع بعد ذلك بجمالها ويشكر الله تعالى على نعمة التي اعطاها له ، لذلك كره تعالى أن تكون الفوارق بين الناس بأن يعيش جماعة منهم في الترف والأخرى تعيش في الشظف ويتجاوز الشظف إلى مستوى الحرمان والجوع وبهذا لا تكون أمة مسلمة ، ويكون من وراء ذلك تولد الأضغان والأحقاد ويتحطم المجتمع لما يكون من قسوة وجشع الذي يفسد الضمير والنفس وما يولد إلى اضطرار المحتاجين إلى اعمال السرقة والغصب أو الذل أو بيع كرامته وشرفه وهذا كله لا يريده الإسلام أن يكون في جماعته^(٣) . والإسلام أيضاً يكره أن تكون دولة للأغنياء في أمتة والكثرة لا تجد ما تنفقه فينتهي بها إلى تجميد حياتهم وعملهم ، على العكس عندما تكون الأموال بأيدي اكبر عدد من الناس مما يجعلهم ينفقونها في شراء متطلبات الحياة فيؤدي إلى الإقبال على السلع وبهذا يكثر الإنتاج وتكثر الأيدي العاملة وهنا تدور عجلة الحياة دوراتها المجدية المثمرة ، ولهذه المعاني

(١) ظ : السعدي / الرياض الناضرة والحدائق النيرة الزاهرة / ٢٠ .

(٢) ظ : سيد قطب / العدالة الاجتماعية في الإسلام / ١١٤ .

(٣) ظ : المصدر السابق / ١١٥ .

ولغيرها شرع تعالى الزكاة وجعلها حقاً لمستحقيها ولا تكون تفضلاً من مخرجيها ^(١). فالزكاة هي الركن الثالث التي وضعها تعالى للدين الإسلامي وبني الإسلام عليها وقرنها تعالى في كتابه الكريم بالصلاة في العديد من الآيات الشريفة فهذا يدل على عظمتها ومكانتها في الدين ، فهي تمتحن قلب المؤمن ومدى تضحيته في سبيل الله تعالى بماله وتطهره من الشح والبخل وتربي في نفسه الكرم والسخاء ، فهي لها آثار على الفرد وكذلك آثار على المجتمع من خلال تكافلهم ومساعدة بعضهم البعض فهي تجعل المصلحة الخاصة للفرد مكملة للمصلحة العامة للمجتمع ، وتجعل الفرد المسلم متضمناً مع مجتمعه المسلم فهي نظام اجتماعي مالي يعمل على بث روح التعاون والألفة والمحبة ويسود الأمن والأمان في المجتمع .

(١) ظ : المصدر نفسه / ١١٥ .

المبحثُ الثاني : الوسائل المحدّدة للغريزة الإنسانية

المطلب الأول : الجذب بوسائل (الحدود)

الفرع الأول : بيان وسائل (الحدود)

الحد له أصلان الأول المنع والآخر طرف الشيء ، فالحدّ ، يكون الحاجز بين الشيئين ، فيقال فلان محدود بمعنى أنه كان ممنوعاً ، وللرباب يقال حداد بمعنى أنه يمنع الناس من الدخول ، وحدث المرأة إذ منعت عن نفسها الخضاب والزينة ، ويقال أيضاً حد العاصي لأجل أن يمنع عن المعاودة^(١) .

فالحدود ((عقوبة خاصة تتعلق بإيلاام البدن بواسطة تلبس المكلف بمعصية خاصة ، عين الشارع كميتها في جميع أفرادها))^(٢) .

وردت كلمة (حدود) في القرآن الكريم أربع عشرة مرة وبصيغتين هما (حُدُود ، وحُدُودُه)^(٣) ، وجاء استعماله في القرآن الكريم بمعنى الأحكام التي حددها وقدرها (عزّ وجلّ) والتي لا يجوز التجاوز والتعدي عليها ، لقوله تعالى : ﴿ فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ حَتَّىٰ تَكْتَحِ زَوْجًا غَيْرَهُ فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَتَرَاجَعَا إِنْ ظَنَّا أَنْ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ (البقرة: ٢٣٠) ، ﴿أَحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّقْتُ إِلَىٰ نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ فَالآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتُمُوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرِبُوهَا ﴾ (البقرة: ١٨٧) ، فالحد الذي استعمل في القرآن جاء بمعنى الأحكام والأوامر والنواهي ولم تكن بمعنى العقوبة^(٤) .

وأن الله تعالى أمر عباده بطاعته وفعل ما أمرهم به واجتناب ما نهاهم عنه ، فوضع حدوداً لمصالحهم ووعد بالسعادة والفوز بالجنة لمن أطاعه والعقاب والنار لمن عصاه ، فمن قارف

(١) ظ : ابن فارس / مقاييس اللغة ، ٤-٣/٢ .

(٢) الشهيد الثاني / مسالك الأفهام الى تنقيح شرائع الإسلام ، ٣٢٥/١٤ .

(٣) ظ : عبد الباقي / المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم / ١٩٥ .

(٤) ظ : مؤسسة دائرة المعارف فقه اسلامي / موسوعة الفقه الإسلامي طبقاً لمذهب أهل البيت ، ١٠/٣٨ .

الذنوب فباب التوبة مفتوح أمامه ومن جاوز وتعدى الحدود فلا بد من أن يقام عليه الحد لتكبح جماح شهواته ، فالشريعة الإسلامية قد حددت هذه الحدود وهي كالتالي :

الزنا ولواحقه من (اللواط والسحاق والقيادة) والقذف وسب النبي وادعاء النبوة والساحر : فوضع الشارع عقوبة لهم تتنوع بين القتل والرجم والجلد والتغريب ، فتتوزع العقوبة حسب علم الفرد بالتحريم واختياره وبلوغه بالإضافة إلى أنه إن كان محصناً أو غير محصن ، وثبتت بالشهادة أو الإقرار ، ولقد فصلها علماؤنا الأبرار فلا مجال لذكرها^(١) .

تناول الفرد المسكر أو الفقاع وأن يكون عالماً بالتحريم مختاراً والمتناول كاملاً فتكون عقوبته الجلد ، وثبتت بالشهادة أو الإقرار وفيه تفصيل أيضاً .

السرقعة وفي السارق شروط وهي البلوغ ، العقل ، وارتفاع الشبهة والشركة ، وأن يهتك الحرز مشتركاً كان أو مفرداً وأن يخرج به نفسه أو يكون مشاركاً ، وأن لا يكون المسروق والدًا لولده ، وأن يكون ما يأخذه سرّاً ، وكذلك شروط في المسروق ، وثبتت بالشهادة أو الإقرار ، وفي عقوبتها قطع الكف من أطراف الأصابع للفرد وتكون يده اليمنى ولو كرر السرقعة مرة ثانية تقطع رجله اليسرى ويكون القطع من مفصل القدم ولو كرر مرة ثالثة يحبس وإذا كرر ذلك بعد يقتل ، وفيها تفصيل أيضاً .

المحارب الذي يخيف الناس بالسلاح برّاً كان أو بحراً وثبتت بالشهادة أو الإقرار ويكون الحد أما بالقتل أو الصلب أو يكون القطع مخالفاً أو يكون النفي من الأرض^(٢) .

الفرع الثاني : تحقيق الانجذاب بالحدود

إنَّ عقوبات الحدود التي وضعت في الشريعة الإسلامية أنها لم توضع اعتباطاً ولم تجيء ارتجالاً بل أنها جاءت نتيجة الفهم الصحيح لعقلية الإنسان وتكوينه وتقدير حكيم ودقيق لعواطفه وميوله وغرائزه ، ووضعت من أجل حفظ مصلحة الجماعة والفرد ، فهي عقوبات دقيقة علمية تشريعية ، فتكون علمية لأن تعالَى وضعها على أساس علمه بالنفس الإنسانية ،

(١) ظ : المحقق الحلي / شرائع الإسلام في مسائل الحلال والحرام ، ٣٩٤/٤ .

(٢) ظ : المصدر السابق ، ٤١٢/٤-٤٢٥ .

وعقوبات تشريعية لأن تعالى شرعها لمحاربة الجريمة ، وهذا ما امتازت به العقوبات التي وضعها تعالى ولا تكاد توجد هذه الميزة في العقوبات التي يضعها الإنسان ^(١).

ولا ريب في ذلك أن العقوبات التي توضع على أساس فهم نفسية المجرمين هي التي تنجح لأنها تحارب الإجرام الذي يكون في نفوس الأفراد وبذات الوقت تحفظ مصلحة الجماعة ، فهي إذاً أعدل العقوبات فهي لا تظلمهم ولا تهضمهم ولا تحملهم ما لا يطيقون في سبيل الجماعة ، فهي لا تظلم لأنها بنيت على أساس قدرتهم واشتقت من طبيعتهم ونفسياتهم ، وهي عادلة للجماعة أيضاً لأن عدالتها التي تكون للفرد هي عدالة لمجموعهم ، فهي لا تضحي بحقوق المجتمع في سبيل الأفراد لأن العقوبات التي تحابى الفرد على حساب المجتمع فهي تضحي بذات الوقت بالفرد والجماعة لأن ذلك يؤدي إلى انحلال الأمن وزيادة الجرائم وبعد ذلك ينحل المجتمع .

فعقوبات الحدود التي وضعتها الشريعة الإسلامية هي صالحة في كل زمان ومكان ^(٢) ، فيكون المقصد من تشريع الحدود هو التأديب من أجل إصلاح أفراد المجتمع ، لقوله تعالى : ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جِزَاءً بِمَا كَسَبَا﴾ (المائدة: ٣٨)، فعند إقامة العقوبة يزول الخبث الموجود في نفوس الجانين الباعث لهم على الجناية ، والذين يظنون أن عمل الجنايات أرسخ في نفوسهم إذ أنه بعد أن كان نظرياً أصبح عملياً ، ولذلك (عز وجل) بين عند إقامة الحد ، لقوله تعالى : ﴿فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ﴾ (المائدة: ٣٩)، فقصدت الشريعة الإسلامية من الحدود هو إزالة خبث الجاني وإزجار الناس ، لقوله تعالى : ﴿وَلْيَشْهَدْ عَذَابُهُمَا طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (النور: ٢)، فعند مشاهدة إقامة الحدود سوف ينزجر الناس ويتعظون ويشيع حديثهم ويعتبر غيرهم من بعدهم ، فهو راجع إلى إصلاح المجتمع ، فإن إقامة العقاب على وفق قواعد معلومة سوف يبيئ أهل الدعارة على إرضاء نفوسهم الشيطانية بارتكاب الجنايات ، وهي لا تقبل العفو على من أقدم على الزنا وشرب الخمر والسرقة والحراقة لأنه انتهاكاً عاماً لكيان التشريع ^(٣) .

(١) ط : عبد القادر عودة / التشريع الجنائي الإسلامي مقارناً بالقانون الوضعي ، ٦٤٤/١ .

(٢) ط : المصدر السابق ، ٦٤٤/١ .

(٣) ط : ابن عاشور / مقاصد الشريعة الإسلامية / ٣٥٨-٣٦٠ .

فالشريعة الإسلامية رحمة لجميع البشر فهي رحمة عندما وضعت هذه الحدود ورحمتها لم يكن مرادفًا للتسامح والرفق بل أنها لا ترحم من لا يرحم الناس ، فهي تقوم على العدالة والقسط وهذا ما تشير إليه آيات القرآن الكريم ، لقوله تعالى : ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ ﴾ (الحديد: ٢٥) ، وهذا قانون عام في جميع الشرائع السماوية ، ولهذا شرع تعالى العقوبات الرادعة لمن تعدى وجاوز الحدود ، فهذه العقوبات رحمة حتى يعيش الناس حياة مطمئنة هادئة سعيدة ، لا توجد فيها الآثام ولا العدوان ولا الفساد (١).

فيكون الغرض من تشريع عقوبات الحدود هو إصلاح حال البشر وحمايتهم من المفساد وإرشادهم من الضلالة واستنقاذهم من الجهالة وبعثهم على الطاعة وكفهم عن المعاصي ، فيكون العقاب لأجل حملهم على ما يكرهون ما دام يؤدي إلى مصالحهم وصرفهم عما يشتهون ما دام يؤدي إلى فسادهم ، فيكون تشريع الأحكام ووضع العقوبات مقرر لإصلاح الفرد وأيضًا لحماية الجماعة وصيانة نظامها ، وما دامت عقوبات الحدود تحقق هذا الغرض فهي تمنع الكل من الجريمة قبل وقوعها ، فالعقوبة تؤدب الجاني وتزجر غيره في حال أن يريد التشبه به وسلوك طريقه ، فهي تكون موانع قبل الفعل وزواجر بعده ، وهي تأديب للمجرم أيضًا وليس الغرض من تشريعها الانتقام منه وإنما استصلاحه فتشريعها رحمة من الله تعالى لعباده (٢).

فجرائم الحدود تمس كيان المجتمع مساسًا شديدًا لذلك وضعت الشريعة عقوبات مقدرة وليس للقاضي أن يزيد فيها أو ينقص منها أو يستبدل بها غيرها ، فمن يرتكب الجريمة تصيبه العقوبة المقدرة دون النظر إلى رأي المجني عليه أو شخصية الجاني ولا يوجد حق لولي الأمر أن يعفو عنها بأي حال من الأحوال لذلك اتجهت الشريعة الإسلامية إلى إهمال شأن المجرم إهمالًا تامًا من أجل حماية الجماعة ، لذلك شددت العقوبة وجعلتها مقدرة ، وعلة التشديد فيها أن التساهل بها يؤدي إلى فساد المجتمع وتحلل الأخلاق واضطراب النظام وزيادة

(١) ط : أبو زهرة / الجريمة والعقوبة في الفقه الإسلامي / ٧ .

(٢) ط : عبد القادر عودة / التشريع الجنائي الإسلامي مقارنًا بالقانون الوضعي ، ١/ ٦١٠-٦١١ .

الجرائم وهي نتائج إذ ما ابتليت بها الأمة تؤدي إلى تفرق شملها واختلال نظامها فالتشديد من أجل حفظ الأمن والنظام والبقاء على الأخلاق^(١).

فعقوبات الحدود هي تتفق مع الأخلاق الفطرية التي فطر تعالى عليها الإنسان فأصحاب الفطرة السليمة لا يرضون بالزنى وقذف المحصنات والسرقه وقطع الطريق وشرب الخمر ، فالحدود الإسلامية تتجه نحو الفضيلة وبهذا تختلف عن العقوبات الوضعية التي توضع من خلال ما تعارفوا عليه وأوضاعهم وأنها تتجه نحو حماية الشخصيات الكبرى في الدولة وما ينتفع مع مصالحهم على العكس تماماً من العقوبات الإسلامية التي تتجه نحو الفضائل وتمنع الرذائل وقضي عليه .

فجرائم الحدود جرائم خطيرة فهي تمس نظام المجتمع وكيانه بأكمله ، لذلك حدد تعالى عقوبات خاصة لها وجعل عقوباتها لا تقبل السقوط والشفاعة ، وفي ذات الوقت بأن تنفذها يؤدي إلى إيذاء البدن والموت فشدد تعالى في تطبيقها فجعل لها شروط خاصة لا يمكن أن تنفذ العقوبات ما لم تتحقق شروطها ، فهذا يدل على رحمة الشريعة الإسلامية بالبشر فهي لا تريد الانتقام منهم إنما تهدف الى إصلاح الفرد والتوجه به نحو جادة الحق وتخويله لضمان أمن المجتمع واستقراره فيكون هدفها الحفاظ على دين البشر وعقولهم وعرضهم ونفسهم ومالهم ، وبهذا يحفظ أمن الأمة ، فيكون الهدف الأسمى هو تطهير الفرد من داخله وإصلاحه في الدنيا والفوز برضا الله تعالى ودخوله الجنة في الآخرة .

(١) ط : عبد القادر عودة / التشريع الجنائي الإسلامي مقارناً بالقانون الوضعي ، ٦١٢-٦١٣ .

المطلب الثاني : الانجذاب بوسائل (التعزيرات)

الفرع الأول : بيان وسائل (التعزيرات)

التعزير يقصد به الضرب الذي يكون دون الحد^(١) ، ويدل أيضًا على التأديب^(٢) ، فالتعزير هو ((الذي لم تقدر عقوبته))^(٣) .

وردت مادة (عزر) في القرآن الكريم اربع مرات^(٤) ، ولم ترد بمعنى الضرب أو التأديب إنما جاءت بمعنى النصرة مع التعظيم ، كما جاء في قوله تعالى : ﴿ وَتَعَزَّزُوا ﴾ و﴿ عَزَّزْتُهُمْ ﴾ وجاء بمعنى اسم النبي عزير (عليه السلام) ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ ﴾^(٥) .

إنّ الشريعة الإسلامية لم تضع لجميع الجرائم عقوبات معينة كما هو موجود في القوانين الوضعية ، فتقييد القاضي بعقوبات مخصصة سوف يمنع العقوبة من تأدية وظيفتها ويجعلها غير عادلة في العديد من الأحوال ، فهناك الاختلاف البين بين ظروف المجرمين وجرائمهم ، فما يصلح بعض المجرمين قد يفسد مجرمين آخرين وما يردع مجرمين عن جرائم معينة قد لا يردع غيرهم .

ولهذا تركت الشريعة الإسلامية القاضي الحرية أن يختار العقوبات الملائمة للجرائم المختلفة التي يراها كفيلة باستصلاح الجاني وتأديبه وحماية الأمة من الجرائم ، وله أن يعاقب أيضًا بأكثر من عقوبة واحدة وله الحرية في ايقاف تنفيذ العقوبة عندما يرى ما يكفي باستصلاح الجاني وتأديبه وردعه .

(١) ظ : ابن فارس / مقاييس اللغة ، ٣١١/٤ .
(٢) ظ : الجوهري / تاج اللغة وصحاح العربية / ٧٦٤ .
(٣) السيوري / التنقيح الرائع لمختصر الشرائع ، ٣٢٧/٤ .
(٤) ظ : عبد الباقي / المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم / ٤٥٩ .
(٥) ظ : الراغب الأصفهاني / المفردات في غريب القرآن / ٤٣٣-٤٣٤ .

فنجذ في الشريعة الإسلامية هنالك بعض العقوبات التعزيرية المعينة ولا يعني ذلك أنه لا يمكن تغييرها ، بل تتسع العقوبات في الشريعة لكل ما يؤدي إلى اصلاح الجاني وتأديبه وحماية الأمة من الإجرام ، فقاعدتها العامة حماية الأمة وتأديب المجرمين واستصلاحهم وزجرهم^(١) .

ومن هذه التعزيرات التي ذكرت في القرآن الكريم المتخلفين الثلاثة عن غزوة تبوك ، كما جاء في قوله تعالى : ﴿ وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَفُوا حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾ (التوبة: ١١٨) ، فهم لم يكونوا من المنافقين لكنهم تخلفوا عن الغزوة ولم يفعلوا كما أمر الرسول (صلى الله عليه وآله) فهم قد تركوا الجهاد بغير عذر ، فهم قد أدركوا أنهم أخطأوا وارتكبوا ذنباً فقد ندموا على ذلك ولما رجع (صلى الله عليه وآله) اعتذروا إليه لكنه لم يكلمهم وأيضاً أمر المسلمين بعد تكليمهم فهنا قد قاطعهم حتى أولادهم ونسائهم لكنه (صلى الله عليه وآله) أمر عوائلهم بعدم الانفصال التام عنهم فالمتخلفون عاشوا في حصار اجتماعي فتركوا المدينة والتجأوا إلى الجبال هرباً من الذل والفضيحة ، فأهلهم كانوا يأتونهم بالطعام لكنهم لم يكلمونهم ابداً ، فقال الثلاثة لبعضهم فليقاطع كل منا الآخر لعل (عزّ وجلّ) يقبل توبتنا وبعد مرور خمسين يوماً من التوبة والتفرغ إلى الله تعالى قد قبلت توبتهم .

فهذه الحادثة تشير إلى نوع مهم من أنواع التعزير وهو السجن المعنوي الذي يقترن بالتشهير والتحقير والطرْد المؤقت ، فهو يحدث أثراً بالغاً في نفوس الأفراد وكان سبباً لهم في ترك الذنوب مستقبلاً^(٢) .

وما ورد بشأن احد الأنصار الذي جاءت به الآية الكريمة : ﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ * فَلَمَّا آتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ * فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ * أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ وَأَنَّ اللَّهَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴾ (التوبة: ٧٥-٧٨) ، فهو كان فقيراً يأتي دائماً إلى المسجد ويطلب من نبينا محمد أن يدعو الله (عزّ وجلّ) بإعطائه المال الكثير ، فهو يلحّ ويصرّ على رسول الله ويقسم بأنه يؤدي جميع الحقوق فدعا له (صلى

(١) ظ : عبد القادر عودة / التشريع الجنائي الإسلامي مقارناً بالقانون الوضعي ، ٦٨٥-٦٨٦ .

(٢) ظ : الشيرازي / نفحات القرآن ، ١٧٦/١٠ ، ١٧٧ .

الله عليه وآله) وبعد مضي فترة مات ابن عمه وورث ماله وبدأت تزداد ثروته يوماً بعد آخر ، وحين حل موسم الزكاة فهو لم يمتنع عن ادائها فحسب بل قام يشكل على أصلها ويقول أنها تشبه الجزية فنزلت الآية الكريمة في ذمه وفضح أفعاله ، فهي تعد تعزيراً شديداً وخسارة اجتماعية له (١) .

وأيضاً ما ورد بشأن الناشزات من النساء ، كما جاء في قوله تعالى : ﴿ وَاللَّائِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلاً ﴾ (النساء: ٣٤)، فالآية الكريمة اشارت إلى انواع ثلاثة من التعزيرات بشأن النساء اللاتي يمتنعن من اداء وظائفهن الزوجية (٢) .

الفرع الثاني : تحقيق الانجذاب بالتعزيرات

إنَّ التعزيرات هي استصلاح وتأديب وزجر الأفراد، وتختلف باختلاف احوال الذنوب والمعاصي نفسها ، فللقاضي له أن يتخير في العقوبة ما يناسب الأفراد أن كان من أهل الجريمة أو لم يكن من أهلها ، فله الحق في التدرج من أخف العقوبات إلى أشدها ، فبعض المجرمين قد ينصلح احوالهم بمجرد الزجر ، والبعض الآخر ينزجر بالحبس أو الضرب ، بالإضافة الى ذلك أن في التعزيرات مجال للشفاعة والعفو من قبل ولي الأمر على الجريمة التي يُعزر بها المتهم (٣) .

فالتعزيرات لها الكثير من الايجابيات والتي تكون وسيلة جذب للكثير ، فنوع العقوبة تختلف باختلاف الفعل فتكون بالكلام كالزجر والتوبيخ ، وتكون بالحبس ، وتكون بالنفي ، وتكون بإتلاف المال ، واحياناً تصل إلى الموت ، بالإضافة إلى ذلك فهي تناسب كل طائفة ، فتأديب أهل البذاءة والسفاهة يختلف عن تأديب أهل الصيانة .

فالتعزيرات لا تريد إهلاك الجاني قدر أن تريده اصلاحه ، وأنها لم تهمل الجاني فهي أخذت بنظر الاعتبار إلى المجرم هل هو من أهل الاجرام أو بالصدفة ، وأيضاً هي عظة

(١) ظ : الشيرازي / نفحات القرآن ، ١٧٨/١٠ .

(٢) ظ : المصدر السابق ، ١٨٠/١٠ .

(٣) ظ : أحمد فتحي بهنسي / العقوبة في الفقه الإسلامي / ١٢٩-١٣٠ .

للآخرين ، فتكون التعزيرات تتفق غالباً مع العقوبات الحديثة ، فهي تركت مجالاً واسعاً للقاضي في تقدير نوع العقوبة ^(١) .

فيلحظ إنَّ الشريعة الإسلامية لم تحدد الكثير من العقوبات للجرائم فهذا يدل على مرونتها بأن تركت للقاضي المجال الفسيح بأن يختار العقوبة الملائمة للجريمة بما يناسب الزمان والمكان وبما يتفق مع تعاليم الشريعة الإسلامية ويضمن حماية الفرد والأمة فهي تحمي المجرمين من تمادي سطوتهم الإجرامية وتمردهم فتردعهم وتحمي الأمة من المجرمين .

فالشريعة الإسلامية عندما اعطت المجال الواسع للقاضي كان الغرض منه معالجة ما يستجد من جرائم جديدة مع تطور احوال الناس فهذا يدل على عدلها بأن تركت الحرية للقاضي أن يختار بما يلائم نفسية المجرم وأحواله السابقة ونظام مجتمعه الذي يعيش فيه ، فهذا يدل على أن نظام الاسلام نظام شامل ملائم لجميع الأزمنة والأمكنة وأنها تراعي أحوال الأفراد بما يضمن نجاتهم في الدنيا والآخرة .

(١) ظ : : أحمد فتحي بهنسي / العقوبة في الفقه الإسلامي // ١٤٠ .

المطلب الثالث : الانجذاب بوسائل (الكفارات)

الفرع الأول : بيان وسيلة (الكفارات)

الكفارات مشتقة من الجذر اللغوي (كفر) ويدل على التغطية والستر ، وقيل للمزارع كافر لأنه يقوم بتغطية الحب بالتراب ، ويكون الكفر ضد الإيمان ذلك لأنه يغطي الحق ومنه أيضاً كفران النعمة اي بمعنى جحودها وسترها ^(١) . والاسم كفارة وتكفير اليمين اي أن يفعل الفرد ما يجب عليه بالحنث فيها^(٢) . فالكفارة هي ((العقوبة المقررة على المعصية بقصد التكفير عن إتيانها))^(٣) .

أن الأصل في الكفارة هي نوع من أنواع العبادة فهي تكون إما عتق رقبة أو اطعام مسكين أو تكون صوم ، فهي تكون على نوعين أما أن تكون تعبدية بأن تفرض على عمل ما لا يعتبر معصية فتكون عبادة خالصة من اطعام المسكين الذي يكون بدل عن الصيام للأفراد الذين لا يطبقون الصيام لأسباب حددها الشارع ، أو تكون عقوبة تفرض على عمل ما يعتبر معصية مثل الكفارة التي تفرض على القتل الخطأ ، فالكفارة تدور بين العقوبة والعبادة ويمكن أن تسمى عقوبة تعبدية .

فالكفارات التي فرضتها الشريعة الإسلامية متعددة وتختلف في أنواعها ومقاديرها وطرق تأديتها حسب نوع الجريمة التي يرتكبها الفرد فهي تكون (عتق رقبة ، أو اطعام المساكين ، أو كسوتهم ، أو صيام)^(٤) ، فالكفارات التي وضعت في الاسلام لتدارك المنغصة التي تحصل في الاعمال سواء كانت لذنوب أو لا ، لذلك قسمت الكفارات الى أربعة اقسام وهي كالتالي :

١-المرتبة ، وتكون ثلاثة الأولى الظهار ، كما جاء في قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَا ذَلِكَ تُوعِظُونَ بِهِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ * فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَا فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَاِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ﴾ (المجادلة: ٣-٤) ، وكذلك كفارة القتل الخاطئ ، كما جاء في قوله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ

(١) ظ : ابن فارس / مقاييس اللغة ، ١٩١/٥ .

(٢) ظ : الجوهري / تاج اللغة وصحاح العربية / ١٠٠٤ .

(٣) عبد القادر عودة / التشريع الجنائي الإسلامي مقارناً بالقانون الوضعي ، ٦٨٣/١ .

(٤) ظ : المصدر السابق ، ٦٨٣/١ .

لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَأً وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَّةٌ مُسْلَمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ
إِلَّا أَنْ يَصَدَّقُوا فَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ
بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ فَدِيَّةٌ مُسْلَمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ
مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِنَ اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٩٢﴾ (النساء: ٩٢)، فتكون كفارتها عتق رقبة ، فإن
حدث العجز يكون صيام شهرين متتابعين ، وإن حدث العجز في ذلك تكون اطعام ستين
مسكيناً ، وهذا ما بينته السنة الشريفة أيضاً ، والثالثة من صام قضاء شهر رمضان وأفطر بعد
الزوال فكفارته تكون اطعام عشرة مساكين وإن عجز عن ذلك يكون صيام ثلاثة أيام
متتاليات.

٢-المخيرة ، وتكون ثلاثة أيضاً من أفطر بشهر رمضان بأسباب معينة نحيل ذكرها الى كتب
الفقه ، وكذلك كفارة حنث العهد وأيضاً المرأة التي تجز شعرها في المصائب وتكون كفارتهم
عتق رقبة أو تكون صوم شهرين متتابعين أو تكون اطعام ستين مسكيناً ، فالناس يكونون
مخيرين بينهن^(١) .

٣-كفارة ما اجتمع الأمرين فيهما ، وتكون في حنث اليمين ، كما جاء في قوله تعالى : ﴿ لَا
يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشْرَةِ مَسَاكِينَ
مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعَمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ذَلِكَ
كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ ﴾ (المائدة: ٨٩)، وكذلك حنث النذر ، والمرأة التي
تنتف شعرها وتقوم بخدش وجهها عند تعرضها للمصاب والرجل الذي يقوم بشق ثوبه في
موت زوجته أو ولده وتكون كفارته اطعام أو كسوة عشرة مساكين أو عتق رقبة فإن لم
يستطيع ذلك فيصوم ثلاثة ايام .

٤-كفارة الجمع وتكون لمن قتل مؤمناً متعمداً وظلماً وكذلك الإفطار بمحرم في شهر رمضان
، فتكون الكفارة العتق وأيضاً صيام شهرين متتالين وكذلك اطعام ستين مسكين^(٢) .

(١) ظ : السبزواري / مهذب الاحكام في بيان الحلال والحرام ، ٣٢٨/٢٢-٣٢٩ .
(٢) ظ : المصدر السابق ، ٣٢٩/٢٢-٣٣٣ .

الفرع الثاني : تحقيق الانجذاب بالكفارات

إنَّ الشريعة الإسلامية شريعة سمحة تهدف من تشريعاتها المقدسة اصلاح ما يصدر من الإنسان من المخالفات لأوامر الله تعالى فالإنسان في كثير من الأحيان يكون معرض مكائد الشيطان فيضعف إيمانه فيرتكب الخطأ ، لكن الله تعالى غفور رحيم فباب توبته مفتوح للجميع فجعل الكفارات لإصلاح الأخطاء البشرية وجبرها كالحنث في اليمين والإفطار متعمداً في شهر رمضان ، فتعالى شرع الكفارات تحقيقاً للامتثال والانقياد وتعظيماً لأصل العبادة ، ومهابةً لها وعدم التهاون بها ، بالإضافة إلى أن الكفارات تكون لأجل إراحة النفس الإنسانية من هموم التفكير في التعدي على الغير وارتكاب المعصية والانحراف ، وكذلك تهدف إلى زجر المخطئين حتى لا يكرروا ممارسة الخطأ ثانية .

وفي هذا يكون التشريع من أجل إصلاحهم وتربيتهم وتهذيب سلوكهم وابعادهم عن التشوق لفعل المعاصي وكراهة تكرارها ومعاودتها^(١) .

يتبين من ذلك أن مقصد الشريعة الإسلامية من وضعها للحدود والتعزيرات والكفارات من أجل حفظ النظام في الأمة وصلاحها والذي يتحقق بصلاح الفرد في عقله وعمله ومع الموجودات حوله وهذا ما نجده في جميع الشرائع السماوية كما جاء في قوله تعالى : ﴿ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ﴾ (الاعراف:٥٦)، ﴿ وَلَا تَعْتَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾ (الاعراف:٧٤)، ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ ﴾ (الاعراف:١٤٢) ^(٢)، فالشريعة الإسلامية لا تريد صلاح عقيدة وعبادة الفرد فقط إنما تريد أيضاً صلاح الفرد والأمة وتعاملهم مع بعضهم وحياتهم الاجتماعية لذلك وضعت العقوبات التي تحد من الفساد وتردعهم فشرعت الحدود والتعزيرات والكفارات فصالح الفرد يكون بصلاح الأمة لذلك عالجت أولاً من الباطن فباطن الفرد هو الذي يحرك الإنسان نحو الصلاح والفساد^(٣) .

(١) ظ : نور الدين بن مختار الخادمي / علم المقاصد الشرعية / ١٧٤ .

(٢) ظ : ابن عاشور / مقاصد الشريعة الإسلامية / ١٠٣ . .

(٣) ظ : المصدر السابق / ١٠٥-١٠٦ .

وبذلك شرعت الأحكام ودعتهم إلى إقامة القسط والعدل وهدايتهم إلى طريق الأمن والأمان وبذلك يتمكنون من كسب الفضائل وايضاً يتخلصون من الرذائل ويسيرون نحو الله تعالى وهو المقصد المهم من خلق الإنسان ، فالأحكام الإلهية وحدها لا تستطيع أن تؤثر في نفوس الناس فكان لابد أن تقترن بالتبشير والأنذار الآخروي ، والآخروي وحده لا يمكنه ردع الكثير من الناس من ارتكابهم المخالفات وأداء الواجبات فكان أيضاً لا بد أن يقترن بالمجازات الدنيوية فوضع الأحكام دون العقوبات لا تكفي في تربية الأفراد فكان من الضروري وضع العقوبات الدنيوية لذلك شرع تعالى الحدود والتعزيرات والكفارات ليتحقق صلاح الفرد والمجتمع ويعم الأمن والأمان لذلك قصدت الشريعة أولاً لحفظ المصالح الخمس للإنسان (الدين ، النفس ، العقل ، العرض ، المال) فوضعت بعض العقوبات وحددت مقدارها وتركت بعض الجرائم التي تستحدث مستقبلاً والتي تختلف باختلاف الزمان والمكان ودوافع الأفراد ومحيطهم الاجتماعي إلى القضاة لتكون الشريعة الإسلامية دائمة ومستمرة مع تطور الأفراد وكثيراً ما تكون العقوبات عامل جذب للدين الإسلامي أكثر من التشريعات الأخرى فهي تردع شهوة الأفراد وتماديهم على الآخرين وتردعهم وتعيدهم إلى جادة الصواب .

فيظهر إنَّ الوسائل التي جاءت في القرآن الكريم هي تهدف لتحقيق مصالح الناس أجمع في الدنيا والآخرة ، فهي تعتبر منهاجاً ومبادئاً للحياة للإنسانية ، فهي نظم أخلاقية اجتماعية اقتصادية بالإضافة الى ذلك موافقتها للغريزة الإنسانية ، فهذا يدل على كمال وشمول الدين الإسلامي ، فهو نظام متكامل وتشريعاته تكفل للناس سعادتهم وصلاحهم في الدنيا والآخرة ، فالوسائل التي جاء بها الدين الإسلامي ليست بنكاية ولا جافة بل تهدف إلى كبح جماح النفس البشرية وتهذيبها وللمحد من النزعات الفردية وعدم سيطرة الأهواء على الأفراد ، وحتى لا يتصارع البشر بينهم ويعتدي بعضهم على البعض فيسيطر قويمهم على ضعيفهم ، بل هي وسائل تدعو إلى زيادة التعاون والتآخي والتكافل ومساعدة الغني للفقير والقوي للضعيف ، وبذلك هي أرست قواعد وأسس الحياة ، فكل ما جاء في ذلك قد طبقه رسول الله (صلى الله عليه وآله) بين المسلمين فسيرته الكريمة تكشف لنا عن تسامحه مع قومه ورحمته بهم بالإضافة إلى أسلوبه اللين الرقيق في الحديث واستخدامه الحكمة والموعظة الحسنة في

إرشادهم ونصحهم ، فهو لم يعمد إلى تجريح الأفراد بألفاظه ولم يشهر بأفعالهم ، بل عمد إلى التآلف بينهم ، فمعالم الانجذاب قد كانت واضحة في شخصيته الكريمة .

الفصل الثالث : سمات معالم ووسائل الانجذاب

المبحث الأول : سمات معالم الانجذاب

المبحث الثاني : سمات وسائل الانجذاب

المبحث الأول : سمات معالم الانجذاب

المطلب الأول : سمات المعالم الظاهرة

إنَّ مما لا شك فيه ترك الحرية الكاملة لإنسان في التحرر في سلوكه وتصرفاته في هذه الحياة الدنيا انطلاقاً من غرائزه وميوله ، فهو بذلك ينساق إلى كل غريزة ويندفع وراء كل ميل ، فوضع تعالى حدود راشدة للإنسان وينبغي عليه مراعاتها ، ومن الضروري على كل فرد أن يشخص السلوك الراشد والسليم في حياته ، فجهز تعالى البشر بمحددات السلوك الراشد بما فطره عليها في تكوينه النفسي وأيضاً من خلال الرسائل التي بعثها عزَّ وجلَّ إلى الإنسان ، فعند ملاحظة الدين الإسلامي أنه لا يعتمد إلى تغير شيء من أصول الاتجاه الراشد والسلوك السليم في هذه الحياة ، بل أنه يضيف أبعاداً وآفاقاً للوجود وللإنسان والذي عليه أن يأخذها بنظر الاعتبار كما أن له تعاليم تفصيلية أما أن تكون مؤكدة للحكمة والأخلاق الفاضلة أو مستجيبة لها في مساحات متشابهة أو تكون غائمة فلا يدركها العقل ابتداءً^(١).

فالنظر في معالم الانجذاب التي وضعها تعالى في كتابه الكريم نراها موافقة للنفس الإنسانية وقد تكون ظاهرة للإنسان وترشدهم في هذه الحياة وتتلاءم معهم وأيضاً تكون باطنة وخفية لا يدركها العقل ابتداءً لما بها من تخويف ووعيد وترهيب للنفس لكن عند التأمل بها وتدبرها ندرك أنها وضعت لضبط السلوك للإنسان وحتى لا ينساق دائماً وراء شهواته وغرائزه ، لذلك استعمل الله تعالى وسائل لضبط سلوكه وترشيده في الحياة بما يتوافق مع فطرته ومع ما جهزه تعالى من الأمور الخيرة ، وأيضاً استعمل وسائل تحد من غرائزه التي تدفعه إلى فعل الأمور التي تجلب له الشر والضرر في هذه الحياة الدنيا وفي الآخرة ، فنجد معالم الانجذاب القرآنية قد تميزت بسمات عديدة ، وهذه السمات هي كالتالي :

١- تتسم بعنصر قيمي ، فهي معالم قيمية

إنَّ من سمات القرآن الكريم وأهدافه القيم التي يحملها بين دفتيه والتي تهدف إلى تركية الناس

(١) ط : محمد باقر السيستاني / تجربتي التربوية في الحياة / ٧-٥ .

وتحليهم بالفضائل الكريمة ، فأن الله سبحانه خلق الإنسان وأودع به الضمير الأخلاقي الذي يشمل على القيم الفاضلة ، فهي من السنن الكونية التي سن تعالى الإنسان عليها ، فهي لم تخلق في داخل الإنسان عبثاً ، بل هي برنامج معد لسلوك الإنسان الشخصي والاجتماعي لهذه الحياة ، بل يشمل لما بعدها ، فجاءت رسالة الله تعالى إلى الناس تأكيداً للسلوك الراشد الذي ينطوي عليه الضمير ، فهذه لا تتناقض مع تكوين الإنسان بما أودع الله تعالى به من الضمير فالمكون والمشرع هو الله تعالى الواحد ، فاعتبر القرآن والدين الإسلامي أن الاخلاق الفاضلة هي الأساس في قواعده وتشريعاته ، فالقيم الفاضلة بحسب الدين الإسلامي هي القانون الثابت ودستور الحياة ، وهي تضمن السعادة الأبدية له بشكل عام ^(١) .

فعند ملاحظة أن المعروف والمنكر وما ينطويان من معانٍ تحت ظليهما فطرياً كالعدل والظلم كانا قاعدة للتعاليم والتشريعات كلها ، وهما أيضاً يدلان فطرياً على حقانية الرسالة الإلهية وباعثية إرسال الرسالات ، كما جاء في قوله تعالى تصديقاً للرسول (صلى الله عليه وآله) : ﴿يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ (الاعراف: ١٥٧) ، وقوله تعالى : ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ (الحديد: ٢٥) ^(٢) .

فالأخلاق الفطرية التي توجد عند جميع البشر هي نفسها توجد في القرآن الكريم ويدعو إليها ، فجميع الأخلاق التي دعا إليها القرآن الكريم تتوافق مع الفطرة السليمة للبشر ، فالقيم التي دعا إليها القرآن هي موجودة عند البشر ، وجاء القرآن فأكدّها وحث بالالتزام بها ، فالقيم الأخلاقية الفاضلة هي الأساس في هذه الحياة ، وهي التي تتكفل بسعادة الإنسان ، فهذه الخصال هي سنن الخير والسعادة وأضدادها هي أسباب الشر والشقاء ، فالدين بين أن هذه السنن هي الصراط المستقيم التي بدورها تؤدي بالإنسان إلى الغاية التي يريجوها ، فالله تعالى متصف بالمبادئ الفاضلة وأودعها بداخل الإنسان بعناية ، فالمبادئ الفاضلة التي توجد داخل الإنسان هي في الحقيقة تمثل تعليمات إلهية أودعها الله تعالى في باطن الإنسان ^(٣) .

فالصدق مثلاً هو من أشرف المزايا الخلقية والفضائل النفسية ، فله آثاره الهامة على الفرد والمجتمع وهو سبب النجاح والنجاة ورمز الاستقامة والصلاح ، فهو له آثاره على الحياة

(١) ط : محمد باقر السيستاني / تجربتي التربوية في الحياة ، ٤٤/٢-٤٥ .

(٢) ط : المصدر السابق ، ٤٦/٢ .

(٣) ط : محمد باقر السيستاني / تهذيب النفس ودوره في بناء الفرد والمجتمع / ٣١-٣٢ .

المجتمعية فهو يشيع التآزر والتفاهم بين الفرد والمجتمع وبذلك يتمكنوا من النهوض بأعباء الحياة ويحققوا غاياتها فيسعدوا ويعيشوا حياة هادئة ويتعايشوا بسلم^(١).

فاللسان هو أداة التفاهم ومنطلق الأفكار والمعاني ، والترجمان الذي يفسر عما يدور داخل خلد الإنسان من مختلف الغايات والمفاهيم ، فهو يلعب دوراً كبيراً وخطيراً في حياة الناس وتجاوب مشاعرهم وأفكارهم ، وعلى صدق الإنسان وكذبه يتوقف وترتكز سعادة المجتمع وشقاؤه ، فاللسان إذا كان صادقاً أميناً أدى بذلك رسالة التوافق والتفاهم وبذلك يكون رائداً للخير ورسولاً للمحبة والسلام ، وإن كان على العكس من ذلك متصفاً بالخداع والتزوير أصبح رائداً للخيانة والشر ويكون مدعاة للتباغض والتنافر بين أفراد المجتمع ، وأيضاً يكون معول هدم في كيانه .

ومن أجل كل ذلك كان الصدق من ضروريات الحياة وله حاجة ملحة بين المجتمع ، فالغايات السامية لا يمكن أن تتحقق إلا بالتفاهم الصحيح والتعاون الوثيق وتبادل الائتمان والثقة بين الأفراد^(٢) ، فالصدق ترغب إليه النفس الإنسانية وينجذب نحوه الأشخاص الملتزمون به ، فجاء أمر الله تعالى للمؤمنين أن يلتزموا به وأن يصدقوا في أخبارهم ولا يكذبوا ، فالصادق هو الذي يقول الحق ويعمل به^(٣) ، لقوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾ (التوبة: ١١٩) ، فبين تعالى أن الصدق من صفات الأنبياء عندما ذكر إبراهيم (عليه السلام) بأنه كان صديقاً ، لقوله تعالى : ﴿ وَادْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صَدِيقًا نَبِيًّا ﴾ (مريم: ٤١) ، فالصديق الذي يكون كثير التصديق بالحق حتى يصير علماً فيه فالأنبياء كلهم صديقون لكثرة الحق الذي يصدقون فيه مما هو علم فيهم وإمام يقتدى بهم من توحيد الإله وعدله^(٤) .

فالصدق يكون أيضاً بالتصديق بالأنبياء وما جاءوا به من الحق وعبادة الله الواحد الأحد ، لقوله تعالى : ﴿ قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ (المائدة: ١١٩) ، فالكفار

(١) ط : الصدر / أخلاق أهل البيت / ١٧-١٨ .

(٢) ط : المصدر السابق / ١٩ .

(٣) ط : الطوسي / التبيان في تفسير القرآن ، ٣١٧/٥ .

(٤) ط : المصدر السابق ، ١٢٨/٧ .

الذين لم يصدقوا بما جاء به الأنبياء لا ينفع صدقهم يوم القيامة حينما يقرون على أنفسهم بسوء أعمالهم فبين تعالى أن الصادقين لهم نعيم دائم مقيم لا يزول عنهم ، فهم قد فازوا بالجنة ونجوا من النار^(١) .

ومن القيم أيضاً الأمانة التي يفتخر بها الإنسان عند التزامه بها والتي تتوافق مع فطرته السليمة ، فجاء القرآن الكريم وأكد عليها وأعطى لها مكانة عالية ، فالأمانة وإن كانت تطلق على الأمانة المالية غالباً ، لكنها في القرآن الكريم ذات مفهوم واسع تشمل جميع شؤون الحياة الأخلاقية والاجتماعية والسياسية كافة ، ومعنى مفهومها الواسع تعني أمانة الله ورسوله إضافة إلى ذلك أمانات الناس وكذلك كل ما أنعم الله تعالى به على خلقه ، فهي تضم أمانة الله الدين الحق والكتب السماوية وتعاليم الرسل والأنبياء ، وكذلك تشمل الأموال والأبناء والمناصب فكلها أمانات الله تعالى بيد البشر ، فعلى المؤمنين أن يسعون دوماً على الحفاظ عليها وأداء حقها فيحرسونها في حياتهم ويرثونها إلى أبنائهم الذين تربوا على الحفاظ عليها وأدائها^(٢) .

وذلك بأن يعطي الناس كل ذي حقّ حقه وأن لا يخونه في حقوقه فالالتزام بها ينشر الحبّ والثقة والطمأنينة بين الناس ، فيها يتدخل الصدق فيكون الفرد صادق في أقواله وأفعاله فيوفي بها ، لذلك أمر تعالى الناس ان يؤدوا الأمانات ، لقوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا ﴾ (النساء: ٥٨) ، فالأمانات بين العباد تكون بالمال وغيرها من الأمور ، وعليه يجب على المرء أن يؤدي ما كان أمانة عنده ، وهي أمر من الله سبحانه وتعالى ، فهي من أوامره^(٣) .

فالشخص الذي أوتمن عنده من غير صك ولا رهن عليه أن يؤدي الحق الى صاحبه ولا يجحده حقه ولا يبخسه وان يؤديه كاملاً وفي وقت محله وأن لا يسوف ولا يمطل فيه ، وأيضاً يأتي بهذا الصدد كتمان الشهادة مع العلم بالمشهود به ، ومن غير ضرر يقع عليه ، ومن كتمها ولم يؤديها فقد أثم قلبه^(٤) . لقوله تعالى : ﴿ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي أُؤْتِمِنَ

(١) ظ : الطبرسي / مجمع البيان في تفسير القرآن ، ٣/ ٣٧٨ .

(٢) ظ : الشيرازي / مئة موضوع اخلاقي / ٢٠٥ .

(٣) ظ : المصدر السابق ، ٣/ ٩٤ .

(٤) ظ : الطبرسي / مجمع البيان في تفسير القرآن ، ٢/ ١٨٢ .

أَمَانَتُهُ وَلَيَّتَقَ اللَّهُ رَبَّهُ وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثَمُ قَلْبُهُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿البقرة: ٢٨٣﴾ ، فالأمانة معنى واسع تشمل كل شيء معنوي ومادي ، فعلى المسلمين أن لا يخونوا أحداً فيها دون استثناء حتى لو كان صاحب الأمانة غير مسلم ، لذلك اعتبرها الدين الإسلامي من علامات الإيمان وكمال الإنسان ، فهي دلالتها على الإيمان أرقى من دلالة الصلاة ^(١) .

ومن القيم التي أكدها القرآن الجود والكرم فلهما الأثر الكبير في نشر الإخاء والمحبة بين الناس ، فمن الكرم الإنفاق في سبيل الله ، فضرب الله تعالى مثلاً للكرم نبي الله إبراهيم (عليه السلام) حينما دخل عليه ضيوفه فأسرع إلى عياله وأمرهم بتحضير عجلاً سميناً لضيوفه ففعلوا له ما أراد وقربه إليهم ^(٢) ، لقوله تعالى : ﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ * إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ * فَرَاغَ إِلَىٰ أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴾ (الذاريات: ٢٤-٢٦) .

وعليه فالقيم التي توجد في غريزة الإنسان هي التي تمثل السلوك الأصح للإنسان وشأنها شأن النظم التي ودعها تعالى داخل الكائنات الحية الأخرى ، فلو ألغيت قيمة من القيم الفاضلة لم تستقم الحياة الإنسانية ، كما لو فرض إلغاء قيمة الوفاء بالالتزام والصدق وحرمة الأموال والعفاف وغيرها ^(٣) .

فلو فكر الإنسان بشكل استثنائي بانتهاك قيمة ما ، فنحن ندعنا إلى الحاجة إلى الصدق ولكن في بعض الأحيان نشعر بأن الكذب نافع وكذلك السرقة لأنه قد ينتفع بالمال المسروق ، فلو طبع الناس على استباحة أموال الآخرين وهم لا يشعرون بالحرص من ذلك فلا تستقر الحياة الإنسانية ولا تتولد الثقة بالآخرين ، فتقدير كون الكذب أو السرقة نافعان تقدير خاطئ وبشكل مؤكد لأن الكاذب أو السارق وإن انتفعوا بكذبهما أو سرقتهما في بعض الأحيان إلا أن ذلك ليس من صلاحه في شيء ، فالترتيب النفسي للإنسان مقنن على رفض الكذب والسرقة والظلم فإذا حدث وهن في ذلك سوف يضر بتأصيل القيمة في النفس الإنسانية ويؤدي إلى

(١) ط : الشيرازي / مئة موضوع أخلاقي / ٢٠٤ .

(٢) ط : مغنیه / الكاشف ، ١٤٨/٧ .

(٣) ط : محمد باقر السيستاني / تهذيب النفس ودوره في بناء الفرد والمجتمع / ٢٥-٢٦ .

تكرارها وبذلك من شأنه أن يغير سلوك الإنسان وعمله ويستتبع ذلك آثار اجتماعية ضارة ، وهذا كله آثار سلبية فصلاح الإنسان يقتضي عليه أن يعمل بما فطره تعالى عليه من القيم^(١) .

فالقِيم التي توجد عند البشر وتتفق مع فطرتهم قد أكدها القرآن الكريم وحث عليها ، فالإنسان لا يمكنه أن يعيش مع المجتمع من غير قيم أخلاقية تحكم سلوكه وسلوك المجتمع وتنظم علاقاته معهم حتى مع الحيوانات والبيئة العامة ، وهذا يدل على أن القيم الأخلاقية الموجودة لدى الناس فطرية في أساس وجودها ، فالأفراد على اختلاف أماكنهم وأزمنتهم ينظرون إلى الرحمة والصدق والإخلاص والبر بالوالدين والأمانة والعدل على أنها من الفضائل الواجب الالتزام بها ، فالقيم الأخلاقية ثابتة فالصدق عند كل الناس هو الصدق والعدل هو العدل والأمانة هي الأمانة^(٢) .

فالإنسان السوي يجد من نفسه ميلاً إلى القيم وانجذاباً لها ، كما يجد في نفسه حزاة وإثماً في حال انتهاكها ، فلا يستسيغ لأحد قتل الآخرين وجرحهم وسرقة أموالهم وهتك أعراضهم ، وأيضاً فالإنسان لا ينجذب إلى القيم على نحو الانجذاب من أجل الاقتضاءات الغريزية كالشراب والطعام والزواج ، بل هو في موقع أعلى في النفس ، وأيضاً نجد متى ما دار الأمر بين الاستجابة لغريزة ما كسرقة طعام من أجل التلذذ بأكله أو انتهاك قيمة ملزمة فإنه يتعين عليه مراعاة تلك القيمة ، وليس له الحرية في التخيير بينهما ، وعليه يدل أن التكوين النفسي للإنسان يضمن جعل القيم الأخلاقية إلزامية كقانون داخلياً ليتبوأ موقع حكم وقيادة الغرائز الموجودة داخل النفس الإنسانية ، وهذا الأمر هو وجداني ومشترك بين كل الناس على اختلاف الأقوام والملل في مشارق الأرض ومغاربها^(٣).

فالقِيم لها دور كبير وأهمية بارزة في بناء الإنسان الصالح الذي يبنى المجتمع به ويتقدم نحو الأمام ، فالمجتمع لا يمكن بناؤه من خلال مادية فقط ، بل لا بد من أن تدخل فيه القيم الأخلاقية ، فالمجتمع الذي تنتشر به القيم الأخلاقية تحفظ سلامته من المظاهر الفاسدة فيصبح مجتمعاً قوياً متماسكاً يسوده الإحسان والفضيلة ، فالصدق والأمانة والكرم والجود والسخاء والعدل وغيرها الكثير ممّا يطلبها الناس ويحبونها ويرغبون فيها ، فجاء القرآن الكريم وحمل

(١) ط : محمد باقر السيستاني / تهذيب النفس ودوره في بناء الفرد والمجتمع / ٢٦-٢٧ .

(٢) ط : حسني محمد العطار / قيمتنا الأخلاقية بين الأهمية والحاجة / ٨-٧ .

(٣) ط : محمد باقر السيستاني / تهذيب النفس ودوره في بناء الفرد والمجتمع / ٢٤-٢٥ .

بين دفتيه مجموعة كبيرة من القيم الراقية ، فهذه القيم التي حملها هي وسيلة جذب للناس لكونها قيمة مرغوبة في أصلها لكونها قيم قبل ورودها في القرآن فهو حينما دعا إليها قد انسجم مع الفطرة السليمة ورغبات الناس قبل الدين فوجودها في الدين جعلها سمة جذب للدين العظيم .

٢- تتسم بعنصر التحفيز ، فهي معالم محفزة

التحفيز هو الحث على الشيء والدفع ^(١) ، فهو ((مولد النشاط والفاعلية في العمل ، وهو من الطرق النشطة للحصول على أفضل ما لدى الغير سواء كان ذلك يتعلق بالأمور المادية أم المعنوية)) ^(٢) .

إنَّ الله عزَّ وجلَّ عندما خلق الإنسان جعله ساعياً إلى الكمال والتميز ، وناظراً من النقص ، وهذا هو ما يجعل الإنسان له القابلية لبلوغ المراتب والتفوق وتحقيق النجاحات ، ولكن قد يغفل عن قابليته في بلوغ الكمال وتحقيق التميز أما لغياب الوسائل أو لطموح متدنٍ ، فينبغي على الإنسان أن يصور امامه حداً أعلى من الكمال في كل مجال من مجالات الحياة ويجعله بين عينيه ليدقق في امتيازه ويشخص تفاصيله وبيئته وألوانه ^(٣) ، فإذا بقيت صورة التميز ماثلة من امامه قريبة من حركته سوف يبدأ بمراقبة حركاته وسيره ويلحظ المسافة التي بينه وبين الأنموذج المتميز والصورة المثلى ، فهو عندئذ لا يهدأ حتى يقترب أكثر فاكثُر منه فتقوى عزيمته وتعلو همته ، وبذلك يكون قد انطلق من تصور التمييز إلى التصديق بإرادته وقابليته على التميز وبذلك يصل إلى رؤية مصداق التميز ويتجلى امام عينه ^(٤) .

فمعالم الانجذاب الظاهرة معالم محفزة تدفع الناس وتحثهم إلى طاعة الله تعالى وحبه ، فالتحفيز منهج رباني يوافق النفس الإنسانية فيبعثها على العمل ويربي فيها التقوى والنقّة التي هي أساس العمل في التوجه نحوه تعالى ، فالله (عزَّ وجلَّ) خاطب الناس بالتحفيز في الكثير من الآيات الكريمة وجاء في أقسام وهي :

(١) ظ : ابن منظور / لسان العرب / ٩٢٦ .

(٢) ابراهيم الفقي / قوة التحفيز / ٥ .

(٣) ظ : ميثم سلمان / التحفيز الأيماني / ١٦ .

(٤) ظ : المصدر السابق / ١٧ .

أ- التحفيز بتحريك الوجدان الإنساني

ويكون في الطمع بغفران الذنوب وقبول الأعمال الصالحة والحصول على المنزلة والقرب من الله تعالى والاستقامة في ذلك ، لقوله تعالى : ﴿ يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّنْ تَبُورَ * يُؤْفِقُهُمْ أَجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴾ (فاطر: ٢٩-٣٠)، فحافز المؤمنين الحصول على التجارة التي لا تفسد ولا تكسد فتعالى يوفي أجور الذين عملوا الصالحات والطاعات بالثواب بل يزيدهم على ذلك زيادة من فضله ، فتعالى قد وعد المؤمنين بأن يعطي مكان الواحد عشرة ، قال تعالى : ﴿ مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ﴾ (الانعام: ١٦٠) فتعالى يعامل بالإحسان معاملة الشاكر ^(١) ، فهو يحفز الوجدان في الرغبة بسرعة الى الطريق المطلوب والوصول نحو الكمال والراقي .

ب- التحفيز بالمنفعة المادية

التمثلة بنعمة الأرض التي فرشها تعالى للناس كافة فجعلها بين أيديهم وأجرى فيها العيون والأنهار ونزل من السماء الماء وأنبت فيها الزروع والثمار ، لقوله تعالى : ﴿ وَآيَةٌ لَهُمُ الْأَرْضُ الْمَيِّتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ * وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ * لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴾ (يس: ٣٣-٣٥)، فأحيا تعالى الأرض الميتة وجعل فيها البساتين من النخيل والأعناب وجعل فيها عيون الماء التي تجري منها والأنهار كل ذلك ليأكل الناس من ثمره والانتفاع منها ^(٢) .

وكذلك الرزق بالأنعام والاستفادة منها في النقل والأكل والشرب والكثير من المنافع الأخرى ^(٣)، لقوله تعالى : ﴿ وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴾ (المؤمنون: ٢١)، وأنزال الحديد الذي منافعه لا تحصى في الحياة الصناعية ^(٤)، لقوله تعالى : ﴿ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ ﴾ (الحديد: ٢٥)، فالأرض بما فيها من النعم التي لا تعد ولا تحصى كلها محفزات تدعونا إلى عبادة الله الواحد الأحد .

(١) ظ : الطوسي / التبيان في تفسير القرآن ، ٤٢٨/٨ .

(٢) ظ : المصدر السابق ، ٤٥٧/٨ .

(٣) ظ : الطبرسي / مجمع البيان في تفسير القرآن ، ١٣٥/٧ .

(٤) ظ : القمي / كنز الدقائق وبحر الغرائب ، ١١٧/١٣ .

ت-التحفيز بالكلمات التشجيعية

كالتبشر بالخير لما يظهر من السرور والفرح فالنفس الإنسانية قد جبلت على حب كل ما يشعرها بالسرور والفرح والطمأنينة ، لقوله تعالى : ﴿ أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ * لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ (يونس: ٦٢-٦٤)، فهم في حفظه تعالى وحياطته ولا يخافون من العقاب يوم القيامة فمن بشاراتهم في الدنيا كلام الملائكة لهم عند موتهم بألا يحزنوا ويخافوا وأبشروا بالجنة وكذلك الرؤيا الصالحة وأيضاً كلام الملائكة لهم عند خروجهم من القبور يوم القيامة بأن يدخلوا الجنة (١) .

ث-التحفيز بوفاء الوعد

فإنه (عزَّ وجلَّ) قد وعد وعوداً في القرآن الكريم لعباده المؤمنين فوعد تعالى النجاة في الدنيا والآخرة ووعد بالجنة والحياة الطيبة فيها ورغد العيش ، لقوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا ﴾ (النساء: ١٢٢)، فتعالى وعده حق بأن يدخلهم الجنة ولا يوجد أحدٌ أصدق من الله تعالى قولاً فيما أوعده وأخبره ، وفي الآية الكريمة مبالغة في الوعد توكيداً وترغيباً منه تعالى لعباده في تحصيله (٢) .

ج-التحفيز بالقصص والاعتبار

حسن العاقبة للمؤمنين منها قصص الأنبياء (عليهم السلام) مع أقوامهم كلها عبر لمن أراد الاستفادة منها في توجيهه نحو السلوك الحسن والطريق الحق ، فالقصص الماضية فيها الكثير من التحفيز للمؤمنين في النجاة من الظالمين فقصة بني إسرائيل وما عانوه من ظلم فرعون وبطشه تظهر لنا العاقبة الحسنة للصابرين المؤمنين بما أوحى تعالى لموسى (عليه السلام) أن يسري بهم ليلاً والذي تحقق بالمعجزة الإلهية وأنجاهم بانشقاق البحر لهم ، وظهور الطريق

(١) ظ : الطبرسي / مجمع البيان في تفسير القرآن ، ١٥٧/٥ .

(٢) ظ : الشريف الكاشاني / زبدة التفاسير ، ١٥٨/٢ .

لهم لقوله تعالى : ﴿ فَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فَرَقٍ كَالطُّودِ الْعَظِيمِ ﴾ (الشعراء: ٦٣) .

فسلكوه ووصلوا إلى الشاطئ ، وغرق فرعون وجنوده عندما تبعوهم وسلكوا الطريق نفسه فغمرهم مياه البحر وغرقوا أجمعين ، فهكذا كتب تعالى النجاة لبني إسرائيل ^(١) .

وبهذا يظهر أن الفرد الذي يتحلى بالصلاح والمُتزن بالاستقامة سيقطف ثمار صلاحه واستقامته في الحياة أماناً وطمأنينة نفس وفي الآخرة نعيماً ورضواناً من الله تعالى ^(٢) .

وعليه ينصح المؤمن أن يختاروا لأنفسهم الكلمات التحفيزية من القرآن الكريم وأهل البيت (عليهم السلام) فكلامهم نور ، لذا هما أكثر تأصيلاً من غيرهم في اختراق العقل الواعي ليصل إلى العقل اللاواعي وبها يرسى مراسي الدافعية السلوكية وفق المبدأ والعقيدة .

ولا يستبعد أن تكون الغاية من ذكر مراتب الكمال وصفات المتألهين أو ضرب الأمثال والقصص وذكر النماذج هو لغرض إتاحة السبيل للناس للتمذج وفق النماذج الإلهية وتحفيز الهمم في بلوغ الكمال ^(٣) .

فنرى التحفيز في القرآن الكريم ينفرد بمميزات تختلف عن أنواع التحفيز الأخرى ، فهو قد رتب على الكثير من الصفات من اتصف بها وعند القيام بالأعمال التي أمر بها بالثواب الكثير مما يثير النفس الإنسانية في التوجه على العمل والقيام بالسلوك المطلوب من أجل بقاء الصلة بين العبد وربّه ، فهو يرسم للناس غاياتهم واتجاهاتهم في التوجه نحو الطريق الأفضل والوصول بأفضل السبل مما يشدّ همهم في الوصول ، فالتحفيز كان مادياً أو معنوياً له الأثر الكبير والأهمية البالغة في الوصول نحو الطريق الأفضل فهو يتفق مع النفس الإنسانية لأنها قد جبلت على حب كل ما يحسن إليها ^(٤) ، وهذا ما قال به الغزالي (ت ٥٠٥هـ) : ((ثم مهما ظهر من الصبي خلق جميل وفعل محمود فينبغي أن يكرم عليه ويجازى عليه بما يفرح به ويمدح بين أظهر الناس)) ^(٥) ، فيكون التحفيز عامل جذب للأفراد فهو ينسجم مع

(١) ظ : جعفر السبحاني / القصص القرآنية ، ٢٠٩/٢ .

(٢) ظ : المصدر السابق ، ٢١٨/٢ .

(٣) ظ : ميثم السلطان / التحفيز الأيماني / ١٨ .

(٤) ظ : أيمن جاسم الدوري / المنهج التحفيزي في ضوء السنة النبوية / ٨٤ .

(٥) الغزالي / إحياء علوم الدين ، ٩٥٦/٣ .

الفترة الإنسانية في التوجه نحو الخير من أجل تحقيق الهدف الأسمى وهو الاستخلاف في الأرض وعمارتها .

٣- تتسم بطابع ذاتي ، فهي مطلوبة بذاتها

تتسم المعالم القيمة كونها محبوبة في ذاتها قبل ورودها في القرآن الكريم ، فالصدق بذاته يدعو إلى الخير وقول الحقيقة ويبعث الطمأنينة والراحة النفسية عند صاحبه في معاملته مع الآخرين ، فهو رمز الاستقامة والصلاح وسبب النجاة والفلاح ، فيشيع التآزر والتفاهم ويوفر حياة هادئة كريمة ، فباستعماله يدل على كمال عقل الشخص المتصف به وحسن سيرته ، وعلو منزلته بالإضافة إلى ذلك فهو يولد البركة ^(١)، وأيضاً يدل على المروءة فبصدوره يصد المرء عن رذائل الأقوال والأفعال وكل ما يعقبه ذلة ومهانة ، إذا الصدق يبعث على محاسن الأقوال والأفعال والعادات وكل ما يكون مستحسناً ، بالإضافة إلى ذلك كله ما يدل على أن الصدق محبوب لذاته العقل المؤكد بالشرع فالعقل الإنساني يدعو إلى فعل كل مستحسن وكف عن كل مستقبح ^(٢) .

أما الأمانة فهي بذاتها محبوبة فهي تدفع الفرد إلى أداء الحقوق والمحافظة عليها ، ففعلها يؤدي إلى الخير وينشر المحبة ويولد الثقة والإعجاب بالأفراد ، فهي زينة الحديث ورواؤه فيها ينال الفوز والنجاح ، فهي تلعب دوراً هاماً في حياة الأمم والأفراد ، فهي عنوان النبل والاستقامة وسبيل الرقي المادي والأدبي ، وبها تملك وتجن الحياة الاقتصادية الأرباح الوفيرة ^(٣) .

وكذلك الكرم فهو الإعطاء والإنفاق إلى الغير ، فهو أما أن يكون ببذل المال والطعام ، أو أي نفع مشروع للآخرين ، فبه يسعد المجتمع ، ومن أجل ذلك دعت الشريعة الإسلامية إلى البذل والسخاء والعطف على المحرومين والبؤساء ، فهو يزيد البركة ويجعل المجتمع متكافئاً مع بعضه ، فالكرام يصبح محبوباً من الجميع ^(٤) ، فالقيم بذاتها تزكي الأنفس وتطهر الأفراد

(١) ظ : الصدر / أخلاق أهل البيت / ١٧-١٨ .

(٢) ظ : العاملي / نور الحقية ونور الحديقة / ١٨١ .

(٣) ظ : الصدر / أخلاق أهل البيت / ٦٥-٦٦ .

(٤) ظ : المصدر السابق / ٥١ .

من الأخلاق الذميمة فتبعث على انتشار الخير والمحبة والسلام وتدفع الشر والكره والبغضاء ، فالقيم هي محبوبة بذاتها قبل ورودها في القرآن الكريم ، فجاء القرآن وأكد عليها وحث بالالتزام بها ، فهي تتفق مع الفطرة الإنسانية ، فعلى الرغم من اختلاف الناس في مناهجهم وعقائدهم لكن من يلتزم بها يصبح محبوباً مرغوباً به في المجتمع ويكون عضواً نافعاً ، فهي تزكي الأنفس وتطهرها من الرذائل التي تدعو إلى فعل الشر ، لذلك أكد القرآن عليها لكونها مرغوبة في ذاتها فبوجودها بالقرآن تصبح له ميزة جذب أخرى .

٤- تتسم بطابع الترغيب ، فهي مرغوب فيها

الترغيب هو ((وعد يصحبه تحبيب وإغراء بمصلحة أو لذة أو متعة آجلة مؤكدة خيرة خالصة من الشوائب ، مقابل القيام بعمل صالح أو الامتناع عن لذة ضارة أو عمل سيء ابتغاء مرضاة الله وذلك رحمة من الله لعباده))^(١) فهو ((كل ما يشوق المدعو إلى الاستجابة وقبول الحق والثبات عليه))^(٢) .

إنَّ الإنسان قد خلق ضعيفاً لقوله تعالى : ﴿ وَخَلَقَ الْإِنْسَانَ ضَعِيفًا ۝ ﴾ (النساء: ٢٨) ، فمن خصائص ضعفه الوقوع في الخطيئة ، فهو بطبعه يقع في النسيان والخطأ والتهاون ، فيأتي دور آيات الترغيب في القرآن الكريم بترغيب الإنسان في عفو الله ومغفرته ولهذا عظيم الأثر في النفس لقطع الوسواس الشيطانية ، وعدم اليأس والقنوط من رحمة الله تعالى ، وبيان ما أعده تعالى للطائعين والتائبين من النعيم المقيم^(٣) .

فيعتبر الترغيب من سمات الانجذاب الظاهرة ، فالآيات التي تختص به كثيرة بما ترغب الناس في الدين الإسلامي وله أهمية بالغة ، والأصل فيه أن يكون في نيل مرضاة الله تعالى ورحمته وجزيل ثوابه في الآخرة ، وهذا هو المنهج الذي سار عليه الرسل الكرام كما بينته آيات القرآن الكريم ، لقوله تعالى : ﴿ آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ * يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَلِكَ يَوْمُ النَّعَّانِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُكْفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ۝ ﴾

(١) عبد الرحمن النحلاوي / أصول التربية الإسلامية وأساليبها / ٢٣٠ .

(٢) عبد الكريم زيدان / أصول الدعوة / ٤٢١ .

(٣) ظ : كيلان خليل حيدر / الترغيب والترهيب في القرآن الكريم / ٧ .

(التغابن: ٨-٩) ^(١) ، وقوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ * الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (البقرة: ٢١-٢٢) .

فالأية الكريمة تشير إلى دعوة البشرية عامة إلى عبادة الله الواحد الأحد ، فالنداء لا يختص بقبيلة أو طائفة معينة بل دعوته إلى البشرية عامة ، وللثورة على جميع ألوان الشرك والانحراف عن طريق التوحيد ، فالذين يستنكفون عن عبادة الله تعالى غافلون عن العظمة الإلهية التي خلقتهم وخلقت الذين من قبلهم ، وعن اليد المدبرة القادرة التي أوجدت هذا الخلق وأودعت النعم الدقيقة فيه المتجلية في روح الإنسان وجسمه وفي الكون ^(٢) .

والترغيب في طاعة رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، لقوله تعالى : ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّىٰ فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِظًا﴾ (النساء: ٨٠)، فالآية الكريمة تؤكد أن طاعة الرسول هي في الحقيقة طاعة الله تعالى ، فلا انفصال بين طاعتهما فالرسول (صلى الله عليه وآله) لا يخطئ أي خطوة خلافاً لإرادة الله تعالى ، وكل ما يصدر منه من قول وفعل وتقرير يطابق لإرادة الله تعالى ومشيئته ^(٣) .

والترغيب في القرآن الكريم وبيان أن هدايته تكون بعيدة عن الهوى والضلالة وعن كل المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية ... فهو ينسق بين سعي الإنسان وفطرته والطبيعة التي حوله والتاريخ وسننه ، لقوله تعالى : ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ (الإسراء: ٩)، فالإيمان بالقرآن وحده لا يكفي بل يجب أن يعمل المؤمن الصالحات ، وبهذا يكون له الأجر الكبير عند الله ^(٤) .

فالترغيب يكون بالجزاء في الآخرة - في الأصل - وكذلك يجوز أن يكون في الدنيا بما يصيبه المدعوون من خير عند استجابتهم ^(٥) ، لقوله تعالى : ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي

(١) ط : عبد الكريم زيدان / أصول الدعوة / ٤٢١ .

(٢) ط : الشيرازي / الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل ، ٨٠/١ .

(٣) ط : المصدر السابق ، ١٨٧/٣ .

(٤) ط : المدرسي / من هدى القرآن ، ٤٢٣/٤ .

(٥) ط : عبد الكريم زيدان / أصول الدعوة / ٤٢٢ .

ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ﴿٥٥﴾ (النور: ٥٥)، فالآية الكريمة أشارت إلى قوم النبي (صلى الله عليه وآله) عندما كانوا في المدينة فقد كانوا يمسون ويصبحون بالسلاح لما لاقوا من العناء والأذى من قبل المشركين واليهود .

فنزلت الآية الكريمة بوعد الله تعالى لهم باستخلافهم الأرض وانتشار الدين الإسلامي وسلطانه في الأرض وتبديل خوفهم أمناً ، فهذا ترغيب من الله تعالى لهم نتيجة توكلهم على الله تعالى وصبرهم وظاهر الآية الكريمة ترغيباً لكل أمة تؤمن بالله تعالى ورسوله الكريم (صلى الله عليه وآله) وتعمل بالتشريعات الإلهية بالاستخلاف والتمكين في الأرض وهذا وعد من الله تعالى حتماً مقضياً ^(١) .

ومثله ما جاء في الترغيب الدنيوي من وعود نوح (عليه السلام) لقومه عندما يؤمنون بالله تعالى ويخلصون له القول والفعل بأن يكفر تعالى عنهم سيئاتهم ويغنيهم من فضله بالأولاد والأموال وبفيض السماء بخيراتها والأرض بثمراتها ، ويحصل لهم الأمان والرخاء والصحة والهناء مع أكثر النسل لهم ^(٢) ، لقوله تعالى : ﴿ قُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا * يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا * وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا ﴾ (نوح: ١٠-١٢) .

أما ما ورد من الترغيب بالآخرة فيتناول ما أعده تعالى لعباده المؤمنين من النعيم ، وذلك أنه تعالى قد وعد عباده المؤمنين بأن يعطيهم خير الجزاء في الآخرة وقد تضمن ترغيبه تعالى لهم بالجزاء المادي والمعنوي (الروحي) ، من الطعام والشراب والمساكن والزوجات والحلي واللباس ، والولدان المخلدون والأنهار والعيون والخدم والحشم والاحترام المنقطع النظير فتعالى عطاؤه واسع لا حدود له ، وكذلك المواهب المعنوية واللذائذ الروحية ومما يزيد على ذلك رضاه تعالى عنهم فهذا كله استعمله تعالى في مقام الترغيب ^(٣) ، لقوله تعالى : ﴿ وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا * مُتَّكِنِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا * وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا وَذُلَّتْ قُطُوفُهَا تَذَلِيلًا * وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بِآنِيَةٍ مِنْ فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرًا * قَوَارِيرَ مِنْ فِضَّةٍ قَدَرُوهَا تَقْدِيرًا * وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلًا

(١) ظ : مغنيه / الكاشف ، ٤٣٦/٥ .

(٢) ظ : المصدر السابق ، ٤٢٦/٧ .

(٣) ظ : الشيرازي / نفحات القرآن ، ١٣٥/٦ .

عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلًا وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَنُورًا * وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمَلَكًا كَبِيرًا * عَلَيْهِمْ ثِيَابٌ سُدُوسٌ خُضَرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِنْ فِضَّةٍ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴿الإنسان: ١٢-٢١﴾ وقوله تعالى : ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِينَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (التوبة: ٧٢) .

فإنَّ القرآن الكريم مليء بشتى صور الترغيب فتأمل بها تجد أنه استعمله سبيلاً لتحقيق مبادئه والوصول إلى غاياته وأهدافه ، فالترغيب يلائم النفس الإنسانية لأنها دائماً تحتاج إلى هذه الوسيلة فهي تحب الخير ، والترغيب يأتي في الخير ويحث عليه ويبين أجر فاعله وجزائه في الدنيا والآخرة ، لذلك جاءت رسالات الأنبياء (عليهم السلام) متضمنة هذا الهدف العظيم وهو صلاحهم بحثهم على أعمال البرِّ ووصولاً إلى الغاية السامية التي وضعت للبشر (١) .

وإن الترغيب يرتبط بمفهوم الثواب ويشترك معه فهو يتعلق بأفعال المكلف قبل وقوعها وبعدها ، فهو يحثه على الفعل ويحببه إليه ويكون الثواب نتيجة لقيامه بالفعل الحسن ، وينتهي به الأمر إلى الجنة (٢) .

فالترغيب يوافق النفس الإنسانية فيثير فيها المحبة والرجاء فهو يلائم الذين يصلحون من الناس بالترغيب ويعدل سلوكهم فهو يستغل الفطرة الإنسانية في إصلاحها بما يحقق سعادتها ، فهو خاطب العقل الإنساني وروحه .

٥- تتسم بعنصر المنفعة ، فهي تجلب نفعاً

فهي من السمات الظاهرة التي تحصل للإنسان فتتمثل باستغلال النعم المادية التي رزقنا الله تعالى بها بأفضل طريقة بما يقدم لنا الخير والصلاح ، فالإنسان يسعد بالنعم التي يعطيها الله تعالى له والتي توجب له الراحة أو اللذة ومهما كانت قليلة ، حتى أنه يسعد باللقمة التي

(١) ط : كفايت الله همداني / الترغيب والترهيب في السياق القرآني / ٩٧ .

(٢) ط : المصدر السابق / ٩٨ .

يتناولها وبالماء الذي يشربه وبالفُرصة التي يستريح بها ، فالإنسان مفطور على طلب السعادة من الاستجابة للغرائز والحوائج ^(١) .

وتتجلى لنا أيضاً من القصص القرآنية التي بينت لنا الطريق الذي يجب للفرد أن يتخذه في هذه الحياة لتتحقق له السعادة في الدارين ، فتتجلى لنا الفائدة من الاستماع إلى قصص الأنبياء (عليهم السلام) من تخفيف الضغط العاطفي الذي يقع على المؤمنين فمهما يكن الضغط عنيفاً وقوياً فالاستماع إليها يخفف منه ويزيد المؤمنين تثبيناً وردّ الثقة إلى أنفسهم وتبث الطمأنينة في قلوبهم وتزيل الهمّ والقلق ومن ثمّ يكون نتيجة هذا الصبر الطويل والثبات الذي هم عليه يؤدي في النهاية الى النصر على المعارضين والأعداء ^(٢) .

لقله تعالى : ﴿ وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (هود: ١٢٠) ، وقوله تعالى : ﴿ نَتْلُو عَلَيْكَ مِنْ نَبَأِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ * إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيْعًا يَسْتَضَعِفُ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يُدَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ * وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ * وَنُكِنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِي فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ ﴾ (القصص: ٣-٦) .

يتوضح لنا من خلال قصة موسى (عليه السلام) مع قومه وما لاقاه من العقبات والصعاب التي وضعها فرعون ومن ثمّ النصر الذي رزقه تعالى له ولقومه نتيجة صبرهم وإيمانهم ^(٣) .

بالإضافة إلى ذلك فهي تنمي وتوجه العواطف الصادقة القوية نحو عقائد الدين الإسلامي وتجعل الفرد يضحي بالغالي والنفيس اتجاه كلّ حقٍّ وخير وتوجه نحو القيم الدينية وتحث الناس على الاعتقاد والإيمان بها وتكون عواطف صادقة وقوية ضدّ كلّ قبيح مما يصدر من الناس فتبرز المنفعة لنا من خلال حثنا وتوجيهنا نحو القيم الدينية والخلقية ^(٤) ، فهي تكون لنا عواطف ضد الكبر والاستكبار والعناد والإصرار سواء كان يصدر من القادة أو الأغنياء

(١) ط : محمد باقر السيستاني / تجربتي التربوية في الحياة ، ١٣/١ .

(٢) ط : محمد أحمد خلف الله / الفن القصصي في القرآن الكريم / ٢٢٩-٢٣٠ .

(٣) ط : المصدر السابق / ٢٣١ .

(٤) ط : المصدر السابق / ٢٣٤ .

وتتفرّ الناس عن عبادة غير الله تعالى ، وتبينُ لنا أن ما جاء به رسولنا (صلى الله عليه وآله) حقٌّ وأن الوحي الذي نزل عليه هو من السماء (١) .

فالإنسان يستطيع ترشيد سلوكه في هذه الحياة الدنيا بما يكون أكثر سعادةً وأقلّ عناءً أو يكون أقرب إلى ذلك على الأقلّ ، فالإنسان مزوّد بالقدرة على التفكير الذي يستطيع من خلاله معرفة مضاعفات خيارات الحياة المختلفة والموازنة بينهما إلى حد كبير فهو يقدر على اختيار الخيار الأرشد له فيستطيع أن يبحث عن خياره الأرشد في هذه الحياة الدنيا بالنظر الشامل إلى العاجل والآجل ، والحاضر والمستقبل فيختار الخيار الأنسب حتى لو اقتضى الأمر انتظاراً طويلاً متعباً وصبراً مريداً تحسباً لعواقب أحمد ونتائج أحسن (٢) .

فيتضح من ذلك أن الإنسان الذي يتحلّى بالصلاح والاستقامة سيقطف ثمار اصلاحه واستقامته في الدنيا والآخرة ، فيأخذ طمأنينة النفس والأمن في الدنيا ورضوان الله ونعيمًا في الآخرة ، فأثار الصلاح والاستقامة تمتد إلى كلّ من يرتبط به ويحبه فتتدى روحه وتقر عينه ، وهو يرى أن آثاره امتدت وانتفع بها أبناءه وأحبابه الذين حرص على توفير سعادتهم واستقرارهم وهنائهم (٣) .

فالمنفعة التي تتجلى لنا من قصص الماضين في اختيار الطريق الحق المتمثل بعبادة الله الواحد الأحد والسلوك الصحيح المتمثل بخلق الأنبياء (عليهم السلام) فنتبعه ، وتعرفنا بالعاقبة الحسنة التي تكون من نصيبهم ، فالصبر ومعاملة غيرهم باللطف والتوكل على الله تعالى هو السبيل الأفضل في مواجهة عقبات الحياة ، فيكتب لنا السعادة -أن سرنا على نهجهم- في الدنيا والفوز برضا الله تعالى ونعيم الجنة في الآخرة .

(١) ظ : محمد أحمد خلف الله / الفن القصصي في القرآن الكريم / ٢٤١-٢٤٤ .

(٢) ظ : محمد باقر السيستاني / تجربتي التربوية في الحياة ، ١٥/١ .

(٣) ظ : جعفر السبحاني / القصص القرآنية ، ٢١٨/٢ .

المطلب الثاني : سمات المعالم غير الظاهرة

١- تتسم بكون الانجذاب فيها باطنياً

إنَّ معالم الانجذاب غير الظاهرة يتمثل بكون الانجذاب باطنياً لأن باطنه رحمة ، فإنَّ كثيراً من الناس قد تأخذهم الغفلة أو يكون إيمانهم ضعيفاً ، فغفلتهم تزول بالوعظ والتذكير بأحوال يوم القيامة وأصناف العذاب الذي يكون في الآخرة ، مما يورث هذا الخوف القضاء على الغفلة ^(١) ، فالعذاب يكون ظاهره عبارة عن تحذير وكلام مؤلم وخطير لكن باطنه رحمة فهو يخوف الأفراد في الظاهر ويمنعهم من الإقدام على الشرك وفعل المحرمات فيكون كالسوط الذي يسوق به الله تعالى عباده إلى المواظبة على العلم والعمل وبذلك ينالون القرب منه تعالى ، فهذا الخوف الذي استعمله تعالى خوفاً معتدلاً محموداً فهو يكف الجوارح عن المعاصي ومن ثمَّ يقيدها بالطاعات ، فالخوف الذي استعمل هنا كمثل احتمال ألم الدواء لأنه أهون من ألم المرض والموت ، فالفائدة التي يرتبها الحذر والورع والتقوى والعبادة والمجاهدة والفكر والحذر وكل الأسباب الموصلة إلى الله تعالى ^(٢).

فالخوف الذي يتولد لدى الأفراد نتيجة التذكر بأحوال يوم القيامة وأنواع العذاب الذي يكون فيه والنار التي أعدت للكافرين فذكر تعالى أسماءها وأبوابها وصفاتها وذكر أن العذاب يكون فيها مادي ينال الجسد من اللباس والرياح والضلال والطعام والشراب والسلاسل والأغلال وذكر العذاب الروحي الذي يمس باطنهم بتوبيخهم ولعنهم والخزي الذي يلحق بهم ، وعدم نظر الله تعالى إليهم ^(٣)، فيتولد لدى الفرد الحاجز الذي يمنعه من الإقدام على الأعمال المحظورة فيكف عن المحرمات ويتوجه نحو الطاعات ويكون همه هو التفكير بعواقب الأعمال التي يؤديها ومحاسبة نفسه عندما يقترب خطأ فيقمع شهواته ويقيد جوارحه بالطاعات .

فالخوف هو الضابط الباطني للإنسان الذي يمنعه من الاعتداء على حدود الله تعالى ويزجره عن الآثام والمحارم ويجعل الفرد على الدوام من مراقبة أفعاله ، فالخوف يؤثر على

(١) ط : الفيض الكاشاني / احوال السالكين / ١٣٠ .

(٢) ط : الغزالي / إحياء علوم الدين ، ١٥٠٥/٤ .

(٣) ط : الشيرازي / نفحات القرآن ، ٣١١/٦ .

الجوارح بالكف أو الاقدام^(١)، فالإنسان عندما يوضع له ضابط يحاسبه من داخله يكون له الأثر الأكبر في السمو به إلى أعلى الدرجات فهو خطاب مباشر لفطرته السليمة التي جبلت على كره كل ما يزعجها ، ويسبب لها الألم وخطاب للعقل ، فالنفس هي التي تحاسب ذاتها لأن الله تعالى قد وضع لها رقيب من عندها .

وكذلك أنواع الابتلاءات التي تحل بالإنسان من شدة ومرض وكوارث وجميع أنواع المصائب التي تحل به فظاھرھا يكون عذاباً لكن باطنها رحمة^(٢) ، فهي تجعل الإنسان يرجع إلى فطرته السليمة فيتوجه حينئذ إلى الله تعالى ويصحو من غفلته ، فيعلم علم اليقين أن خالق الكون ومدبره هو الله تعالى^(٣)، أما الأفراد الذين يرجعون إلى كفرهم وعنادهم بعد حلول رحمة الله تعالى بهم ستكون لهم تنبيهات فحينما يحلّ يوم القيامة لا تكون لديهم حجة بعد ذلك على كفرهم .

فيتبين من ذلك أن التذكير بأحوال يوم القيامة وأنواع المصائب التي تحل بالناس ظاھرھا مخيف ومؤلم ، لكن باطنها رحمة ، فالأفراد الذين يعقلون ويتدبرون هذه الأمور بحكمة سيعلمون أنها رحمة من الله تعالى وعامل جذب للدين الإسلامي ، لأنّ الكثير من الناس لا يرتدعون إلا بالخوف والمصائب التي تحل بهم فحينئذ يكفون من الإقدام على المعاصي .

(١) ظ : الفيض الكاشاني / احوال السالكين / ١٢٠ .
(٢) أبو السعود / إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم ، ٧٢٢/٣ .
(٣) مغنیه / الكاسف ، ٣٩٨/٦ .

٢- تتسم بعنصر التنفير ، فهي معالم منفرة

إن التنفير يدل على التبعاد والتجافي^(١) ، والتفريق^(٢) ، فالتنفير يبعد الناس عن طاعة الشيطان وحبه ، وذلك بأن يستحضر العبد الضرر الذي يقع عليه وسوء العقابة الذي تصيبه في الدنيا والآخرة نتيجة مخالفته لأوامر الله تعالى فهو يجعل العبد أكثر بعداً عن المعصية وأكثر التزاماً وتمسكاً بطاعة الله تعالى .

فالتنفير يرسم الطريق للناس فهو يحدد لهم غاياتهم وأهدافهم في الوصول نحو الأفضل ، وذلك بأن الله تعالى قد حذر وبعّد الأفراد عن الأعمال والصفات المضرة لهم ورتب على ذلك أنه من اتصف بها له العذاب وسوء العقابة في الدنيا والآخرة مما يعطي للنفس الإنسانية البعد في التوجه إليها ويجعلها على صلة دائمة مع الله تعالى ، فهو يتفق مع النفس الإنسانية لأنها قد جبلت على كره كل ما يضرها ويسبب لها الأذى فالإنسان بفطرته يهرب من العقاب وبالتالي يهرب من كل سوء يؤدي إلى العقاب ، فيشجع العقاب الموعود به على الابتعاد عن السلوك الممنوع ومن ثم الامتناع عن الأفعال المحضورة^(٣) .

فمن المعالم المنفرة والتي تبعد الأفراد عن المعصية الغضب الذي هو من الرذائل الخلقية ، وهو مفتاح الشرّ ورأس الإثم ، وبه يفقد الإنسان صوابه ورشده ، ويصبح وحشاً مفترساً يقتل ويضرب ويشتم الغير وغير ذلك ، لذلك نفر تعالى منه وجعل العفو عند الغضب من صفات المؤمنين ، لقوله تعالى : ﴿وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ﴾ (الشورى: ٣٧)^(٤) .

ونفر الإسلام أيضاً من سوء الخلق فهو لا يترك للإنسان صديقاً حتى مع أهله ، لذلك خاطب الله تعالى الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله) : ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ (آل عمران: ١٥٩)، لذلك حذر النبي (صلى الله عليه وآله) وأهل بيته الأطهار من الاتصاف بهذه الظاهرة الممقوتة^(٥) .

(١) ظ : ابن فارس / مقاييس اللغة ، ٤٥٩/٥ .

(٢) ظ : ابن منظور / لسان العرب / ٤٤٩٧ .

(٣) ظ : أيمن جاسم الدوري / المنهج التحفيزي في ضوء السنة النبوية / ٨٤ .

(٤) ظ : باقر شريف القرشي / الإسلام منهج مشرق للحياة / ١٩٩ .

(٥) ظ : المصدر السابق / ٢٠٠ .

ونفر القرآن أيضاً من البخل وحذر منه المسلمين فهو جامع لجميع المساوئ الذميمة ، لقوله تعالى : ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخُلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ (آل عمران: ١٨٠)، فالآية الكريمة بينت مصير الذين يبذلون غاية الجهد في جمع الثروة ومن ثم يمتنعون عن الإنفاق في سبيل الله ولصالح عباده ، فهؤلاء سيكون مصيرهم يوم القيامة أن تكون الأموال التي بخلوا بها طوقاً في أعناقهم في ذلك اليوم الرهيب ، فالمالك الحقيقي للأموال ومصادرها هو الله تعالى ، فما أعطي لأي أحد من الناس فهو من فضله تعالى ، ولذلك لا ينبغي على الناس أن يبخلوا أموالهم بل يجب أن تنفق في سبيل صاحبها الحقيقي (١) .

ونفر الله تعالى الناس من الإضرار بالآخرين لذلك نجد أن الله تعالى قد نهى وحرم كل ظلم يقع من الأفراد على غيرهم فمثلاً الإضرار بالمطلقة من أجل إيقاع الضرر بها نجد أن الله تعالى قد نهى عنه ، لقوله تعالى : ﴿ وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَّغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ ﴾ (البقرة: ٢٣١)، فمن فعل ذلك فقد ضر نفسه وذلك بترتيب العقوبة له من الله تعالى (٢) .

وورد النهي عن الإضرار في الكتابة والشهادة ، لقوله تعالى : ﴿ وَأَشْهَدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ وَإِنْ تَفْعَلُوا فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ ﴾ (البقرة: ٢٨٢)، فأصل كلمة يضار هو (يضرار) فمن قرأ بكسر الراء فبكون النهي عن المضارة للكاتب والشاهد ، بمعنى أن يكتب الشخص بما لم يمل عليه ، وأن يشهد الشخص مالم يستشهد به ، أو أن يمتنع عن أداء الشهادة ، أما إذا قرأ بفتح الراء فالمعنى عدم التكليف بالكتابة في حال عدم التفرغ أو وجود عذر يمنع منها ، أو أن يضيق على الشاهدين في إقامة الشهادة في حالة وجد العذر ، فالمضارة بالكاتب والشاهد فسق أي خروج عن أمر الله تعالى (٣) .

وأيضاً من ذلك تحريم تعالى إيذاء الناس بالقول أو الفعل ، لقوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَىٰ أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَىٰ أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الْإِسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ ﴾ (الحجرات: ١١)،

(١) ط : الشيرازي / الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل / ٤٢٨/٢-٤٢٩ .

(٢) ط : الطبري / جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، ١٧٨/٤ .

(٣) ط : الطوسي / التبيان في تفسير القرآن ، ٣٧٦/٢ ، الطبرسي / مجمع البيان في تفسير القرآن ، ١٨١/٢ .

فالآية الكريمة نهت الفرد بالإضرار بالآخرين وذلك من يفعل هذه الأعمال فهو قد حَقَّر نفسه وظلمها ، فالفرد العاقل عندما يفكر بهذه العواقب بتدبر ويرى أنها تسبب لنفسه الضرر فسوف يبتعد عنها ، وعن كل معصية نهى تعالى عنها ^(١)، فتكون هذه المعالم منفرة له عن المعاصي .

والضرر الأكبر الذي يسببه الفرد لنفسه والذي شدد التنفير منه تعالى اتخاذ غير الله تعالى إلهاً وذلك بتبينه (عزَّ وجلَّ) أن الآلهة التي اتخذوها لا تنفع ولا تضر ولا تملك شيئاً ولا لازمة من لوازم الحياة فهذه الفئة من الناس قد جلبت لنفسها الضرر الأكبر باتخاذها معبودات غير الله تعالى ^(٢)، لقوله تعالى : وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَا يَخْلُقُونَ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا ﴿٣﴾ (الفرقان:٣)، فالذين يسارعون في الكفر ويقعون به سريعاً دون تريث ويمارسونه في نياتهم وأقوالهم وأفعالهم ، فالله تعالى غني عنهم فهو لا يغلبه شيء في السماوات والأرض ولا يضره كيدهم ، فهم لا يضرّون إلّا أنفسهم لأنهم خرجوا عن اللطف الإلهي وحرّموا أنفسهم عن كلّ خير لأنهم حاربوا الله تعالى لذلك تعلّقت إرادته تعالى أن يحرمهم من حظّ الآخرة ويسلك بهم إلى أسوء العذاب ^(٣) .

ونفر الله تعالى من ترك الصلاة بالعذاب الأليم ، وترك الصيام من غير عذر ، وترك تأدية الزكاة ^(٤)، فالتنفير يعتمد على إيقاظ مشاعر الخوف والحياء عند الإنسان من سوء العمل الذي يقوم به ^(٥)، وهذا ما قال به الغزالي أيضاً : ((إن عاد ثانياً فينبغي أن يعاتب سرّاً ويعظم الأمر فيه ويقال له : إياك أن تعود بعد ذلك لمثل هذا وأن يطلع عليك في مثل هذا فتفصح بين الناس)) ^(٦) .

فوضع تعالى عقوبات شديدة مؤلمة لمن يفعل ذلك فهؤلاء الفئة قد خسرت الدنيا ونصيبها من الثواب في الآخرة ، فالإنسان العاقل عندما يدرك أن الرب الذي يستحق العبادة يجب أن يكون قادراً على جلب المنفعة له ودفع المضرة عنه سوف يصحى من غفلته ويرجع إلى فطرته السليمة وسوف ينفر من هذه العقوبات التي وضعت للذين يسلكون الطريق الخاطئ ،

(١) ظ : القرطبي / الجامع لأحكام القرآن ، ٣٩٠/١٩ .

(٢) ظ : البيضاوي / أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، ١١٨/٤ .

(٣) ظ : السبزواري / مواهب الرحمن في تفسير القرآن ، ٩٨/٧ .

(٤) ظ : أيمن جاسم الدوري / المنهج التحفيزي في ضوء السنة النبوية / ٩٢-٩٣ .

(٥) ظ : المصدر السابق / ١٠٥ .

(٦) الغزالي / إحياء علوم الدين ، ٩٥٦/٣ .

فتكون العقوبات الإلهية منفرة عن الشر وعامل جذب للدين الإسلامي فالإنسان العاقل هو الذي يدرك أن هذه المنفرات هي التي تحقق صلاحه وفلاحه في الدنيا والآخرة .

٣- تتسم بطابع الترهيب ، فهي مرهبة للنفس

الترهيب هو ((وعيد وتهديد بعقوبة تترتب على اقتراف إثم أو ذنب مما نهى الله عنه أو على التهاون في أداء فريضة مما أمر الله به ، أو هو تهديد من الله يقصد به تخويف العباد ، وإظهار صفة من صفات الجبروت والعظمة الإلهية ، ليكونوا دائماً على حذر من ارتكاب الهفوات والمعاصي))^(١) فهو ((كل ما يخيف ويحذر المدعو من عدم الاستجابة أو رفض الحق أو عدم الثبات عليه بعد قبوله))^(٢) .

أن الترهيب يأخذ طريقه إلى النفس الإنسانية من خلال ما ركب الله تعالى فيها من غريزة الخوف التي تدفع الفرد إلى توقي الخطر والبعد عما يعرضه له ، وأما الترغيب فينفذ من خلال ما ركب في النفس الإنسانية من رجاء يستحث الفرد على بلوغ ما يرجوه .

فالخوف والرجاء بقوتيهما واختلاطهما وتشابكهما بالكيان الإنساني كله في أعماقه ، يوجهان الفرد في اتجاه الحياة ويحددان سلوكه ومشاعره وأهدافه ، فعلى ما يخاف الفرد ونوع ما يخاف منه ، وعلى ما يرجوا ونوع ما يرجو يحدد منهج حياته ويوفق بين سلوكه وبين ما يخاف ويرجو ، واستعمال القرآن الكريم لهما في منتهى الحكمة^(٣) .

إن آيات الترغيب والترهيب في القرآن الكريم متلازمان والحكمة في ذلك أنه من لا يؤثر فيه الترغيب بالثواب يؤثر فيه الترهيب من العقاب ، فالترغيب يشجع على النشاط والعمل ، بينما الترهيب من العقاب يردع الفرد عن التماادي في الغي والضلال ، وخاصة بعد بيان سوء عاقبة ذلك وأثره ، فالقرآن الكريم قد ركز على الترغيب والترهيب لما لهما من أهمية بالغة في عملية تقويم وتسديد خلق المسلمين وعملهم^(٤) .

(١) عبد الرحمن النحلاوي / أصول التربية الإسلامية وأساليبها / ٢٣١ .

(٢) عبد الكريم زيدان / أصول الدعوة / ٤٢١ .

(٣) ط : عبد الغني محمد سعد بركة / أسلوب الدعوة القرآنية بلاغة ومنهاجاً / ١١٠-١١١ .

(٤) ط : كيلان خليل حيدر / الترغيب والترهيب في القرآن الكريم / ١٤ .

يعدّ التهريب من السمات التي تخوف الناس وتحذرهم من عدم الاستجابة لأوامر الله (عزّ وجلّ) ودعوته إياهم للدين الإسلامي ، فهو من الطرق التي استعملت لتخويف النفس ، فالتأمل في الآيات الكريمة التي جاءت بالوعيد وتهديد المكذبين الكافرين يظهر أنّ الوعيد من المقاصد الإسلامية لإبعاد الناس عن الشيطان وسبله ، فتعالى قد صور حالتهم التي يكونون بها يوم القيامة وحالتهم النفسية ، وما يحدث يوم القيامة من أنواع العذاب المختلف سوف يدفعهم هذا التصوير المخيف إلى التزهيد في أمور الدنيا وترك ملاذاتها واجتناب المعاصي والتوجه نحوه تعالى (١).

يكون الأصل في التهريب التخويف من عذاب الله تعالى وغضبه في الآخرة وكذلك يكون الأصل فيه بالجزاء في الآخرة ، وكذلك يجوز أن يكون بما يصيب المدعويين في دار الدنيا من شر عند رفضهم (٢) .

لذلك رهب الله تعالى من الكفر به ، لقوله تعالى : ﴿ وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَبُئْسَ الْمَصِيرُ ﴾ * إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورُ * تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴿ (الملك: ٦-٨) ، فالآية الكريمة وعيد للكفار بالنار وكلّ من يبتعد عن توحيد الله تعالى ولا يخلص له العبادة فالآية ذمّ لهم ، فالإنسان العاقل أحرى به أن يتقيها بغاية الجهد واستفراغ الوسع ، فكان وجه الحكمة في العقاب هو الزجر للمكلف عن عبادة غير الله تعالى ، فصور الله تعالى ذلك المشهد العظيم أنه كلما ألقى في النار مجموعة من الكفار يسمع للنار صوتاً فظيماً كأنها تطلب المزيد من الوقود ، فالنار من شدتها تكاد تتفرق وتنقطع ، فيسألهم الملائكة الموكلون بالنار على صيغة الاستفهام ألم يجيئكم مخوف من جهة الله تعالى يخوفكم من عذاب هذه النار (٣) .

ورهب تعالى أيضاً من معصية رسوله الكريم (صلى الله عليه وآله) ، لقوله تعالى : ﴿ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴾ (النساء: ١٤) ، فكل من يعص الله تعالى ورسوله الكريم (صلى الله عليه وآله) ويتعدى جميع حدوده يكون

(١) ظ : عبد الكريم زيدان / أصول الدعوة / ٤٢١ .

(٢) ظ : المصدر السابق / ٤٢١-٤٢٢ .

(٣) ظ : الطوسي / التبيان في تفسير القرآن ، ٦٢-٦١/١٠ .

كافراً وله عذاب مهين وسماء الله تعالى مهيناً لأنه (عز وجل) يفعله على وجه الإهانة ، كما أنه تعالى يثيب المؤمنين على وجه الكرامة (١) .

ورهب الله تعالى أيضاً من يوم الآخر ، لقوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ * يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ﴾ (الحج: ١-٢) ، فالمراد بالساعة يوم القيامة ، ومعنى زلزلة الساعة خراب الكون بأرضه وسمائه فيختلط البر بالبحر وتزول الأبعاد وترتفع الحواجز ، وبها يقوم الخلائق من الاجداث كأنهم أشباح بلا أرواح ، فالآية الكريمة تحذر وتخوف من هذا اليوم مع الإشارة إلى شدائده وأهواله وذم الجاهل المتعنت ، وفي هذا اليوم شدته تضع الحامل حملها والمرضع تذهل والكل يضطربون من الهلع والفرع كما يضطرب السكران (٢) .

وورد قوله تعالى : ﴿ بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ وَأَعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا * إِذَا رَأَتْهُمْ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغِيْظًا وَزَفِيرًا ﴾ (الفرقان: ١١-١٢) ، فالآية الكريمة ترهيباً آخر لكل من كذب بها خوفاً على مصالحه ومنافعه وحتى لا ينكر عليه بأنه أثر الفاني على الباقي ، وكل من قاس الفضيلة بالمال وأثره على مرضاة الله تعالى فهو بحكم من كذب بقاء الله تعالى ، فاعد تعالى له نار لها تغيظ وزفير كناية عن أليم العذاب وشدة الهول (٣) .

ورهب تعالى من أتباع الشيطان ، لقوله تعالى : ﴿ وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَأَمْرُنُهُمْ فَلَيَكُنَّنَّ آذَانَ الْأَنْعَامِ وَلَأَمْرُنُهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُبِينًا * يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا * أُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا ﴾ (النساء: ١١٩-١٢١) ، فالآية الكريمة بينت مبدأ كلياً بأن كل من يتخذ الشيطان ولياً لنفسه من دون الله تعالى فقد ارتكب ذنباً وإثمًا واضحاً ، فالشيطان يعطي وعود كاذبة لأتباعه

(١) ط : الطبرسي / مجمع البيان في تفسير القرآن ، ٣٢/٣ .

(٢) ط : مغنيه / الكاشف ، ٣٠٨/٥ .

(٣) ط : المصدر السابق ، ٤٥٤/٥ .

ويمنّهم بالأمنيات الطوال العراض لكنه لا يفعل شيئاً غير الخداع والإغواء ، لذلك بينت الآية الكريمة بأن مصيرهم سيكون السكنى في جهنم التي لا يجدون منها مفراً أبداً^(١).

فالإنسان عندما يعيش في هذه الدنيا ويشاهد زينتها ويحس بها تدفعه إغراءاتها إلى التعلق بها وتفضيلها على الآخرة ونسيانها ، فلا بد إذن من تنفير الناس من إثاراتها والفرار منها ، مع تبين منزلتها وقدرها مقارنة بالآخرة ونعيمها ، لذلك أخذ تعالى بترهيب الناس منها ووعدهم بالعذاب الأليم الذي يصيبهم في حالة التعلق بها^(٢)، لقوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أُنْزِلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَيَّنَّتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (يونس: ٢٤) وقوله تعالى : ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُوَ زِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيْجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴾ (الحديد: ٢٠) .

فمن الترهيب بالعقوبة في الدنيا الذي جاء في القرآن الكريم للذين يتثاقلون عن القتال^(٣)، لقوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ أَنْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَتَأْقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ * إِلَّا تَتَفَرَّغُوا يُعَذِّبُكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلُ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (التوبة: ٣٨-٣٩).

وأيضاً ما حدث لقارون الذي كان من قوم موسى (عليه السلام) ، لقوله تعالى : ﴿ إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءَ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ ﴾ (القصص: ٧٦)، فتحدثت الآية الكريمة عنه فالله تعالى قد آتاه مالا كثيراً ، وبدل أن يتوجه بها إلى الله تعالى ويقوم بحق الله تعالى فيها تطاول وبغى على الناس ، وصم أذنيه عن سماع الحق والتزام الصراط السوي ، فكانت عاقبته في الدنيا أن خسف الله تعالى به وبداره في الأرض ، ولم يجد أحد يدافع عنه أو

(١) ط : الشيرازي / الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل ، ٢٦٦/٣ .

(٢) ط : عبد الكريم زيدان / أصول الدعوة / ٤٢٤ .

(٣) ط : الطبرسي / مجمع البيان في تفسير القرآن ، ٤٤/٥ .

ينصره ^(١)، لقوله تعالى : ﴿ فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ ﴾ (القصص: ٨١)، فهكذا تكون عاقبة المفسد الذي يفتن الناس ويلززل القيم في نفوسهم بأن يخسف به وبداره ، فهوى في بطنها ذليلاً ضعيفاً عاجز لا ينصره أحد ^(٢).

أما الترهيب بالعذاب في الآخرة فما جاء بحق المنافقين من وعيد عند تعذرهم بأعدار كاذبة حتى لا يخرجوا للقتال ^(٣)، لقوله تعالى : ﴿ فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ ﴾ (التوبة: ٨١)، فالآية الكريمة ترهيب شديد ببيان شدة جهنم فالمرء أحرى به أن يتجنبها بالتوجه نحوه تعالى .

وأيضاً قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ * يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنْزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ ﴾ (التوبة: ٣٤-٣٥)، فالآية الكريمة تبين أحوال الأحبار والرهبان ، فهم قد كانوا يأخذوا الأموال من الناس بالباطل بطريق الرشوة من الملوك وأصحاب المنافع بأن يبدلوا أحكام دين الله بتشريع ما يوافق أهواء من يرشونهم ، وكذلك يتقاضون أجراً من الأفراد الذين يعترفون بذنوبهم رجاء غفرانهم لهم ، فهم قد أعطوا لأنفسهم سلطة مغفرة الذنوب حتى أصبح ذلك مورداً يجنون منه المال الوفير ، بالإضافة إلى ذلك كله فهم يصدون عن سبيل الله بمحاربتهم للإسلام ^(٤) .

فجاء الاسم الموصول (الذين) مبالغة في ذمهم بوصفهم بالشح والفتن بالمال بعد وصفهم بالجشع في تحصيله ، لكن الآية الكريمة كانت في سياق المسلمين الذين يكنزون الأموال ولا ينفقونها في سبيل الله تعالى ، فهم مدعون إلى بذل الأموال في سبيل الله ، فالترهيب والتحذير عن الامتناع عن الأنفاق متوجه إلى المسلمين ، فجاءت المبالغة والتغليظ في الزجر في

(١) ظ : عبد الغني محمد سعد بركة / أسلوب الدعوة القرآنية بلاغة ومنهاجاً / ٢٢٧ .

(٢) ظ : المصدر السابق / ٢٣٢ .

(٣) ظ : أبو حيان الأندلسي / تفسير البحر المحيط ، ٨١/٥ .

(٤) ظ : عبد الغني محمد سعد بركة / أسلوب الدعوة القرآنية بلاغة ومنهاجاً / ٢٣٥ .

استحقاق هذا العذاب الأليم ، لذلك اطال الله تعالى مشهد العذاب امام مخيلتهم قصدًا إلى تعميق إيحائه في نفوسهم ، فيكون أقوى على إثارة الرهبة عندهم وبعث مشاعر الخوف لتحقيق الغاية المرجوة والاستجابة إلى أمر الله تعالى بالإِنفاق في سبيله ^(١) .

فالتأمل في الآيات القرآنية نجد لها مليئة بصور الترهيب ، فنجد أن الله تعالى استعمله سبيلًا لتحقيق مبادئه والوصول إلى غاياته وأهدافه ، فالترهيب يلائم النفس الإنسانية لأنها دائماً ترهب من الشر ، فالترهيب يأتي في الشر ويرتب العقوبة السيئة التي تكون للمكلف في الدارين ، لذلك جاءت رسالات الأنبياء (عليهم السلام) متضمنة هذا الهدف العظيم وهو صلاحهم وترهيبهم مما هم فيه من أعمال الفجور ووصولاً بهم إلى الغاية السامية التي وضعت إلى بني البشر ^(٢) .

وأن الترهيب يرتبط بمفهوم العقاب ويشترك معه ، فهو يتعلق بأفعال المكلف قبل وقوعها وبعدها ، فهو بمثابة المانع من الإقدام على الفعل القبيح والعقاب يكون بمثابة الرادع والزاجر عن العودة إلى الفعل بعد وقوعه ، وعليه فالترهيب يكره للمكلف أعمال الفجور فينتهي عنه فيثاب على ذلك ويكون مآله إلى الجنة ، وأما من لا ينتفع به ويضل عن الحق فيكون مآله إلى النار ، لقوله تعالى : ﴿ فَأَمَّا مَنْ طَغَى * وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا * فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴾ (النازعات: ٣٧-٣٩) ^(٣) .

فما يتميز به الترهيب أنه يوافق النفس الإنسانية بأنها تكره كل ما يشعرها بالألم فتثير فيها الخوف فتدفعها إلى تجنب ما يسبب لها المشقة في الدنيا والآخرة ، فالترهيب يلائم الذين لا يصلحون من الناس بالترغيب بل يعدل سلوكهم بالترهيب والخوف ، فهو يستغل الفطرة الإنسانية بتخويفها من أجل اصلاحها وتحقيق سعادتها فغايتها إصلاح سلوك الإنسان والتوجه به نحو عبادة الله تعالى وسلوكه طريق الحق من أجل أن يصبح خليفة الله تعالى في أرضه فتتحقق له السعادة الدنيوية والآخروية ^(٤) .

(١) ط : عبد الغني محمد سعد بركة / أسلوب الدعوة القرآنية بلاغة ومنهاجاً / ٢٣٦-٢٣٧ .

(٢) ط : كفايت الله همداني / الترغيب والترهيب في السياق القرآني / ٩٧ .

(٣) ط : المصدر السابق / ٩٨ .

(٤) ط : عارف الهنديجاني / الوعد والوعيد في القرآن المجيد .

فالترهيب ظاهره عذاب لكن باطنه رحمة للذين لا يعدّل سلوكهم إلا بالخوف وللذين ينجرون في ملذات الدنيا وشهواتها فيأتي الترهيب فيصحيهم من غفلتهم .

٤- تتسم بعنصر المضرة ، فهي تجلب الضرر

أن الحياة مبنية على سنن وأسس محددة تقضي بها إلى نتائج وأمور مناسبة لها كما نجد ذلك في عالم الطبيعة حيث تؤدي النشاطات الحيوية والفيزيائية والكيميائية إلى آثار معينة فمثلاً تؤدي خلايا سليمة إلى الصحة والسلامة ، والفيروسات والجراثيم إلى الأمراض ، فسلوكيات الإنسان تؤدي به إلى نتائج محددة على المستوى النفسي والعقلي والجسدي والاجتماعي ، فالإنسان عليه أن يضع كل شيء موضعه ويتجنب الخطأ في حياته وأن يراعي في سلوكه ما يحقق له غايته ، فلا يختار متعة قصيرة توجب له مضرة طويلة ولا يتخذ قراراً عاجلاً يؤدي به إلى الندم آجلاً ، فالإنسان وما يمتلك من قدرة على التفكير والإرادة الحرة أن لا يعيش لحظياً وفق ما تمليه عليه غرائزه وشهواته كما هو الحال في الحيوانات ، بل عليه أن يستحضر غايته وينسق أفكاره وسلوكياته بما يحقق سعادته (١).

فإن معالم الانجذاب الباطنة قد بينت لنا عند سلوك طريق الباطل والانحراف عن الصراط المستقيم والخروج عن تعاليم الدين الإسلامي ومبادئه وتشريعاته وقيمه يؤدي بالفرد إلى الوقوع في الضلال والانحراف عن فطرته في التوجه نحو الله تعالى واتباع الشيطان وشهواته ونفسه الأمارة بالسوء ، فبين تعالى لنا مثلاً يوضح كيفية جلب الضرر للنفس من عناد فرعون وآله عند رفضهم للحق وعنادهم فتكون عندهم الكبر والاستكبار والعناد والإصرار على الباطل فكانت عاقبتهم الغرق في الدنيا والعذاب الأليم في الآخرة (٢).

وكذلك السكوت عن الحق يؤدي إلى الخضوع إلى الظلم والاستبداد وقبول سياسة الفتك والبطش بحقهم ويؤدي بالفرد إلى قبول الذل والهوان وعدم قدرته على إصلاح نفسه وتغيير الواقع الذي يعيش فيه فيفقد العزيمة والإرادة ، فأثار سلوك الباطل تمتد الى كل المجتمع (٣) ، فقصص الأولين بينت لنا وبكل وضوح عند اختيار الناس طريق الباطل والسلوك به تكون

(١) ط : محمد باقر السيستاني / تجربتي التربوية في الحياة ، ٩-٨/١ .

(٢) ط : جعفر السبحاني / القصص القرآنية ، ١٠٩-١٠٨/٢ .

(٣) ط : المصدر السابق ، ٢١٤/٢ .

عاقبتهم وخيمة في الدنيا وخسرانهم رضوان الله تعالى ونعيم الجنة في الآخرة ، فهم قد جلبوا لأنفسهم المضرة ، فالمضرة التي يجلبها الفرد لنفسه هو فقدانه الصلاح والسعادة في الدنيا والعذاب الأليم وسخط الله في الآخرة .

المبحث الثاني : سمات وسائل الانجذاب

أنّ لوسائل الانجذاب سمات وتكون هذه السمات تتماشى مع الغرائز الإنسانية وتحدها ، فبطبيعة الحال إن الغرائز يصدر منها الخير أو الشر فهذه الغرائز لا بد لها من نظام وعلاج يعالجها وتكون في الجانب الاجتماعي من خلال تنظيم علاقته بالناس وتقديم له النصح بالطريقة التي ترضي فطرته وتعليمه استخدام التسامح والرحمة مع الآخرين عندما يحتاجون إلى العون سواء كان ذلك بالكلام من خلال تقديم النصح لهم أو بالأفعال من خلال مد يد العون لهم بالمال ومساعدتهم بالأعمال وهذا يتمثل بالجانب الاقتصادي ، أو من خلال الجانب الغريزي ويتمثل بضبط شهوته وحدها في اطار من تحل له وعدم التماذي على الناس وكذلك بالجانب الروحي من خلال وضع له مخطط عبادي ينظم علاقته بربه وبهذه الحالة قد وضع للغرائز ضوابط توافقها وتتماشى معها وتحدها في حالة تماذيتها .

المطلب الأول : سمات الوسائل الموافقة للغريزة

أن الله تعالى شرع للإنسان وسائل تتبع من جذور واقعه في طبيعة تكوينه وخلقه ، في ظروف حياته كلها وتطورها واختلافها ، فدين الإسلام لاحظ جميع جوانب حياته فوفق بينهما وبين المبدأ الذي رسمه والتشريع الذي شرعه ، فالإنسان هو حيوان قبل كل شيء فهو يملك ما يملكه الحيوان من بهيمة الرغبة ووحشية الغريزة ، لكن حيوانيته تختلف عن حيوانية جميع سائر الحيوانات ، بالعقل الذي زوده تعالى له والذي به يكبح جماح غريزته ويخفف من غلوئها ، ومن الطبيعي أن امتلاك هذه العناصر في داخله ستؤدي به إلى العيش بين السلب والايجاب في نفسه ^(١)، وصراع بين الخير الذي يدعو له العقل والشر الذي تدفع إليه الغريزة ، فالدين الإسلامي قد لاحظها بدقة ، بأنه قد يضطر إلى الاصطدام بالآخرين والإساءة إليهم بسبب الغرائز المودعة فيه لكن في الوقت نفسه قد يدرك الخطأ ويتراجع عن موقفه ، فيريد من يأخذ بيده ويعينه على تصحيح مواقفه دون الإساءة إلى كرامته وأضعاف عزته ^(٢) .

(١) ظ : فضل الله / أسلوب الدعوة في القرآن / ٤٥ .

(٢) ظ : المصدر السابق / ٤٦ .

لذلك استعمل وسائل تتوافق مع غريزته الخيرة فاختلفت به وأخذ في تتميتها وتوجيهها نحو الخير والصالح ولم يطلقها بالكامل بل رسم لها حدودًا وباستطاعة الإنسان أن يحمي نفسه من الابتلاءات ومن معاملة الآخرين السيئة ، فحث الإسلام مسلميه على استعمال التسامح مع الآخرين وحذر من الغضب وما يثيره ويدفعه إلى استعمال القوة المخيفة المدمرة للآخرين فحثهم على استعمال الرحمة في المعاملة والكلام الذي تلين به النفس مع بيان الحجج والبراهين التي يقتنع بها العقل فبدونها لا يمكن للحياة أن تستمر فهي باعثة على تأليف القلوب وناهية عن التنافر والتباغض ودافعة إلى مد يد العون للجميع سواء كان ذلك الذي يريح النفس الإنسانية أو بالمال ، فالمجتمع البشري لا يمكن له أن يرتقي مالم تحكمه وسائل تتوافق مع غريزته ، لذلك جاء دين الله تعالى للناس ويحمل معه الوسائل التي تتوافق معه وتحثه على الخير والفضيلة .

تتسم بطابع ذاتي ، فهي ذاتية

تتسم وسائل الانجذاب كونها محبوبة في ذاتها قبل ورودها في القرآن الكريم ، فالتسامح بذاته محبوب فهو يدعو إلى العفو والصفح ودفع السيئة بالحسنة والإحسان والإعراض عن الجاهلين وغيرها من المعاني التي تتطلب منه ^(١)، فهو ((الأسلوب المسالم الوديع الذي يواجه به الإنسان اعتداء الآخرين وإساءاتهم إلى حقوقه)) فهو يجعل المعتدي عليه مثاليًا وتتبع منه الرحمة فيشيع المحبة والسلام ويدفق الخير على المجتمع ويجعله يعيش في نعمة وعناء ، فهو يحول الفرد إلى جانب القوة والكرامة والعزة والحياة الإيجابية السليمة ، فهو الأساس العام للعلاقات الإنسانية ^(٢) .

أما الرحمة فهي تدل على الرأفة والرقّة والعطف ، ولذلك سمي رحم الأنثى رحمًا لأنه يرق لما يكون فيه ويرحمه ^(٣)، فالرحمة لها آثار جميلة على المجتمع وبين الله تعالى آثارها في قوله تعالى : ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ (آل عمران: ١٥٩) ، فالإلتصاف بها ولين الجانب سبب لوحدة الصف واجتماع القلوب ،

(١) ط : نجيب نور الدين / الإسلام دين الرحمة والعدالة / ١٢ .

(٢) ط : المصدر السابق / ١٧ .

(٣) ط : ابن فارس / مقاييس اللغة ، ٤٩٨/٢ .

وأيضاً من آثارها وقوله تعالى : ﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ﴾ (الفرقان: ٦٣)، فالرحمة التي أنصف بها هؤلاء الممدوحون كان لها الأثر العظيم في تواضعهم وسلامة ألسنتهم وجميل أقوالهم وأفعالهم ، وما دل على ذلك إضافة العباد لأسم الله تعالى الرحمن وهذا ما فهم من النص الكريم أنهم متصفون بهذه الصفة العظيمة ^(١) .

أما اللين فهو يمكن الإنسان من النفوذ إلى قلوب الناس بمختلف شرائحهم ومن ثم إلى المحبة لذلك أمر الله تعالى أنبيائه ورسله أتباع اللين قدر الإمكان ^(٢)، فالقول اللين تستمتع به الأسماع وتتجذب النفوس والقلوب نحوه ، وهذا ما يلحظ في أمر الله تعالى وهارون (عليهما السلام) عند تكليفهما أن يذهبا إلى فرعون الذي طغى ، لقوله تعالى : ﴿ اذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ * فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى ﴾ (طه: ٤٣-٤٤) ^(٣) .

أما الحكمة فأول ما ينطلق إلى الذهن من سماعها إلى صواب الأمر وسداده أو وضع الشيء في موضعه ، فالحكمة تدل على أن الإنسان يمتلك الخبرة والتجربة والمران ، فهي تساعد على إعطاء الرأي الصائب وتمنح خطوات الفرد وأعماله صفة التركيز وعدم الاهتزاز والانحراف ، فهي الطريقة السديدة التي تجعل الأشياء في مواضعها .

فالحكمة تجعل العالم يبحث ويفكر ، والحليم يعفو ويسامح ، والقاضي تجعله يحكم بالعدل وفي النبي بأن يدعو ويبلغ ، فهي ليس من الأمور البسيطة التي يمتلكها الإنسان ويمارسها كما يتعلم حرفة أو صنعة بل هي أمر معقد جداً تحتاج إلى اطلاع واسع على قضايا الأمور وخصائصها ودقائقها ومداخلها ومخارجها ، لذلك كانت الحكمة من المنح الإلهية التي امتنّ تعالى بها على أنبيائه وعباده ^(٤) .

أما الموعظة الحسنة فهي تذكير الفرد بأسلوب يُلين قلبه وهذا يتنافى مع الغلظة والفظاظة والمخاشنة في القول والشتائم والسباب وغير ذلك مما لا يتحمل سماعه ، بل يكون عرض الكلام بأسلوب جميل حسن مقبول ، لذلك أوصى الله تعالى أنبيائه ونبيينا (صلى الله عليه وآله)

(١) ط : خلود شاكر العبدلي / خُلق الرحمة ومنهج القرآن الكريم في الترغيب فيه ، ١١٦/١ .

(٢) ط : الشيرازي / نفحات القرآن ، ٥٤/٧ .

(٣) ط : عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني / فقه الدعوة إلى الله ، ٦٢٠/١ .

(٤) ط : فضل الله / أسلوب الدعوة في القرآن / ٥٣-٥٢ .

وكل داعٍ إلى ربه من أمته في أقولهم وأفعالهم^(١)، فالحكمة مضمونها يقوم على الحق والنصح المفيد والإرشاد وبيان العواقب بصدق^(٢) .

أما تأليف القلوب فهي ثمرة حسن الخلق ، فهو يوجب التآلف والتوافق والتحاب ويبعد عن التباعد والتحاسد والتباغض^(٣)، فمن أهم بركات تأليف القلوب العزة والانتصار للحق وسيادة العدالة السياسية والاجتماعية ، وأيضاً يمنع الحسد والحقد والكبر ، وذكر عيوب الآخرين وسوء الخلق وكل ما يمتد إلى وساوس الشيطان والأهواء النفسية ، فهو بذاته يمنع البغضاء والعداوة والفرقة وتؤدي إلى التحاب والتوافق^(٤) .

أما التكافل الاجتماعي يدعو إلى التراحم ويقوي صلة القرى فهو يصل الفرد بأسرته والأسرة بأقاربها ويمتد إلى جميع المجتمع ويدعو إلى مساعدة المحتاجين والمعوزين^(٥)، فهو يقوم على اصلاح أحوال الناس لكي يعيشوا حياتهم آمنين مطمئنين على نفوسهم وأموالهم وعقائدهم ، فهو يوفر العيش الهانئ ويحقق السلام والاستقرار ، فيجعل المجتمع بأكمله كأسرة واحدة^(٦) .

أما الزكاة فهي تدعو إلى بذل المال بقدر معلوم فهي تطهر الأفراد من البخل الذي يكون من المهلكات^(٧)، وتطهر من الأخلاق الرذيلة وتجعل الأفراد يتصفون بأوصاف المحسنين الكرماء وأيضاً تدفع البلايا والأسقام ، وتنمي المال وتجعل به البركة ، وتبعد عن المجتمع الحاجة والفقر والفوارق ، فهي تبعد تكوين دولة للأغنياء في الإسلام^(٨).

فهذه الوسائل التي دعا إليها القرآن الكريم هي محبوبة في ذاتها فهي أفعال خيرة والأشخاص الذين يلتزمون بها يكونون أشخاصاً نافعين في المجتمع ، وهي أيضاً تكون موافقة

(١) ظ : عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني / فقه الدعوة إلى الله ، ٦٠٨/١-٦٠٩ .

(٢) ظ : المصدر السابق ، ٦٣١/١ .

(٣) ظ : الغزالي / إحياء علوم الدين ٦١١/٢ .

(٤) ظ : محمد الريشهري / موسوعة معارف الكتاب والسنة ، ٢٤٧/٣ .

(٥) ظ : عباس ذهيبات / التكافل الاجتماعي في مدرسة أهل البيت / ٨-٧ .

(٦) ظ : عبد الله ناصح علوان / التكافل الاجتماعي في الإسلام / ١٥ .

(٧) ظ : شبير / الأخلاق / ٦٤ .

(٨) ظ : السعدي / الرياض الناضرة والحدائق النيرة الزاهرة / ٢١-٢٠ .

للغريزة الإنسانية الخيرة ، فالقرآن الكريم عندما دعا إليها وحث اتباعه بالالتزام بها كانت له ميزة جذب أخرى .

المطلب الثاني : سمات الوسائل المحددة

لقد استعمل الدين الإسلامي وسائل تحد من الغرائز والشهوات الإنسانية التي تدفعه إلى الشر، فوضع تعالى ضوابط تحد هذه الغرائز والشهوات وتوجهها نحو الخير ، فإله (عز وجل) لم يقتل هذه الغرائز ولم يقض على الشهوات بل استعملها في الخير ، فهو قد حارب التماذي وانتشار الفحشاء ، بل جعل استعمالها في نطاق من تحل له في إطار أسرته وبهذا لا يهتك حرمة الآخرين ولا يشيع الرذيلة في المجتمع ، أما ما يتعلق بغريزة الجانب الروحي فالإنسان يريد إشباعها فحدد تعالى له الطريق المستقيم ووضع عدد من الكفارات والعقوبات في حالة الخروج عنها لكي يضبط الفرد من داخله وحتى لا يسلك طريق الشيطان بالإضافة إلى تعظيم العبادات والغريزة الروحية (١) .

تتسم بطابع الجعل ، فهي مجعولة

إن الله (عز وجل) تكفل للإنسان حياة آمنة مطمئنة بما شرعه لهم من أحكام تحقق مصالحهم وتدفع عنهم المفسد ، وفي مقدمة تلك المصالح هي المصالح الخمس الضرورية التي لا غنى عنها والتي تتوقف عليها حياة الإنسان في الدنيا والآخرة وهي (حفظ الدين ، وحفظ النفس ، وحفظ العرض ، وحفظ العقل ، وحفظ المال) ، لذلك حرص الإسلام أشد الحرص على المحافظة عليها ، وعدّ على كل من يعتدي عليها جريمة كبرى تستحق العقاب في الدنيا والآخرة ، وذلك من أجل المحافظة عليها وصيانتها بوازع السلطان ووازع الدين ، فالإسلام لم يكتف بما أعدّ للمعتدين من عقوبات آخروية بل أعدّ عقوبات دنيوية أيضاً ، لأن الكثير من النفوس الضعيفة قد لا يردعها عن طغيانها ولا يثنيها عن غيها آجل العقاب ، بل عاجله لتذوق مرارة الألم ، فيردعها من المعادة ، ويحمل غيرها من النفوس الطاعة والامتثال وعدم الانزلاق في مهاوي الرذيلة (٢) .

(١) ط : نور الدين بن مختار الخادمي / علم المقاصد الشرعية / ١٧٤ .

(٢) ط : عبد الله بن سلمان العجلان / العقوبات النفسية في الشريعة الإسلامية / ٤٣ .

فالنظر في الأحكام الشرعية نرى أن الله تعالى قد بعثها في ظروف خاصة منها ما كان يشعر به المجتمع العربي من ضياع وتمزق وشعورهم بالبأس الكادح بالظلم والتعسف من قبل جماعات المرابين والمستغلين وشيء من هذا القبيل ، لكن الظرف الذي نزل به الحكم إنما يفسر الحدث ، فالظروف التي نزلت فيها الأحكام القرآنية والدينية لا تتجاوز دورها حدود العلل الإعدائية والممهدة ، خصوصاً أن الشريعة الإسلامية متسمة بالخلود والأبدية ، فالغرض من تشريع الأحكام ليس تاريخياً ولا مترمناً ، فالأحكام الإسلامية هي إجابة عن اسئلة في عصر النزول والصدور وأيضاً إجابة عن اسئلة العصور اللاحقة ، فالأحكام الإسلامية لا تختص بزمان دون زمان ولا مكان دون مكان فهي مجعولة لجميع الأزمنة والأمكنة ^(١) .

فحين حكمت الشريعة الإسلامية بوجوب حكماً معيناً ، أصبح هذا الحكم من الواجبات في الدين الإسلامي وأصبح حكماً ثابتاً في الشريعة ، لكن الشخص إذا لم تتوفر به خصائص الحكم شرعاً فلا يتوجب عليه ، أي أن الحكم يجب على من تتوفر به الخصائص ، ولا يثبت إذا لم تتوفر به رغم ثباته في الشريعة ، وعلى هذا الضوء يكون للحكم ثبوتين الأول ثبوت الحكم في الشريعة ، والثاني ثبوته بالنسبة إلى هذا الفرد أو ذاك ، وعليه الثبوت الأول للحكم -أي ثبوته في الشريعة الإسلامية- ويسمى بالجعل أي جعل الحكم ، وأما الثبوت الثاني للحكم -أي ثبوته على هذا المكلف بالذات أو ذاك- يسمى بالفعلية أي فعلية الحكم أو بمعنى المجعول ، فيكون جعل الحكم معناه تشريعه من الله تعالى ، وفعلية الحكم معناها ثبوته فعلاً للمكلف هذا أو ذاك ^(٢) .

وعلى هذا الأساس يكون الإنسان هو الذي يتحمل تبعة أقواله وأفعاله حين يقول قولاً أو يعمل عملاً ، ويجازى بالقضاء بالعدل فيما يخص الأقوال والأعمال ، ويكافئ عن كل قول قاله أو كل عمل قام به ^(٣) ، وعلى الأساس يشترط الأهلية المتمثلة في العقل وبلوغ سن الرشد ليتحمل الإنسان مسؤولية ويجازى عليها بمقدار أهليته ، ففاقد الأهلية لا يتحمل المسؤولية ومن الآيات القرآنية الكريمة التي تدل على تحمل المسؤولية قوله تعالى : ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسْتَلَنَّهٗمْ أَجْمَعِينَ * عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (الحجر: ٩٢-٩٣) ، وقوله تعالى : ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ

(١) ط : عادل محمد الشريف / تاريخية النص الديني / ١٣٦-١٣٧ .

(٢) ط : محمد باقر الصدر / دروس في علم الأصول / ٢٣٧ .

(٣) ط : محمد أحمد خلف الله / مفاهيم قرآنية / ١٤٥ .

عَلَّمَ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴿ (الإسراء: ٣٦)، وقوله تعالى : ﴿ وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ ﴾ (الصافات : ٢٤)، وقوله تعالى : ﴿ لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ ﴾ (الأنبياء: ٢٣) ، ولا يخلو أحد من مكتملي الأهلية من العاقلين البالغين الراشدين من المسؤولية ، لكن في الوقت نفسه لا تتحمل المسؤولية ألا بشروط خاصة التي تحدد تبعات الأقوال والأفعال ، وأن تكون معروفة للناس ، وهذا ما قال به القرآن الكريم : ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾ (الإسراء: ١٥)، وبهذا يكون الرسل والأنبياء والكتب السماوية هي التي تبين للناس كافة حدود الخير والشر وتنظم الحياة وبع ذلك تتركهم لأنفسهم فمن عمل خيراً فلنفسه ومن أساء فعليها ^(١).

فهذا هو منطق القرآن الكريم في جعل الفرد يتحمل مسؤولية أقواله وأعماله ويجازى عليها في جميع الأزمنة والأمكنة ، لقوله تعالى : ﴿ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا أَعْمَالُهُمْ * فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴾ (الزلزلة: ٦-٨) ^(٢) .

وذلك حتى لا يتعدى أحدٌ على الغير حتى لو كان مخالفاً له في عقيدته وهي أعز شيء عند المرء ، فالدين الإسلامي لا يقر الظلم ولا يبارك في العدوان ، فجميع تعاليمه وأحكامه تدعو إلى إشاعة السلام والأمن والطمأنينة بين العباد جميعاً ، فالهدف الذي يرمي إليه الإسلام هو تأمين الحياة لكل إنسان دون رهق ولا إكراه ، فالإسلام لم يفرض قيام المدينة الفاضلة كما تخيل لعدد من الفلاسفة ، وإنما عالج الحياة الإنسانية بما فيها من طبائع ورغبات ونزعات وغرائز وميول فعالجها جميعاً بما يصلحها ، وفق استطاعة البشر أن يستجيبوا له وأن يفعلوه ^(٣).

فيكون كل ما جعلته الشريعة الإسلامية من عقوبات تكون غايتها وهدفها اصلاح حال الناس ، وارشادهم من الضلالة وكفهم عن المعاصي ، وحمايتهم من المفسد ، والمحافظة على الضرورات الخمس التي هي مصالح الإسلام المعتبرة (النفس ، الدين ، العقل ، النسل ، المال) فالقتل اعتداء على النفس ، والردة اعتداء على الدين ، وشرب الخمر اعتداء على العقل ، فإذا لا بد من وضع عقاب يردع الجاني ويمنعه من أن يستمر في غيه واعتدائه ، فالكثير

(١) ط : محمد أحمد خلف الله / مفاهيم قرآنية / ١٤٦-١٤٧ .

(٢) ط : المصدر السابق / ١٤٨ .

(٣) ط : أحمد أبراهيم مهنا / مقومات الإنسانية في القرآن الكريم / ١٤١-١٤٢ .

من النفوس يضعف التأثير فيها بالعقاب الآخروي فتكون حاجة إلى وضع عقاب دنيوي معجل يتلاءم مع نفوسهم ويكفهم عن الاعتداء والشرور والطغيان ^(١)، فكل ما جعله الإسلام من عقوبات شديدة أو خفيفة هي لحماية الجماعة من أن تتعرض للفساد ، فالعقوبات بكل أنواعها يكون ظاهرها أدى لمن ينزل العقاب في حقه لكن آثارها رحمة بالمجتمع وللناس أجمعين ولا تفريق بين جنس وآخر ^(٢) .

فيكون أنزال العقوبات رحمة ، فإله (عزّ وجلّ) يقول لنبيه (صلى الله عليه وآله) : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ (الأنبياء: ١٠٧)، فليس من الرحمة الرفق بالأشرار الذين يسخرون من قواهم العقلية والبدنية للاعتداء على الآخرين ، فالرفق بهذه الجماعة عين القسوة في مؤداه ، وأن كان ظاهره شفقة وعطف فما قرر هو من لا يرحم الناس لا يرحمه الشرع .

فالرحمة هي مطلب أساسي في التشريع الإسلامي ولكن بشرط ألا تعوق الرحمة العامة التي تفرض في العقوبة العادلة ، فقال تعالى في محكم كتابه الكريم : ﴿ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَيَشْهَدَ عَذَابُهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (النور: ٢)، وبهذا يكون الرأفة بالجناة مع الإيمان بالله تعالى واليوم الآخر ما وصف الله تعالى المؤمنين أنهم رحماء بينهم فيدل أنه ليس من الرحمة والرفق بالجاني ^(٣) .

لذلك جعلت الشريعة الإسلامية عقوبات مقدرة ليس للقاضي أو أي أحد أن يزيد عليها أو ينتقص منها أو يستبدل بها غيرها لأنها تمس كيان المجتمع ، فمن يرتكب أي جريمة أصابته العقوبة المقدرة من قبل الله تعالى دون النظر إلى شخصية الجاني أو إلى رأي المجني عليه ، وليس لولي الأمر أن يعفو عن العقوبة بأي حال من الأحوال ، لذلك اتجهت الشريعة الإسلامية في جرائم الحدود إلى إهمال شأن المجرم إهمالاً تاماً وإلى حماية الجماعة من الجريمة ، فشددت العقوبة وعلتها مقدرة ولم تجعل لأي أحد سلطاناً عليها ^(٤).

(١) ظ : محمد شلال العاني / عيسى صالح العمري / فقه العقوبات في الشريعة الإسلامية ، ٦٥/١ .

(٢) ظ : المصدر السابق ، ٥٦/١ .

(٣) ظ : المصدر السابق ، ٦٦/١ .

(٤) ظ : عبد القادر عودة / التشريع الجنائي الإسلامي ، ٦١٢/١ .

علة التشديد في العقوبات خطورتها وأن التساهل بها يؤدي إلى تحلل الأخلاق وفساد المجتمع واضطراب نظامه وزيادة الجرائم ، فإذا ابتلت بها الجماعة سوف يتفرق شملها ويختل نظامها ، فيكون القصد من التشديد هو حفظ الأمن والنظام والبقاء على الأخلاق فتحفظ بها مصلحة الجماعة ، فلا عجب بذلك أن تهمل مصلحة الفرد في سبيل مصلحة الجماعة (١) .

فالردة هي الاعتداء على عقيدة الجماعة والنظام الاجتماعي ، لأن النظام الاجتماعي لكل الأمة الإسلامية هو الإسلام والردة هي الكفر والخروج على ما نصه الإسلام من مبادئ وتشكيك به ، ولا يمكن أن يستقيم أمر الجماعة ونظامها إذا كان نظامها موضع تشكيك وطعن.

والزنا هو اعتداء على نظام الأسرة ولو لم يضع عقوبة على كل امرئ يقوم به لتشارك الآخر في أي امرأة وينتصل ممن يشاء من الأبناء وبذلك تختلط الأنساب ويضيع الإنسان ويشقى الأبناء والآباء وتهدم الأسرة التي هي كيان المجتمع والدعامة الأساسية التي تقوم عليها الجماعة .

والقذف هو اعتداء أيضاً على نظام الأسرة فالقذف بالأعراض هو التشكيك في نسبة الأبناء لغير آبائهم وطعن بالأعراض وليس أخطر على الجماعة من ذلك .

والسرقة اعتداء على نظام الملكية الفردية ولو لم يعاقب الشرع عليها لكانت الغلبة للأقوياء والحرمان والجوع للضعفاء ولعجز الأفراد عن الحصول على ضروريات حياتهم والاستغناء عن الملكية الفردية (٢) .

والشرب يؤدي إلى فقدان العقل والأدراك والشعور ، فالفرد الذي يتناوله يكون على استعداد لفعل كل المنكرات من زنا وقذف وسرقة إضافة إلى افساد المال والصحة ، وفي ذلك اعتداء على نظام الجماعة .

والحرابة هي اعتداء على الملكية الفردية وقتل صاحبها وترويعه وأيضاً اعتداء على أمن الجماعة وعلى انظمة المجتمع ، ولا يحمي الأفراد ويمنع عنهم هذا الاعتداء إلا بعقوبة رادعة ، فجرائم الحدود يكون الضرر للجماعة أكثر مما يصيب الأفراد (٣) .

(١) ظ : عبد القادر عودة / التشريع الجنائي الإسلامي ، ٦١٣/١ .

(٢) ظ : محمد شلال العاني / عيسى صالح العمري / فقه العقوبات في الشريعة الإسلامية ، ٧٥/١ .

يظهر أن العقوبات الإسلامية جعلت لتحد الغرائز الإنسانية فهي محددة من قبل الله تعالى والغرض من ذلك حفظ المصالح الخمسة (الدين ، النفس ، العقل ، العرض ، المال) التي يتوقف عليها صلاح أحوال الناس ونشر الخير والأمن لهم ، فتعالى جعل عقوبات معينة لكل من يزني ويقذف الآخر وبها يتم السيطرة على شهوات الإنسان ويقيدها في إطار أسرته وبها يتم حفظ النسل والعرض وحتى لا يشيع الكلام الفاحش ولا يرمي بعضهم البعض بالكلام الذي يمس كرامة النساء .

وجعل تعالى عقوبة السرقة والحراقة مقدرة حتى يتم السيطرة على الجرائم المعتدين وحتى يأمن الناس على أموالهم وأنفسهم فيتحقق الاطمئنان لهم ، وجعل تعالى عقوبة الخمر ليحافظ على عقل الإنسان الذي به يرتقي إلى منزلة خلافة الأرض التي جعلها تعالى له وحتى لا تصدر منه أفعالا سيئة وتضر غيره ، وجعل تعالى حداً للمرتد لبيان أهمية الجانب الروحي للفرد وحتى لا يستهين بمعبوده ، فتعالى عندما جعل عقوبات الحدود والكفارات معينة ومقدرة من قبله من أجل البيان للناس أهمية وضرورة الحفاظ عليها فهي لا بد منها في قيام مصالح الدنيا والآخرة ، فبدونها لا يمكن أن تمشي مصالح الناس على استقامة فينتشر الفساد ويخسر الناس النجاة والنعيم في الآخرة وهذا هو الخسران العظيم .

فبوضعها يتم تدارك الخسران والسيطرة على غرائز وشهوات الإنسان التي تبعثه على الشر ، وأنها وضعت على أساس فهم فطرته ، فهي تصلح لكل زمان ومكان فهي اشتقت منه ووضعت على أساس الفهم الصحيح له .

وجعل تعالى عقوبة الكفارات التي تعتبر نوع من أنواع العبادات حتى لا يستهين أحد بتشريعاته وتبين بها توبة الفرد ومدى التزامه بالتشريعات الإلهية وتجبر النقص الذي يحدثه في أعماله ، فهي تبين مدى امتثاله وانقياده فبأدائها تجعل راحة لنفس الفرد وتعظيمًا لأوامر الله تعالى ، فالله (عزّ وجلّ) جعلها محددة لأنه يعلم أنها تصلح في كل زمان ومكان ، فيتبين

(١) ط : محمد شلال العاني / عيسى صالح العمري / فقه العقوبات في الشريعة الإسلامية ، ٧٦/١ .

أن الله تعالى جعل العقوبات معينة يعلم أنها صالحة لجميع الأزمنة والأمكنة وأنها ثابتة لثبات
فطرة الإنسان ومشتقة من تكوينه الخلقي .

الخاتمة والنتائج

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ، واحمده على ما أنعم علينا من نعمة الطلب والإقبال على كتابه الكريم ، فالحمد والشكر له على فضله ومنه ، واعرض ما توصلت إليه هذه الدراسة من نتائج وهي كالآتي :

- ١- ان كلمة الجذب لم ترد لفظاً في القرآن الكريم بل وردت مفاهيم تدل عليها .
- ٢- ان القرآن الكريم يمتلك منظومة جذب متكاملة والتي جاءت على قسمين الأولى ظاهرة تصريحية والتي تمثلت في الرجاء والمنفعة والبشرى والوعد بالجنة وكان التطبيق الواقعي لها في القصص القرآنية وأخترنا قصة نجاة بني اسرائيل من عذاب فرعون وقومه ، والأخرى غير ظاهرة تلميحية استنباطية وتمثلت في الخوف من النار والمضرة والانذار والوعيد وكان التطبيق الواقعي لها في القصص القرآنية واخترنا عذاب آل فرعون والعاقبة المخزية والأليمة لهم فهو جاذب للآخرين لا طارداً لهم .
- ٣- ان الانجذاب أحد أنواع الاعجاز النفسي في القرآن الكريم فله ارتباط وثيق بالقلب والغرائز والمشاعر .
- ٤- ان معالم الانجذاب القرآنية كان المقصد الرئيسي منها الإيمان بالله تعالى وتحويل الإنسان عن المعبودات الزائفة وربطه بالله تعالى والاعمال الصالحة ابتداء بالرجاء وبعدها بالمنفعة والبشرى والوعد بالجنة وبيان العاقبة الحسنة لمن آمن بالله تعالى بالأمر السابقة .
- ٥- ان الوسائل التي استعملها القرآن الكريم في جذب الناس إليه كانت على قسمين الأولى وافقت الغريزة الإنسانية وجاءت في التسامح والرحمة والليونة والموعظة والتألف والتكافل الاجتماعي والزكاة والأخرى حدت الغريزة الإنسانية والتي جاءت في الحدود والتعزيرات والكفارات .
- ٦- ان تطبيق الوسائل التي دعا إليها القرآن الكريم بين الناس يؤدي إلى اصلاح احوالهم وسيتوفر العيش الهانئ لهم فبتطبيقها بينهم يقودهم إلى الجذب إلى الله تعالى .
- ٧- يظهر ان فالإسلام هو الأصل الحقيقي للتسامح فالتسامح الذي دعا إليه القرآن جاء بمعاني عديدة منها العفو والصفح والإحسان ودفع السيئة بالحسنة. أما الرحمة فتجلت

في كل مظاهر الحياة ، فالله تعالى وصف نفسه بالرحمن الرحيم وجعلها صفة ضرورية في خُلق الأنبياء وأمرنا بالتخلق بها ، فهي باعثة على فعل الخير وباعدة عن فعل الشر ، فيها يتم التآلف والتقارب وبتركها يحدث التباغض والتنافر . واللين الذي استعمله القرآن ودعا أتباعه إلى استعماله في كلامهم فالملاطفة في القول يكون أثره أوقع في النفس ، فالآيات القرآنية يظهر منها لطف القول الخالي من البشاعة ، وهذا ما هو مطلوب من الناس في كلامها فيكون اللين من شعار الإسلام . أما الحكمة التي تعني مخاطبة الناس كل حسب فهمه وحالته وقبوله وانقياده فهي مراعاة لأحوال المخاطبين . والموعظة الحسنة التي تكون شديدة الأهمية لمن يغفل عن التوجه نحو الله تعالى فهي تذكرة والتي تكون بالترغيب والترهيب استنادًا إلى محور الطمع والخوف الموجود في النفس الإنسانية ، والتآلف الذي يكون من ثمار حسن الخلق ، فحث الله تعالى عباده على كل ما يزيد المحبة ويقوي الألفة ويدفع العداوة لما يكون من الاتفاق والاجتماع من الخير الكثير والقوة والبركة ، فالدين الإسلامي يزيل العداوة والفرقة ويحل مكانها الألفة والمحبة . والتكافل الذي دعا إليه يظهر أنه يقوم على التراحم ويربط الأفراد بأسرهم وأقاربهم وجميع المجتمع ، ويقوم على مساعدة المحتاجين بتقديم يد العون لهم ، فهو يقوم على اصلاح احوال الناس ويوفر العيش الهانئ فيحقق الأمن والاستقرار . أما الزكاة فهي مطهرة للقلب من حب المال ، فهي تزكي الأخلاق وتتميها وتطهرها من الأخلاق الرذيلة وتجعل من يؤديها يتصف بأوصاف الكرماء ، فهي دافعة للأسقام والبلايا وشارحة للصدر ، وتنمي الثواب وتجعله أضعافاً بقدر إيمان اصحابها واخلاصهم .

فالإسلام عندما وضع هذه الوسائل يهدف إلى سمو الفرد إلى أعلى مدارج الأخلاق في التعامل مع الغير وتحقيق الرخاء في المجتمعات وهذا لا يكون إلا من خلالها .

٨- يظهر ان الوسائل المحددة للغيرية الإنسانية والتي تمثلت في الحدود قد وضعت على أساس الفهم الصحيح لتكوين الإنسان ، فهي لا تظلم أحداً لأنها وضعت على أساس قدرات الإنسان وتكوينه ، فهي صالحة لكل زمان ومكان ، فشرعت لأجل محاربة الجريمة فيكون المقصد منها تأديب الجاني واصلاح احوال المجتمع . أما التعزيرات

فهي وضعت لترك المجال للقاضي في اختيار العقوبة المناسبة للجرائم المستحدثة والتي تختلف بين الأفراد تبعاً لظروف الزمان والمكان ، فهي تدل على مرونة الشريعة الإسلامية ، وأنه نظام شامل وملائم لجميع الأزمنة والأمكنة ، وأنها تراعي أحوال الأفراد بما يضمن نجاتهم في الدنيا والآخرة . أما الكفارات فهي تصلح ما يصدر من الإنسان من مخالفات لأوامر الله ، فهي وضعت لإصلاح الأخطاء البشرية وجبرها فبتشريعها تعظيماً لأصل العبادة ومهابتاً لها وعدم التهاون فيها ، وأيضاً لأجل راحة الإنسان من هموم التفكير عند ارتكاب المعصية وزجراً للمخطئين حتى لا يكرروا فعل المعصية .

٩- يظهر أن تشريع الحدود والتعزيرات والكفارات هو من أجل اصلاح الناس وتربيتهم وتهذيب سلوكهم وابعادهم عن فعل المعاصي وكرهه تكرارها ، ومن أجل حفظ نظام الأمة وصلاحها الذي يتحقق بصلاح الفرد في قوله وعمله .

١٠- ان القرآن الكريم يستهدف بناء حياة متكاملة للإنسان تتحقق بها السعادة الدنيوية والآخروية في جميع الأزمنة والأمكنة وحتى يصل به إلى مرتبة الخلافة الإلهية

١١- ان الله تعالى قد أحكم كل شيء ، فالتدبر في معالم القرآن الكريم ووسائله يتبين أنه أفضل الأديان وأنه استخدم أفضل المعالم والوسائل في جذب الناس نحو الدين الإسلامي فهو قد خاطب الإنسان من باطنه وظاهره .

تَبَتُ الْمَصَادِيرُ وَ الْمَرَاجِعُ

خيرُ ما نبتدئُ به ، القرآنُ الكريمُ

أَوَّلًا : الْمَصَادِيرُ الْقَدِيمَةُ

١- البخاري : أبو عبد الله ، محمد بن إسماعيل (ت/٢٥٦هـ)

صحيح البخاري ، دار ابن كثير / ط١ ، دمشق / ٢٠٠٢م .

٢- البيضاوي : أبو الخير ، عبد الله بن أبي القاسم عمر بن محمد بن أبي الحسن علي الشيرازي الشافعي (ت/٦٩١هـ)

أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، إعداد : محمد عبد الرحمن المرعشلي / دار إحياء التراث العربي / بيروت .

٣- التهانوي : محمد بن علي بن محمد بن القاضي محمد حامد بن محمد صابر الفاروي الحنفي (ت/ بعد ١١٥٨هـ)

كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم ، تقديم : ضيق العجم ، تح : علي دحروج / ط١ ، مكتبة لبنان / بيروت ، ١٩٩٦م .

٤- الثعالبي : أبو زيد ، عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف المالكي (ت/٨٧٥هـ)

الجواهر الحسان في تفسير القرآن ، تح : الشيخ علي محمد معوض ، الشيخ عادل أحمد عبد الموجود ، الأستاذ الدكتور عبد الفتاح أبو غدة / ط١ ، دار إحياء التراث العربي / بيروت ، ١٩٩٧م .

٥- جلال الدين السيوطي : ابن الكتب عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد الخضري الأسيوطي (ت/٩١١هـ)

كشف الصلصة عن وصف الزلزلة ، مخطوطة مصورة عن النسخة المحفوظة بدار الكتب القومية رقم ٤٥٠ ، مكتبة كتاب بديا .

٦- الجوهري : أبو نصر ، إسماعيل بن حمّاد (ت/٣٩٨هـ)

تاج اللغة وصحاح العربية ، تح : محمد محمد تامر ، أنس محمد الشامي ، زكريا جابر أحمد ، دار الحديث / القاهرة ، ٢٠٠٩م .

٧- الحلي : أبو القاسم ، المحقق الأول جعفر بن الحسن بن يحيى الحلي (ت/٦٧٦هـ) ، شرائع الإسلام في مسائل الحلال والحرام ، تعليق : السيد صادق الحسيني الشيرازي / ط١١ ، دار القارئ / بيروت ، ٢٠٠٤م .

٨- الحنفي : أبو سعود ، خطيب المفسرين محمد بن محمد بن مصطفى العمادي (ت/٩٨٢هـ) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم ، تح : عبد القادر أحمد عطا ، مكتبة الرياض الحديثة / الرياض .

٩- ابن حيان : العلامة محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان الأندلسي (ت/٧٤٥هـ) البحر المحيط ، تح : الشيخ عادل أحمد عبد الموجود ، الشيخ علي محمد معوض ، الدكتور زكريا عبد المجيد النوتي ، الدكتور أحمد النجولي الحمبل / ط١ ، دار الكتب العلمية / بيروت ، ١٩٩٣م .

١٠- الخازن : علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر البغدادي (ت/٧٢٥هـ)

لباب التأويل في معاني التنزيل ، ضبطه وصححه : عبد السلام محمد علي شاهين / ط١ ، دار الكتب العلمية / بيروت ، ٢٠٠٤م .

١١- الدامغاني : أبو عبد الله ، محمد بن علي بن محمد بن الحسين بن عبد الملك (ت/٤٧٨هـ)

إصلاح الوجوه والنظائر في القرآن الكريم ، تح : عبد العزيز سيد الأهل / ط٤ ، دار العلم للملايين / بيروت ، ١٩٨٣م .

١٢- الرّازي : أبو عبد الله ، محمد بن عمر بن الحسين الطبري (ت/٦٠٤هـ)

مفاتيح الغيب / ط١ ، دار الفكر / بيروت ، ١٩٨١م .

١٣-الراغب الأصفهاني : أبو القاسم ، الحسين بن محمد بن المفضل (ت/٥٠٢هـ)
المفردات في غريب القرآن ، تح : مكتبة نزار مصطفى الباز / مكتبة مصطفى الباز /
الرياض .

١٤-الزمخشري : أبو القاسم ، جار الله محمود بن عمر بن محمد الخوارزي (ت/٥٣٨هـ)
الكاشف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، اعتنى به : خليل مأمون شيحا
ط٣ ، دار المعرفة / بيروت ، ٢٠٠٩م.

١٥-السيوري : أبو عبد الله ، مقداد بن عبد الله بن محمد السيوري الحلبي الأسدي
(ت/٨٢٦هـ)

التنقيح الرائع لمختصر الشرائع ، تح : السيد عبد اللطيف الكوهكمرى ، باهتمام : السيد
محمود المرعشي / ط١ ، مكتبة آية الله المرعشي / قم ، ١٤٠٤هـ .

١٦-الشامري : أبو بكر ، محمد بن جعفر بن سهل (ت/٣٢٧هـ)
مساوى الاخلاق ومذمومها ، تح : أبو النصر الشلبي / ط١ ، مكتبة السوادي / جدة ، ١٩٩٢م.

١٧-شبر : السيد عبد الله بن محمد رضا شبر الحسيني النجفي (ت/١٢٤٢هـ)
الاخلاق ، تدقيق : جواد شبر / دار النعمان / النجف .

الجواهر الثمين في تفسير الكتاب المبين ، تح : أسامة الساعدي / ط١ ، ذوي القربى / قم ،
١٤٣١هـ .

١٨-الشریف الجرجاني : علي بن محمد بن علي (ت/٨١٦هـ)

مُعجم التعريفات ، تح : محمد صدیق المنشاوي / دار الفضيلة / القاهرة .

١٩-الشریف الكاشاني : فتح الله بن شكر الله (ت/٩٩٨هـ)

زبدة التفاسير ، تح : مؤسسة المعارف الإسلامية / ط١ ، مؤسسة المعارف الإسلامية / قم
١٤٢٣هـ .

٢٠- الشهيد الثاني : الشيخ زين الدين بن علي بن أحمد العاملي (ت/٩٦٥هـ)

مسالك الأفهام الى تنقيح شرائع الإسلام ، تح : مؤسسة المعارف الإسلامية / ط٤ ، مؤسسة المعارف الإسلامية / قم ، ١٤٢٩ هـ .

٢١- الشوكاني : محمد بن علي بن محمد (ت/١٢٥٠هـ)

فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير ، تح : الدكتور عبد الرحمن عميرة ، لجنة التحقيق والبحث العلمي بدار الوفاء / دار الفكر / بيروت .

٢٢- الطبرسي : أبو علي ، أمين الإسلام الفضل بن الحسن (ت/٥٤٨هـ)

مجمع البيان في تفسير القرآن ، تح : دار العلوم / ط١ ، دار العلوم / بيروت ، ٢٠٠٥ م .

٢٣- الطبري : أبو جعفر ، إمام المفسرين محمد بن جرير بن يزيد (ت/٣١٠هـ)

جامع البيان في تأويل آي القرآن ، تح : الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي ، الدكتور عبد السند يمامة / ط١ ، دار هجر / القاهرة ، ٢٠٠١ م .

٢٤- الطوسي : أبو جعفر ، شيخ الطائفة محمد بن الحسن بن علي (ت/٤٦٠هـ)

الاقتصاد فيما يتعلق بالاعتقاد / ط٢ ، دار الأضواء / بيروت ، ١٩٦٨ م .

التبيان في تفسير القرآن ، تح : الشيخ آغابزرگ الطهراني ، أحمد حبيب قصير العاملي / ط١ ، دار إحياء التراث العربي / بيروت .

٢٥- الطوسي ، أبو جعفر ، محمد بن محمد بن الحسن الطوسي (ت/٦٧٢هـ)

أوصاف الأشراف ، إعداد : مركز نون للتأليف والترجمة / ط١ ، جمعية المعارف الإسلامية الثقافية / لبنان ، ٢٠١١ م .

٢٦- الطوسي ، أبو نصر السراج الطوسي (ت/٣٧٨هـ)

اللمع ، تح : عبد الحليم محمود ، طه عبد الباقي سرور ، دار الكتب الحديثة / ١٩٦٠ م .

٢٧- عبد الرزاق الكاشاني (ت ٧٣٠هـ)

معجم اصطلاحات الصوفية ، تح : عبد العال شاهين / ط ١ ، القاهرة / ١٩٩٢ م .

٢٨- الغزالي : أبو حامد ، محمد بن محمد (ت ٥٠٥هـ)

إحياء علوم الدين / ط ١ ، دار ابن حزم / بيروت ، ٢٠٠٥ م .

٢٩- الفراهيدي : أبو عبد الرحمن ، الخليل بن أحمد (ت ١٧٥هـ)

كتاب العين ، تح : الدكتور مهدي المخزومي ، الدكتور ابراهيم السامرائي / دار ومكتبة الهلال / لبنان .

٣٠- الفيروزآبادي : أبو طاهر ، محمد بن يعقوب بن محمد الشيرازي (ت ٨١٧هـ)

بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ، تح : الأستاذ محمد علي النجار ، لجنة إحياء التراث الإسلامي / بيروت ، ١٩٧٣ م .

٣١- الفيومي : أحمد بن محمد بن علي المقرئ (ت ٧٧٠هـ)

المصباح المنير ، تح : الدكتور عبد العظيم الشناوي / ط ٢ ، دار المعارف / القاهرة .

٣٢- القرطبي : أبو عبد الله ، محمد بن أحمد بن أبي بكر (ت ٦٧١هـ)

الجامع لأحكام القرآن ، تح : الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي ، محمد رضوان عرقسوسي / ط ١ ، دار مؤسسة الرسالة / بيروت ، ٢٠٠٦ م .

٣٣- القزويني : أبو الحسين ، أحمد بن فارس بن زكريا (ت ٣٩٥هـ)

مقاييس اللغة ، تح : عبد السلام محمد هارون / دار الفكر / دمشق ، ١٩٧٩ م .

٣٤- القمي : أبو الحسن ، علي بن ابراهيم (ت ٣٢٩هـ)

تفسير القمي ، تح : مؤسسة الامام المهدي بأشراف السيد محمد باقر الموحّد الابطحي الاصفهاني / ط ١ ، دار مؤسسة الامام المهدي / قم ، ١٤٣٥هـ .

٣٥-القمي : محمد بن محمد رضا المشهدي (اعلام القرن الثاني عشر)

تفسير كنز الدقائق وبحر الغرائب ، تح : حسين دركاهي / ط١ ، دار مؤسسة شمس الضحى / طهران ، ١٤٣٠هـ .

٣٦-ابن قيم الجوزية : أبو عبد الله ، محمد بن أبي بكر بن أيوب (ت/٧٥١هـ)

مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ، ضبط : لجنة من العلماء بإشراف الناشر / ط١ ، دار الكتب العلمية / بيروت .

٣٧-الكاشاني : محمد محسن بن مرتضى بن محمود (ت/١٠٩١هـ)

احوال السالكين (سلسلة المحجة البيضاء) / ط١ ، دار المحجة البيضاء / بيروت ، ٢٠٠٥م .
الحقايق في محاسن الأخلاق ، تح : الحاج محسن عقيل / ط١ ، دار الكتاب الإسلامي / ١٩٨٩م .
الصابي في تفسير القرآن ، تح : السيد محسن الحسيني الأميني / ط١ ، دار الكتب الإسلامية / طهران ، ١٤١٩هـ .

٣٨-ابن كثير : أبي الفداء ، إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (ت/٧٧٤هـ)
تفسير القرآن العظيم ، تح : سامي بن محمد السلامة / ط٢ ، دار طيبة / الرياض ، ١٩٩٩م .

٣٩-الكليني : أبو جعفر ، ثقة الإسلام محمد بن يعقوب بن اسحاق ، (ت/٣٢٩هـ)

الكافي ، تح : علي أكبر الغفاري / ط٤ ، دار الكتب الإسلامية / طهران ، ١٣٦٥هـ .

٤٠-ابن ماجه : أبو عبد الله ، محمد بن يزيد القزويني (ت/٢٧٥هـ)

سنن ، تح : محمد فؤاد عبد الباقي / ط١ ، دار احياء الكتب العربية / القاهرة .

٤١-المفيد : أبو عبد الله ، الشيخ محمد بن محمد بن النعمان بن المعلم أبي عبد الله العكبري
البغدادي (ت/٤١٣هـ)

أوائل المقالات ، تح : الشيخ ابراهيم الأنصاري / ط١ ، المؤتمر العالمي لألفية الشيخ المفيد / قم ، ١٤١٣هـ .

٤٢- المناوي : عبد الرؤف (ت/١٠٣١هـ)

التوقيف على مهمات التعاريف ، تح : عبد الحميد صالح حمدان / ط١ ، عالم الكتب / القاهرة ، ١٩٩٠ م .

٤٣- ابن منظور : أبو الفضل ، محمد بن مكرم بن علي جمال الدين ابن منظور الأفرقي (ت٧١١هـ)

لسان العرب ، تح : عبد الله علي الكبير ، محمد أحمد حسب الله ، هاشم محمد الشاذلي / دار المعارف / القاهرة .

ثانياً : المراجع الحديث

١- إبراهيم بن صالح بن صابر المغذوي

تأليف النبي (صلى الله عليه وآله) للقلوب وأثره في الدعوة إلى الله ، إشراف : عبد الرب بن نواب آل نواب / دار الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة / السعودية، ١٤٣٣ م .

٢- أحمد إبراهيم مهنا (الدكتور)

مقومات الإنسانية في القرآن الكريم ، سلسلة البحوث الإسلامية ، ٢٠٠٠ م .

٣- أحمد فتحي بهنسي (الدكتور) (معاصر)

العقوبة في الفقه الإسلامي / ط٥ ، دار الشروق / القاهرة ، ١٩٨٣ م .

٤- أحمد مختار عمر الدكتور (ت/٢٠٠٣م)

مُعجم اللغة العربية المعاصرة / ط١ ، دار عالم الكتب / القاهرة، ٢٠٠٨ م .

٥- أحمد نافع سليمان (معاصر)

الحكمة والموعظة الحسنة وأثرهما في الدعوة إلى الله في ضوء الكتاب والسنة ، إشراف : الشريف منصور بن عون العبدلي/ وقفية الأمير غازي للفكر القرآني/السعودية، ١٤٠٦هـ .

٦-أيمن جاسم الدوري (الدكتور) (معاصر)

المنهج التحفيزي في ضوء السنة النبوية / العدد ٢ ، مجلة كلية الشريعة للدراسات الإسلامية / قطر، ٢٠١٣م.

٧-حسني محمد العطار (الأستاذ) (معاصر)

قيمتنا الاخلاقية بين الأهمية والحاجة ، دار مؤسسة نافذ للبحث العلمي / فلسطين ، ٢٠٢٠م.

٨-خلود شاكر فهد العبدلي (الدكتورة) (معاصر)

خُلِقَ الرحمة ومنهج القرآن الكريم في الترغيب فيه ، المؤتمر الدولي عن الرحمة في الإسلام ، قسم الدراسات الإسلامية / السعودية .

٩-رائد نصري جميل أبو مؤنس (أستاذ دكتور)

المنفعة وخصائصها الذاتية في التشريع الإسلامي / العدد ١ ، مجلة الجامعة الإسلامية للدراسات الإسلامية / غزة ، ٢٠١٥م .

١٠-رحيم علي صياح (الدكتور)

فلسفة التكافل الاجتماعي عند الإمام علي (عليه السلام) / العدد ١٤ ، مجلة كلية التربية الأساسية جامعة بابل / بابل ، ٢٠١٣م .

١١-أبو زهرة : محمد بن أحمد بن مصطفى (ت/١٣٩٤هـ)

التكافل الاجتماعي في الإسلام ، دار الفكر العربي / القاهرة ، ١٩٩١م.

الجريمة والعقوبة في الفقه الإسلامي ، دار الفكر العربي / القاهرة ، ١٩٩٨م.

١٢-السبحاني : جعفر بن محمد الخياباني التبريزي (العلامة) (معاصر)

القصص القرآنية دراسة ومُعْطيات وأهداف / ط١ ، مؤسسة الامام الصادق (عليه السلام) / قم، ١٤٢٨هـ .

١٣- السبزواري : عَبْدُ الْأَعْلَى بن علي رضا بن عبد العلي الموسوي (العالم) (ت/١٤١٤هـ) مهذب الاحكام في بيان الحلال والحرام / ط ١ ، دار التفسير / قم ، ٢٠٠٩م . مواهب الرحمن في تفسير القرآن / ط ٥ ، دار التفسير / قم ، ٢٠١٠م .

١٤- السعدي : أَبُو عَبْدِ اللَّهِ ، عَبْدُ الرَّحْمَنِ بن ناصر بن عبد الله بن ناصر التميمي (ت/١٣٧٥هـ)

تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، تح : عَبْدُ الرَّحْمَنِ بن معلا اللويحق / ط ١ ، مؤسسة الرسالة / بيروت ، ٢٠٠٢م .

الرياض الناضرة والحدائق النيرة الزاهرة في العقائد والفنون المتنوعة الفاخرة / ط ١ ، دار المنهاج / القاهرة ، ٢٠٠٥م .

١٥- سيد قطب : إبراهيم حسين الشاذلي (ت/١٣٨٦هـ)

العدالة الاجتماعية في الإسلام ، دار الشروق / بيروت ، ١٩٩٥م .

١٦- الشنقيطي : مُحَمَّدُ الْأَمِين بن مُحَمَّدَ المختار الجكني (ت/١٣٩٣هـ)

أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن / ط ٢ ، دار عالم الفوائد / مكة المكرمة ، ١٩٨٠م .

١٧- صالح بن عَبْدُ الْعَزِيز آل الشيخ (الشيخ)

البشارة في القرآن الكريم ومضامينها التربوية ، إعداد : الدكتور عَبْدُ الرَّحْمَنِ بن سعيد الحازمي / ط ١ ، شمس الطباعة / الرياض ، ١٤٣٠هـ .

١٨- الصَّدْرُ : أَبُو الْحَسَنِ ، السيد مُحَمَّدُ مهدي بن إسماعيل (ت/١٣٥٨هـ)

اخلاق اهل البيت (عليهم السلام) / ط ٤ ، دار الكتاب الإسلامي / قم ، ٢٠٠٨م .

١٩- عادل مُحَمَّدُ الشريف (الدكتور) (معاصر)

تاريخية النص الديني على ضوء رؤية ثبات المفهوم وتغير المصداق ، المراجعة العلمية : المجلس العلمي في مؤسسة الدليل / ط ١ ، دار الوارث / كربلاء ، ٢٠١٩م .

٢٠- ابن عاشور : شيخ الإسلام ، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر (ت/١٣٩٣هـ)

تفسير التحرير والتنوير ، الدار التونسية / تونس ، ١٩٨٤ م .

مقاصد الشريعة الإسلامية ، تقديم : حاتم بوسمة / دار الكتاب اللبناني / بيروت ، ٢٠١١ م .

٢١- عامر صباح أحمد الكبيسي (الدكتور) (معاصر)

دور القرآن الكريم في إشاعة روح التسامح في المجتمع ، مجلة مداد الآداب الجامعة العراقية / بغداد ، ٢٠١٨ م .

٢٢- عباس ذهبيات (معاصر)

التكافل الاجتماعي في مدرسة اهل البيت (عليهم السلام) / ط ١ ، مركز الرسالة / قم ، ١٤٢٥هـ .

٢٣- عبد الباقي : محمد فؤاد (ت/١٣٨٦هـ)

المُعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، دار الحديث / القاهرة ، ١٣٦٤هـ .

٢٤- عبد الجبار حمد حسين شرارة

نظرية نفي الضرر في الفقه الإسلامي ، اشراف : استاذ دكتور عبد الله محمد خليل الجبوري ، آدم وهيب النداوي / بغداد ، ١٩٩٠ م .

٢٥- عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني (ت/٢٠٠٤م)

فقه الدعوة إلى الله / ط ١ ، دار القلم / دمشق ، ١٩٩٦ م .

٢٦- عبد الرحمن النحلاوي (استاذ مساعد)

أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع / ط ٢٥ ، دار الفكر / دمشق ، ٢٠٠٧ م .

٢٧- عبد الغني محمد سعد بركة (الدكتور)

أسلوب الدعوة القرآنية بلاغة ومنهاجاً / ط ١ ، دار مكتبة وهبة / القاهرة ، ١٩٨٣ م .

٢٨- عبد الكريم بن زيدان بن بيج العاني (العالم) (ت/٢٠١٤م)

أصول الدَّعوة / ط ٣ ، بغداد ، ١٩٧٦ م .

٢٩- عبد الله أحمد اليوسف (العلامة الدكتور) (معاصر)

الإمام الحسين (عليه السلام) ونهج التسامح ، متابعة وتنفيذ : رضوان عبد الهادي السلامي /

ط ١ ، العتبة العتبة العباسية المقدسة / كربلاء ، ٢٠١٨ م .

٣٠- عبد الله بن سليمان العجلان (الدكتور)

العقوبات النفسية في الشريعة الإسلامية / العدد ٥١ ، المجلة العربية للدراسات الأمنية والتدريب .

٣١- عدنان محمد زرزور (الدكتور)

الحاكم الجشعي منهجاً في تفسير القرآن ، مؤسسة الرسالة / بيروت .

٣٢- العطار : الدكتور داود بن سلمان بن محمد علي (ت/١٤٠٣هـ)

مُوجَزُ علوم القرآن / ط ٣ ، دار مؤسسة الأعلمي / بيروت ، ١٩٩٥ م .

٣٣- عمر سليمان الاشقر (الدكتور) (ت/٢٠٠٢م)

اليوم الآخر الجنة والنار / ط ٧ ، دار النفائس / عمان ، ١٩٩٨ م .

٣٤- عودة : عبد القادر (ت/١٣٧٣هـ)

التشريع الجنائي الإسلامي مقارناً بالقانون الوضعي ، دار الكاتب العربي / بيروت .

٣٥- فضل إلهي شودري (الدكتور) (ت/١٩٨٢م)

من صفات الداعية اللين والرفق / ط ٢ ، إدارة ترجمان الإسلام / باكستان ، ١٩٩١ م .

٣٦-الفتي : إبراهيم الفتى (الدكتور)

قوة التففىز / ط١ ، دار ثمرات / القاهرة، ٢٠١١م .

٣٧-الفتى : سعى بن على بن وهف (ت/١٤٤٠هـ)

الزكاة فى الاسلام فى ضوء الكتاب والسنة / ط٣ ، مركز الدعوة والإرشاد / القصب
٢٠١٠م.

٣٨-القرشى: باقر بن شرف بن مهدي بن ناصر (ت/١٤٣٣هـ)

الإسلام منهج مشرق للحياة / ط١ ، دار مهر أمير المؤمنين / قم ، ٢٠٠٤م.

٣٩-كفايت الله همدانى (الدكتور)

التربىب والتربىب فى السباق القرآنى / العدد ٢٢ ، مجلة القسم العربى / باكستان، ٢٠١٥م .

٤٠-كىلان خليل حيدر (مساعد استاذ)

التربىب والتربىب فى القرآن الكريم وأهميتهما فى الدعوة إلى الله / العدد ١٣ ، مجلة كلية
العلوم الإسلامية / الموصل، ٢٠١٣م .

٤١-محمّد أحمد خلف الله (ت/١٩٩١م)

الفن القصصى فى القرآن الكريم ، شرح وتعللىق : خليل عبّ الكريم / ط٤ ، مؤسسة الانتشار
العربى / بيروت ، ١٩٩٩م .

مفاهىم قرآنية ، أشراف : أحمد مشارى العدوانى ، عالم المعرفة / الكويت ، ١٩٩٠م .

٤٢-محمّد بن أحمد الصالح (الدكتور) (معاصر)

التكافل الاجتماعى فى الشريعة الإسلامية / ط٢ ، دار جامعة الامام محمّد بن مسعود /
الرباض ، ١٩٩٣م .

٤٣-محمّد باقر الصدر (المرجع) (ت/١٤٠٠هـ)

دُروسُ في علم الأصول الحلقة الأولى ، تح : مجمع الفكر الإسلامي / ط ١ ، مؤسسة اسماعيليان / قم ، ١٩٩١ م .

٤٤- محمد باقر بن علي السيستاني (معاصر)

تجربتي التربوية في الحياة محاضرة أُلقيت على جمع من طلبة الجامعات / النجف ، ١٤٤٠ هـ .

تهذيبُ النفس ودوره في بناء الفرد والمجتمع محاضرة أُلقيت على جمع من المدرّسين والمعلّمين / النجف ، ١٤٤٠ هـ .

٤٥- محمد باقر محسن الحكيم الطباطبائي (العالم) (ت/٢٠٠٣م)

علوم القرآن / ط ٣ ، مجمع الفكر الإسلامي / قم ، ١٣١٧ هـ .

٤٦- محمد تقی المدرسي (العالم) (معاصر)

من هدى القرآن ، إخراج : زكي حسن أحمد / ط ٢ ، دار القارئ / بيروت ، ١٤٢٩ هـ .

٤٧- محمد تقی المصباح اليزدي

تحديات ومواجهات ، تعريب : السيد عبد المنعم مرتضى / ط ١ ، بيروت ، ٢٠٠٦ م .

٤٨- محمد تقی نقوي قانني

ضياء الفرقان في تفسير القرآن ، دار قائن / طهران ، ١٣٩٥ هـ .

٤٩- محمد جواد بن محمود آل مغنية العاملي (العالم) (ت/١٤٠٠ هـ)

تفسير الكاشف / ط ٤ ، دار الأنوار / بيروت .

٥٠- محمد حسين الطباطبائي (العلامة) (ت/١٤٠٢ هـ)

الميزان في تفسير القرآن ، صححه : الشيخ حسين الأعلمي / ط ١ ، دار مؤسسة الأعلمي

للمطبوعات/ بيروت ، ١٩٩٧ م .

٥١- محمد حسين فضل الله (العالم) (ت/٢٠١٢م)

أسلوب الدعوة في القرآن / ط٦ ، دار الملاك / بيروت ، ١٤١٨هـ .

٥٢- محمد رشيد بن علي رضا (ت/١٣٥٤هـ)

تفسير المنار / ط٢ ، دار المنار / القاهرة ، ١٩٤٧م .

٥٣- محمد ري شهري (العالم) (معاصر) بمساعدة عدة من الفضلاء

معارف الكتاب والسنة ، دار الحديث / بيروت ، ٢٠١١م .

٥٤- محمد شلال العاني (استاذ دكتور) ، عيسى صالح العمري (الدكتور)

فقه العقوبات في الشريعة الإسلامية ، سلسلة البحوث الإسلامية / السنة الواحد والثلاثون ،
٢٠٠٠م .

٥٥- محمد عابد الجابري (الدكتور) (ت/٢٠١٠م)

قضايا في الفكر المعاصر / ط١ ، مركز دراسات الوحدة العربية / بيروت ، ١٩٩٧م .

٥٦- محمد بن عبد الرحمن بن عبد الله المرحوم

الموعظة الحسنة للعلماء وأثرها في الدعوة إلى الله تعالى في ضوء الكتاب والسنة ، إشراف :
سعد بن عبد الرحمن الجريد / شبكة الألوكة ، السعودية ، ١٤٣٥هـ .

٥٧- محمد عبد الله ورّاز (الدكتور)

دستور الأخلاق في القرآن الكريم ، تح : الدكتور عبد الصبور شاهين / دار البحوث العلمية
، مؤسسة الرسالة / بيروت .

٥٨- محمد بن المهدي الحسيني الشيرازي (ت/٢٠٠١م)

السلّم والسلام / ط١ ، دار السلام / بيروت ، ٢٠٠٥م .

٥٩- محمود عبد الرحمن

معجم المصطلحات والالفاظ الفقيهيه ، المركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية .

٦٠-المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية

موسوعة المفاهيم الإسلامية العامة ، أعده للشاملة : عويسان التميمي البصري / مصر .

٦١-مؤسسة دائرة معارف الفقه الإسلامي

مؤسسة الفقه الإسلامي طبقاً لمذهب اهل البيت (عليهم السلام) ، تح : مؤسسة دائرة معارف الفقه الإسلامي / ط ١ ، مؤسسة دائرة معارف الفقه الإسلامي / قم ، ٢٠١٨ م .

٦٢-ميثم السلطان (الدكتور الشيخ)

التحفيز الإيماني / ط ٢ ، دار الوفاء / بيروت ، ٢٠٠٧ م .

٦٣-ناصر مكارم الشيرازي (العالم) (معاصر)

الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل / ط ١ ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات / بيروت ، ٢٠١٣ م .
مئة موضوع اخلاقي في القرآن والحديث ، أعداد : السيّد حسين الحسيني / ط ٢ ، دار الكتب الإسلامية طهران ، ١٣٨٥ هـ .

نفحات القرآن / ط ١ ، مدرسة الامام علي بن أبي طالب (عليه السلام) / قم ، ١٤٢٦ هـ .

٦٤-نجيب نور الدين

الإسلام دين الرحمة والعدالة ، إصدار : المركز الإسلامي الثقافي ، مجمع الإمامين الحسينين (عليهما السلام) .

٦٥-نور الدين مختار الخادمي (الأستاذ الدكتور)

علم المقاصد الشرعية / ط ١ ، مكتبة العبيكان / الرياض ، ٢٠٠١ م .

ثالثاً : مواقع الانترنت

١-أحمد رشيد حسين عليوي (أستاذ مساعد) (معاصر)

قيم التسامح في القرآن الكريم وأثرها في تحقيق السلم المجتمعي ، [www.vesear](http://www.vesear.chgate.net) ، chgate.net ، 2018م .

٢- عارف هنديةاني فرد (الشيخ)

الوعد والوعد في القرآن الكريم / ط١ ، جمعية القرآن الكريم ، الموقع : www.qurankarim.org / بيروت ٢٠١٤م .

٣- عبد الله ناصح علوان (الشيخ) (ت/١٤٠٨هـ)

التكافل الاجتماعي في الإسلام ، دار السلام ، الإصدار الأول . [www.abdullahahelwan](http://www.abdullahahelwan.net) . net

٤- موقع jstor.org ، مايو ٢٩ / ٢٠١٩ .

does not go behind his desires and the pleasures of this world, forgetting his Lord and his soul, and his consequence will be destruction and loss .

On the basis of that, the features and means of the Qur'an were characterized by a set of features. What are found in the attributes in the features is not found in the means. What is distinguished by the features of the apparent attraction is that they are values before they are mentioned in the Holy Qur'an, and they are beloved in themselves, and motivate individuals and desire them for the benefit that they obtain when following them. The Islamic religion, and what distinguishes the invisible teacher is that the attraction to it is inward and alienates individuals and terrifies them from the harm that will happen to them when they leave the Islamic religion .

The characteristics of the means of attraction are the means that are compatible with the human instinct because they are lovable in themselves, and what is distinguished by the specific means are that they are made by God Almighty and are not subject to change and change in a constant according to the different time and place, they are derived from the formation of the human so .

Whatever features and means contained in the Holy Qur'an are attractive to the human soul and not repulsive to it .

Abs tract

ana alquran alkarim hu alkitaab al'ilahiu almunzil ealaa nabiina ' muhamad (salaa allah ealayh walih) walmuejizat alkhalidat 'iilaa yawm aldiyn .

The Holy Qur'an is the divine book revealed to our Prophet Muhammad (may God bless him and his family) and the eternal miracle until the Day of Judgment. It contained many features that attract people to the Islamic religion, and it was divided into two parts, a clear and visible part for people, which was represented in the hope that calls man to covet the forgiveness and mercy of God Almighty, and the glad tidings for those who respond to the prophets and messengers and the benefit that they receive when they respond to them and adhere to the teachings. The religious and the paradise that will be their share in the Hereafter, and the innumerable divine blessings they contain, which are represented in the material blessings of food, drink, palaces, and servants, and the moral blessings represented by God Almighty's satisfaction with them. This is in the position of Pharaoh and his people towards the Children of Israel and the salvation that happened to them as a result of their belief in God Almighty and their reliance on Him, so their salvation was from the oppression of Pharaoh and his people .

And the other part, which was represented to us in fear and warning to those who do not believe in God Almighty and mock the Messengers and Prophets and the harm that will be their share of the torment in this world and the hereafter, and the fire with which they will be burned, which included the physical torment of food, drink and clothing, and the moral torment of God Almighty's wrath upon them and his lack of consideration to them, and pictures for us in Pharaoh and his people of the warnings of Moses to them and the torment that befell them as a result of their disbelief in this world and the hereafter. for the two world.

In addition, God Almighty used means to invite people to the Islamic religion, and these means are commensurate with the levels of people. Zakat), and the other part limits the human instinct and so that a person

**The features and means of attraction in the Holy Qur'an, an
original study**